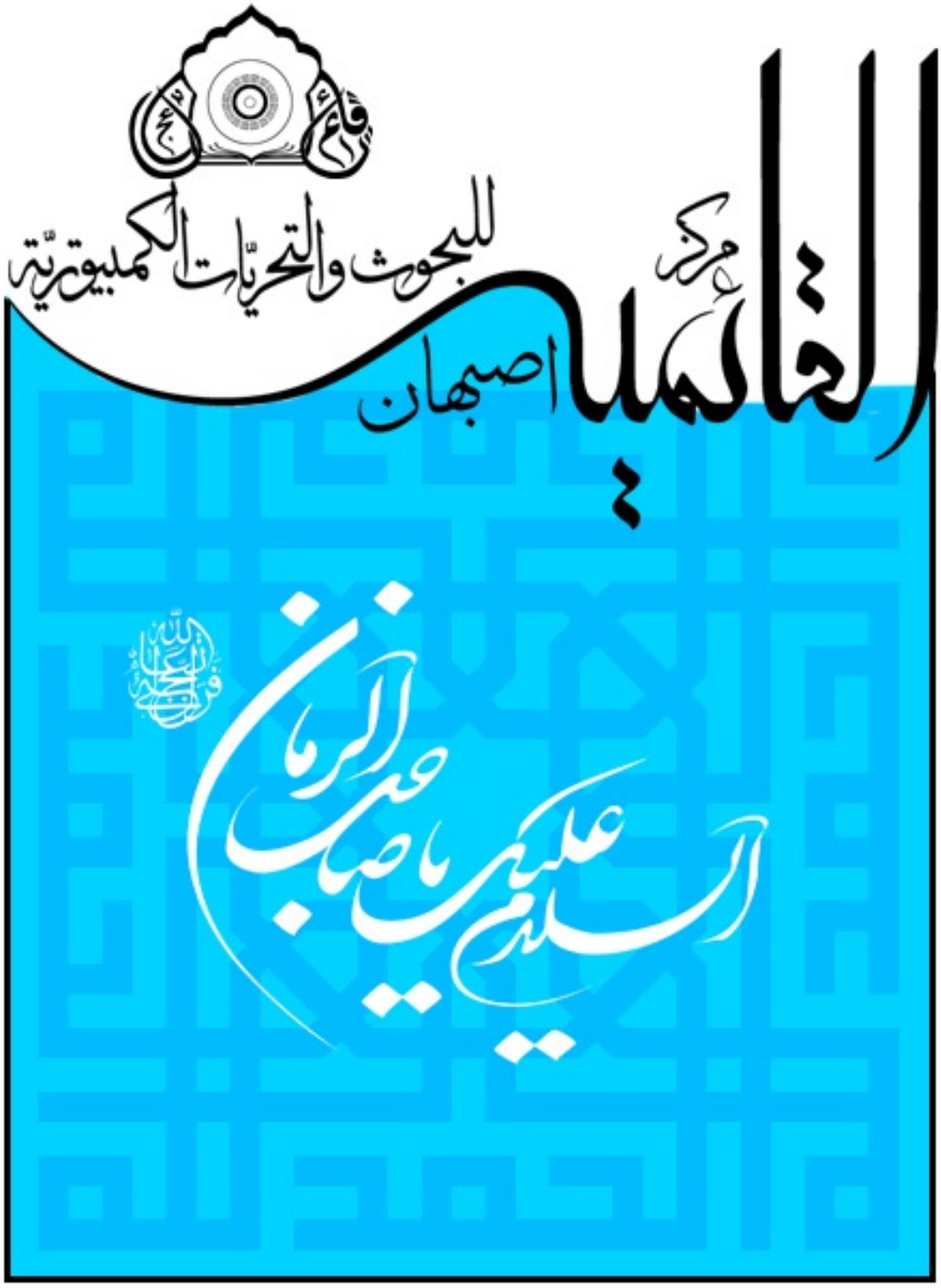

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

أعلام الهداية

الإمام علي بن الحسين

زين العابدين

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلام الهداية (الإمام على بن الحسين زين العابدين) عليهما السلام

كاتب:

لجنة التاليف

نشرت فى الطباعة:

المطبعة ليلى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
اعلام الهدایة (الإمام علی بن الحسین زین العابدین) علیهما السلام ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
المقدمة ----- ۱۱
الامام زین العابدین فی سطور ----- ۱۳
انطباعات عن شخصیة الإمام زین العابدین ----- ۱۴
اشاره ----- ۱۴
اقوال و آراء معاصریه فیه ----- ۱۴
آراء العلماء و المورخین فیه ----- ۱۵
مظاهر من شخصیة الإمام زین العابدین ----- ۱۶
الحلم ----- ۱۶
السخاء ----- ۱۶
تعامله مع الفقراء ----- ۱۶
تکریمه للفقراء ----- ۱۶
عطفه علی الفقراء ----- ۱۷
نهیه عن رد السائل ----- ۱۷
صدقاته ----- ۱۷
اشاره ----- ۱۷
التصدق بثیابه ----- ۱۷
التصدق بما یحب ----- ۱۸
مقاسمة أمواله ----- ۱۸
صدقاته فی السر ----- ۱۸
ابتغاؤه مرضاة الله ----- ۱۸

العزة والإباء ----- ۱۹
الزهد ----- ۱۹
الانابة إلى الله تعالى ----- ۱۹
سيرته فى بيته ----- ۲۰
مع أبويه ----- ۲۰
مع أبنائه ----- ۲۰
مع مماليكه ----- ۲۱
نشأة الإمام زين العابدين ----- ۲۱
اشاره ----- ۲۱
امه ----- ۲۱
كناه ----- ۲۲
القابه ----- ۲۲
مراحل حياة الإمام زين العابدين ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
الامام زين العابدين من الولادة الى الإمامة ----- ۲۳
اشاره ----- ۲۳
الوضع السياسى فى العراق عند موت معاوية ----- ۲۴
النص على إمامة زين العابدين ----- ۲۵
الامام زين العابدين يوم عاشوراء ----- ۲۵
الامام زين العابدين من كربلاء الى المدينة ----- ۲۵
الامام زين العابدين بعد ملحمة عاشوراء ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
سبايا آل البيت فى دمشق ----- ۲۶
الامام فى مجلس يزيد ----- ۲۷

الامام زين العابدين فى المدينة ----- ۲۸
اشاره ----- ۲۸
ثورة أهل المدينة ----- ۳۰
انشقاق البيت الاموى ----- ۳۱
تزايد المعارضة للحكم الاموى ----- ۳۲
سنوات المحن والاضطرابات ----- ۳۲
استشهاد الإمام زين العابدين ----- ۳۳
نظرة عامة فى مسيرة أهل البيت الرسالية ----- ۳۴
الاخطار التى كان يواجهها الإسلام ----- ۳۵
مضاعفات الانحراف فى القيادة الإسلامية ----- ۳۵
مضاعفات انهيار الدولة الإسلامية ----- ۳۶
مراحل حركة الأئمة الطاهرين ----- ۳۸
ملامح عصر الإمام زين العابدين ----- ۳۹
تخطيط الإمام زين العابدين و جهاده ----- ۴۰
اشاره ----- ۴۰
الجهاد الفكرى والعلمى ----- ۴۲
الجهاد الاجتماعى والعملى ----- ۴۳
الاخلاق والتربية (على مستوى الامة و أتباع أهل البيت) ----- ۴۳
الاصلاح والدولة ----- ۴۴
مقاومة الفساد ----- ۴۴
ظواهر فذة فى حياة الإمام زين العابدين ----- ۴۵
اشاره ----- ۴۵
ظاهرة العبادة فى حياة الإمام ----- ۴۵
عبادة الإمام ----- ۴۵

وضوؤه ----- ۴۵
صلاته ----- ۴۶
اشاره ----- ۴۶
تطیبه للصلاة ----- ۴۶
لباسه فی صلاته ----- ۴۶
خشوعه فی صلاته ----- ۴۶
صلاة ألف رکعة ----- ۴۶
کثرة سجوده ----- ۴۶
کثرة تسبیحه ----- ۴۷
ملازمته لصلاة اللیل ----- ۴۷
دعاؤه بعد صلاة اللیل ----- ۴۷
صومه ----- ۴۸
دعاؤه ----- ۴۹
دعاؤه فی الأسحار ----- ۴۹
حجه ----- ۵۰
اشاره ----- ۵۰
دعاؤه فی یوم عرفة ----- ۵۱
دعاؤه یوم عید الأضحی ----- ۵۱
ظاهرة الدعاء والمناجاة فی حیاة الإمام ----- ۵۲
تجلیات العرفان الإلهی ----- ۵۳
ظاهرة البکاء فی حیاة الإمام ----- ۵۴
ظاهرة الإعتاق فی حیاة الإمام ----- ۵۵
من تراث الإمام زین العابدین ----- ۵۶
اشاره ----- ۵۶

فی رحاب القرآن الکریم ----- ۵۷
اشاره ----- ۵۷
نماذج من تفسیر الإمام زین العابدین ----- ۵۸
فی رحاب الحدیث الشریف ----- ۵۹
فی رحاب اصول العقیدة و مباحث الکلام ----- ۵۹
الامام زین العابدین ینص علی الأئمة من بعده و یبشر بالمهدی ----- ۶۰
فی رحاب الفقه و أحکام الشریعة ----- ۶۱
حقائق علمیة فی الأدعیة السجادیة ----- ۶۲
ادب الإمام زین العابدین ----- ۶۲
احتجاجات الإمام زین العابدین ----- ۶۳
من غرر حکم الإمام و مواعظه ----- ۶۵
رسالة الحقوق ----- ۶۷
اشاره ----- ۶۷
عرض إجمالی للحقوق ----- ۶۸
اشارة ----- ۶۸
تفصیل الحقوق ----- ۶۸
حق الله ----- ۶۸
حق النفس ----- ۶۸
حقوق الاعضاء ----- ۶۸
حقوق الأفعال ----- ۶۹
حقوق الأئمة ----- ۶۹
حقوق الرعیة ----- ۶۹
حقوق الرحم ----- ۷۰
حقوق عامة الناس والأشیاء ----- ۷۰

فی رحاب الصحیفة السجادیة ---- ۷۱
اشاره ---- ۷۱
مميزات الصحيفة السجادية ---- ۷۲
الدور التأريخی للصحیفة السجادیة ---- ۷۲
سند الصحیفة السجادیة ---- ۷۳
شروح الصحیفة السجادیة ---- ۷۳
وصف الصحیفة بـــ «الکاملة» ---- ۷۳
الصحیفة السجادیة الجامعة ---- ۷۴
الموضوعات العامة للصحیفة الجامعة ---- ۷۴
مدرسة الإمام زين العابدين ---- ۷۵
پاورقی ---- ۷۶
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۹۰

اعلام الهداية (الإمام على بن الحسين زين العابدين) عليهما السلام

اشارة

المؤلف: لجنة التأليف

الكمية: ۵۰۰۰ نسخة

الطبعة: الاولى\par طبع فى سنة: ۱۴۲۲\par المطبعة: ليلى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أعطى كلّ شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى آله الميامين النجباء. لقد خلق الله الانسان وزوّده بعنصرى العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه. وقد جعل الله العقل المميِّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذى علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التى خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها. وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهة أُخرى. قال تعالى: [صفحه ۸] (قُلْ إنّ هُدى الله هو الهُدى) [الأنعام (۶): ۷۱]. (والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) [البقرة (۲): ۲۱۳]. (والله يقول الحقّ وهو يهدى السبيل) [الأحزاب (۳۳): ۴]. (ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم) [آل عمران (۳): ۱۰۱]. (قل الله يهدى للحقّ أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتَّبع أ مّن لا يهدّى إلّا أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون)[يونس (۱۰): ۳۵]. (ويرى الذين أُوتوا العلم الذى أُنزل اليك من ربّك هو الحقّ ويهدى إلى صراط العزيز الحميد) [سبأ (۳۴): ۶]. (ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىً من الله) [القصص (۲۸): ۵۰]. فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هى الهداية الحقيقية، وهو الذى يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم. وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم. ولقد أودع الله فى فطرة الانسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالى: (وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليعبدونِ)[الذاريات (۵۱): ۵۶]. وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة؛ إذ كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال. وبعد أن زوّد الله الانسان بطاقتى الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما. فمن هنا احتاج الانسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر [صفحه ۹] أدوات المعرفة ـ الى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كى تتمّ عليه الحجّة، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التى تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته. ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الانسان عن طريق الوحى الإلهى، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّى مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة. وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجة هادية وعلم مرشد ونور مُضىء، كما أفصحت نصوص الوحى ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلّا يكون للناس على الله حجّة، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق فى الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن ـ بشكل لا يقبل الريب ـ قائلاً: (إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد)[الرعد (۱۳): ۷]. ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتى تتلخّص فى: ۱ ـ تلقّى الوحى بشكل كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه

المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّى الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهى لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) [الانعام (۶):۱۲۴] و (الله يجتبى من رسله من يشاء)[آل عمران (۳):۱۷۹]. [صفحه ۱۰] ۲ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن اُرسلوا إليه، ويتوقّف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التى تتمثّل فى «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى: (كان الناسُ اُمّةً واحدةً فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتابَ بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[البقرة (۲): ۲۱۳]. ۳ ـ تكوين اُمة مؤمنة بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها فى الحياة، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنوانى التزكية والتعليم، قال تعالى: (يزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة) [الجمعة (۶۲): ۲] والتزكية هى التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التى تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: (لقد كان لكم فى رسول الله اُسوة حسنة) [الاحزاب:(۳۳): ۲۱]. ۴ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع فى الفترة المقرّرة لها، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية. والتى تسمى العصمة. ۵ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية فى نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الاُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسيٍّ يتولّى إدارة شؤون الاُمة على أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها فى الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلاً عن العصمة التى تعبّر عن الكفاءة النفسية التى تصون القيادة [صفحه ۱۱] الدينية من كلّ سلوك منحرف أو عمل خاطى بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الاُمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها. وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامى، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا فى سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفانى فى مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين. وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وحمّله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، وحقّق فى أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى: ۱ ـ تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوى على عناصر الديمومة والبقاء. ۲ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف. ۳ ـ تكوين اُمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة. ۴ـ تأسيس دولة إسلامية وكيان سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء. ۵ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة فى قيادته (صلى الله عليه وآله). [صفحه ۱۲] ولتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضرورى: أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة فى تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدى العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر. ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوء علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة فى الخلق والسلوك كالرسول(صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها فى كل حركاته وسكناته. ومن هنا كان التخطيط الإلهىّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التى تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها. وتجلّى هذا التخطيط الربّانى فى ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه وآله) بقوله: «إنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتى، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض». وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الاُ مّة من بعده. إنّ سيرة الأئمّة الاثنى عشر من أهل البيت (عليهم

السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ودراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الاسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الاُمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، [صفحه ۱۳] فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الاُمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعى الرسالىّ للشريعة ولحركة الرسول (صلى الله عليه وآله) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التى تتحكّم فى سلوك القيادة والاُمة جمعاء. وتبلورت حياة الأئمّة الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الاُمة عليهم والتفاعل معهم كأعلام للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاّء على الله وعلى مرضاته، والمستقرّين فى أمر الله، والتامّين فى محبّته، والذائبين فى الشوق اليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانىّ المنشود. وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم وجهاد كبير. ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكل كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هى إعطاء قبسات من حياتهم، ولقطات من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التى دوّنها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق. إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدء برسول الإسلام وخاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وتنتهى بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكرى المهدى المنتظر عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله. [صفحه ۱۴] ويختص هذا الكتاب بدراسة حياة الإمام علىّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) وهو المعصوم السادس من أعلام الهداية والرابع من الأئمة الأثنى عشر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والذى جسّد الاسلام المحمّدى بكل أبعاده فى حياته الفردية والاجتماعية فى ظروف اجتماعية وسياسية عصيبة فحقق القيّم الاسلامية المُثلى فى الفكر والعقيدة والخلق والسلوك وكان نبراساً يشعّ ايماناً وطُهراً وبهاءً للعالَمين. ولا بدَّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهداً وافراً وشاركوا فى إنجاز هذا المشروع المبارك وإخراجه إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى. ولا يسعنا إلّا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء والشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا ونعم النصير. [صفحه ۱۷]

الامام زين العابدين فى سطور

هو الإمام علىّ بن الحسين (عليه السلام) رابع أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وجدّه الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب وصىّ رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وأوّل من أسلم وآمن برسالته، وكان منه بمنزلة هارون من موسى، كما صحّ فى الحديث عنه [۱] . وجدّته فاطمة الزهراء بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) وبضعته، وفلذة كبده، وسيّدة نساء العالمين كما كان أبوها يصفها. وأبوه الإمام الحسين (عليه السلام) أحد سيِّدَىْ شباب أهل الجنّة، سبط الرسول وريحانته ومن قال فيه جدّه(صلى الله عليه وآله): «حسين منّى وأنا من حسين»، وهو الذى استشهد فى كربلاء يوم عاشوراء دفاعاً عن الإسلام والمسلمين. وهو أحد الأئمّة الاثنى عشر (عليهم السلام) الذين نصّ عليهم النبىّ(صلى الله عليه وآله) كما جاء فى صحيحى البخارى ومسلم وغيرهما، إذ قال: «الخلفاء بعدى اثنا عشر كلّهم من قريش» [۲] . وقد ولد الإمام علىّ بن الحسين (عليهما السلام) فى سنة ثمان وثلاثين للهجرة، [صفحه ۱۸] وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. وعاش سبعة وخمسين سنة تقريباً، قضى ما يقارب سنتين أو أربع منها فى كنف جدّه الإمام علىّ(عليه السلام)، ثمّ ترعرع فى مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين(عليهما السلام) سبطى الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)، وارتوى من نمير العلوم النبوية، واستقى من ينبوع أهل البيت الطاهرين. برز على الصعيد العلمى إماماً فى الدين ومناراً فى العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلى فى الورع والعبادة والتقوى، واعترف المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليّته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيّته. كان للمسلمين عموماً تعلّق عاطفى شديد بهذا الإمام، وولاء روحى عميق له، وكانت قواعده الشعبية ممتدّة فى كلّ مكان من العالم

الإسلامى، كما يشير إلى ذلك موقف الحجيج الأعظم منه، حينما حجّ هشام بن عبد الملك [۳] . لم تكن ثقة الأُمّة بالإمام زين العابدين(عليه السلام) ـ على اختلاف اتجاهاتها ومذاهبها ـ مقتصرة على الجانب الفقهى والروحى فحسب، بل كانت تؤمن به مرجعاً وقائداً، ومفزعاً فى كلّ مشاكل الحياة وقضاياها، بوصفه امتداداً لآبائه الطاهرين. ومن هنا نجد أنّ عبد الملك بن مروان قد استنجد بالإمام زين العابدين(عليه السلام) لحلّ مشكلة التعامل بالنقود الرومية إبّان تهديد الملك الرومانى [صفحه ۱۹] له بإذلال المسلمين [۴] . وقد قدّر للإمام زين العابدين أن يتسلّم مسؤولياته القيادية والروحية بعد استشهاد أبيه (عليه السلام) فمارسها خلال النصف الثانى من القرن الأول، فى مرحلة من أدقّ المراحل التى مرّت بها الأُمة وقتئذ، وهى المرحلة التى أعقبت موجة الفتوح الأُولى، فقد امتدّت هذه الموجة بزخمها الروحى وحماسها العسكرى والعقائدى، فزلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة، وضمّت شعوباً مختلفة وبلاداً واسعة إلى الدعوة الجديدة، وأصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدّن وقتئذ خلال نصف قرن. تعرضت الأُمة الإسلامية فى عصر هذا الإمام (عليه السلام) لخطرين كبيرين: الخطر الأول: هو خطر الانفتاح على الثقافات المتنوعة، والذى قد ينتهى بالأُمة إلى التميّع والذوبان وفقدان أصالتها، فكان لابدّ من عمل علمى يؤكّد للمسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيّتهم التشريعية المتميّزة المستمدة من الكتاب والسنّة. وكان لابدّ من تأصيل للشخصية الاسلامية، وذلك من خلال زرع بذور الاجتهاد. وهذا ما قام به الإمام على بن الحسين(عليه السلام) فقد بدأ حلقة من البحث والدرس فى مسجد الرسول(صلى الله عليه وآله) وأخذ يحدّث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية، من تفسير وحديث وفقه وتربية وعرفان، وراح يفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين. وهكذا تخرّج من هذه الحلقة الدراسيّة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، [صفحه ۲۰] وكانت هذه الحلقة المباركة هى المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه الإسلامى وكانت الأساس لحركة الفقه الناشطة. الخطر الثانى: هو الخطر الناجم عن موجة الرخاء والانسياق مع ملذّات الحياة الدنيا والإسراف فى زينة هذه الحياة المحدودة، وبالتالى ضمور الشعور بالقيم الخلقية. وقد اتّخذ الإمام زين العابدين(عليه السلام) من الدعاء أساساً لدرء هذا الخطر الكبير الذى ينخر فى الشخصية الإسلامية ويهزّها من داخلها هزّاً عنيفاً ويحول بينها وبين الاستمرار فى أداء رسالتها. ومن هنا كانت «الصحيفة السجادية» تعبيراً صادقاً عن عمل اجتماعى عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام(عليه السلام) إضافة إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدى العلوى، وتزداد إليه حاجة كلّما ازداد الشيطان للإنسانية إغراءً والدنيا فتنةً له [۵] . [صفحه ۲۱]

انطباعات عن شخصية الإمام زين العابدين

اشاره

اتّفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين(عليه السلام) وأجمعوا على الاعتراف له بالفضل، وأنّه علم شاهق فى هذه الدنيا، لايدانيه أحد فى فضائله وعلمه وتقواه، وكان من مظاهر تبجيلهم له: أنّهم كانوا يتبركون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم [۶] ، ولم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه أو التقوا به، وإنّما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم واتّجاهاتهم، فقد رسموا بإعجاب وإكبار سيرته، وأضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة والنعوت الشريفة.

اقوال و آراء معاصريه فيه

عبّر المعاصرون للإمام(عليه السلام) من العلماء والفقهاء والمؤرّخين بانطباعاتهم عن شخصيّته، وكلها إكبار وتعظيم له، سواء فى ذلك من أخلص له فى الودّ أو أضمر له العداوة والبغضاء، وفيما يلى نبذة من كلماتهم: ۱ ـ قال الصحابىّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصارى: ما رؤى فى أولاد الأنبياء مثل علىّ بن الحسين(عليه السلام)... [۷] . [صفحه ۲۲] ۲ ـ كان عبد الله بن عباس على تقدّمه فى السنّ يجلّ

الإمام (عليه السلام) وينحنى خضوعاً له وتكريماً، فإذا رآه قام تعظيماً ورفع صوته قائلاً: مرحباً بالحبيب ابن الحبيب [۸] . ۳ ـ وُصِف محمّد بن مسلم القرشى الزهرى بالفقيه، وأحد الأئمّة الأعلام وعالم الحجاز والشام [۹] وقد كان على خطّ غير أهل البيت(عليهم السلام) ولكنّه أدلى بمجموعة من الكلمات القيّمة أعرب فيها عمّا يتصف به الإمام(عليه السلام) من القيم الكريمة والمُثل العظيمة، وهذه بعض كلماته: أ ـ ما رأيت هاشمياً مثل علىّ بن الحسين... [۱۰] . ب ـ لم أدرك فى أهل البيت رجلاً ـ كان أفضل من على بن الحسين [۱۱] . ج ـ.. ما رأيت أحداً أفقه منه [۱۲] . ۴ ـ سعيد بن المسيّب: وهو من الفقهاء البارزين فى يثرب، وقال عنه الرواة: إنّه ليس من التابعين من هو أوسع منه علماً [۱۳] ، وقد صحب الإمام(عليه السلام) ووقف على ورعه، وشدّة تحرّجه فى الدين، وقد سجّل ما رآه بهذه الكلمات: أ ـ ما رأيت قطّ أفضل من علىّ بن الحسين(عليه السلام) وما رأيته قطّ إلّا مَقَتُّ نفسى... [۱۴] . ب ـ ما رأيت أورع منه... [۱۵] . ج ـ كان سعيد جالساً وإلى جانبه فتىً من قريش، فطلع الإمام(عليه السلام) فسأل [صفحه ۲۳] القريشىّ سعيداً عنه، فأجابه سعيد: هذا سيّد العابدين [۱۶] . ۵ ـ زيد بن أسلم: وكان فى طليعة فقهاء المدينة، ومن مفسِّرى القرآن [۱۷] ، وقد أدلى بعدّة كلمات بشأن الإمام(عليه السلام) منها: أ ـ ما جالست فى أهل القبلة مثله [۱۸] . ب ـ ما رأيت مثل علىّ بن الحسين فيهم (أى: فى أهل البيت) [۱۹] . ج ـ ما رأيت مثل علىّ بن الحسين فهماً حافظاً [۲۰] . ۶ ـ حماد بن زيد: وهو من أبرز فقهاء البصرة، اُعتبر من أئمّة المسلمين [۲۱] ، قال فيه: كان علىّ بن الحسين أفضل هاشمىٍّ أدركته [۲۲] . ۷ ـ يحيى بن سعيد: وهو من كبار التابعين، ومن أفاضل الفقهاء والعلماء [۲۳] ، وقد قال: سمعت علىّ بن الحسين وكان أفضل هاشمى رأيته [۲۴] . ۸ ـ لقد تعدّى الاعتراف بالفضل للإمام(عليه السلام) إلى أعدائه ومبغضيه، فهذا يزيد بن معاوية وبعد أن ألحّ عليه أهل الشام فى أن يخطب الإمام(عليه السلام) أبدى مخاوفه منه قائلاً: إنّه من أهل بيت زُقّوا العلم زقّاً، إنّه لا ينزل إلّا بفضيحتى وفضيحة آل أبى سفيان... [۲۵] . [صفحه ۲۴] ۹ ـ عبد الملك بن مروان: وهذا عدوّ آخر يقول للإمام (عليه السلام):... إنّك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وعصرك، ولقد اُوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلّا من مضى من سلفك... [۲۶] . ۱۰ ـ منصور الدوانيقى: وهذا عدوّ آخر أيضاً لأهل البيت(عليهم السلام) قد أشاد بفضل الإمام(عليه السلام) فى رسالته إلى ذى النفس الزكية بقوله: ولم يولد فيكم (أى فى العلويّين) بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) مولود مثله (أى مثل زين العابدين) [۲۷] .

آراء العلماء و المورخين فيه

۱ ـ قال اليعقوبى: كان أفضل الناس وأشدّهم عبادة، وكان يسمّى: زين العابدين، وكان يسمّى أيضاً: ذا الثفنات، لما كان فى وجهه من أثر السجود... [۲۸] . ۲ ـ قال الحافظ أبو القاسم علىّ بن الحسن الشافعى المعروف بابن عساكر: فى ترجمة الإمام(عليه السلام): كان علىّ بن الحسين ثقةً مأموناً، كثير الحديث، عالياً رفيعاً... [۲۹] . ۳ ـ قال الذهبى: كانت له جلالة عجيبة، وحقّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى؛ لشرفه وسؤدده وعلمه وتألّهه وكمال عقله... [۳۰] . ۴ ـ قال الحافظ أبو نعيم: قال: علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب(عليهم السلام) [صفحه ۲۵] زين العابدين ومنار القانتين، كان عابداً وفيّاً وجواداً صفيّاً... [۳۱] . ۵ ـ قال صفىّ الدين: كان زين العابدين عظيم الهدى والسمت الصالح... [۳۲] . ۶ ـ قال النووى: وأجمعوا على جلالته فى كلّ شىء... [۳۳] . ۷ ـ قال عماد الدين إدريس القرشى: كان الإمام علىّ بن الحسين زين العابدين أفضل أهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأشرفهم بعد الحسن والحسين عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وأكثرهم ورعاً وزهداً وعبادة [۳۴] . ۸ ـ قال النسّابة الشهير ابن عنبة: وفضائله (عليه السلام) أكثر من أن تحصى أو يحيط بها الوصف [۳۵] . ۹ ـ قال الشيخ المفيد: كان علىّ بن الحسين أفضل خلق الله بعد أبيه علماً وعملاً، وقال: قد روى عنه فقهاء العامّة من العلوم ما لا يحصى كثرة، وحُفِظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازى والأيام ما هو مشهور بين العلماء... [۳۶] . ۱۰ ـ وقال ابن تيمية: أمّا علىّ بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً... وله من الخشوع وصدقة السرّ وغير ذلك من الفضائل ما هو معروف [۳۷] . ۱۱ ـ قال الشيخانى القادرى: سيّدنا زين العابدين علىّ بن

الحسين بن أبى طالب اشتهرت أياديه ومكارمه، وطارت بالجوّ فى الجود محاسنه، عظيم القدر، رحب الساحة والصدر، وله الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناظرة [صفحه ۲۶] وثبت بالآثار المتواترة... [۳۸] . ۱۲ ـ قال محمّد بن طلحة القرشى الشافعى: هذا زين العابدين، قدوة الزاهدين، وسيّد المتقين، وإمام المؤمنين، شيمته تشهد له أنّه من سلالة رسول الله(صلى الله عليه وآله) وسمته يثبت مقام قربه من الله زلفاً، وثفناته تسجّل له كثرة صلاته وتهجّده، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها، درّت له أخلاق التقوى فتفوّقها، وأشرقت له أنوار التأييد فاهتدى بها، وآلفته أوراد العبادة فآنس بصحبتها، وحالفته وظايف الطاعة فتحلّى بحليتها، طالما اتّخذ الليل مطيّة ركبها لقطع طريق الآخرة، وظمأ الهواجر دليلاً استرشد به فى مسافة المسافرة، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة وثبت بالآثار المتواترة وشهد له أنّه من ملوك الآخرة... [۳۹] . ۱۳ ـ قال الإمام الشافعى: إنّ علىّ بن الحسين أفقه أهل المدينة [۴۰] . ۱۴ ـ قال الجاحظ: وأمّا علىّ بن الحسين فلم أرَ الخارجى فى أمره إلّا كالشيعى، ولم أرَ الشيعى إلّا كالمعتزلى، ولم أرَ المعتزلى إلّا كالعامى، ولم أرَ العامى إلّا كالخاصى، ولم أجد أحداً يتمارى فى تفضيله ويشكّ فى تقديمه... [۴۱] . ۱۵ ـ قال سبط ابن الجوزى: وهو أبو الأئمّة وكنيته أبو الحسن ويلقب بزين العابدين وسمّاه رسول الله(صلى الله عليه وآله) سيد العابدين... والسجاد؛ وذى الثفنات، والزكى والأمين، والثفنات: ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ وغلظ كالركبتين فكان طول السجود قد أثّر فى ثفناته [۴۲] . [صفحه ۲۷]

مظاهر من شخصية الإمام زين العابدين

الحلم

كان الإمام من أعظم الناس حلماً، وأكظمهم للغيظ، فمن صور حلمه التى رواها المؤرّخون: ۱ ـ كانت له جارية تسكب على يديه الماء إذا أراد الوضوء للصلاة، فسقط الإبريق من يدها على وجهه الشريف فشجّه، فبادرت الجارية قائلة: إنّ الله عزّوجلّ يقول: (والكاظمين الغيظ) وأسرع الإمام قائلاً: «كظمت غيظى»، وطمعت الجارية فى حلم الإمام ونبله، فراحت تطلب منه المزيد قائلة: (والعافين عن الناس) فقال الإمام(عليه السلام): «عفا الله عنك»، ثمّ قالت: (والله يحبّ المحسنين) فقال (عليه السلام) لها: «إذهبى فأنت حرّة» [۴۳] . ۲ ـ سبّه لئيمٌ فأشاح(عليه السلام) بوجهه عنه، فقال له اللئيم: إيّاك أعنى... وأسرع الإمام قائلاً: «وعنك أُغضى...» وتركه الإمام ولم يقابله بالمثل [۴۴] . ۳ ـ ومن عظيم حلمه (عليه السلام): أنّ رجلاً افترى عليه وبالغ فى سبّه، [صفحه ۲۸] فقال(عليه السلام) له: «إن كُنّا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك...» [۴۵] .

السخاء

أجمع المؤرِّخون على أنّه كان من أسخى الناس وأنداهم كفّاً، وأبرَّهم بالفقراء والضعفاء، وقد نقلوا نوادر كثيرة من فيض جوده، منها: ۱ ـ مرض محمّد بن أُسامة فعاده الإمام (عليه السلام)، ولمّا استقرّ به المجلس أجهش محمّد بالبكاء، فقال له الإمام(عليه السلام): ما يبكيك؟ فقال: علىّ دين، فقال له الإمام: كم هو؟ فأجاب: خمسة عشر ألف دينار، فقال له الإمام(عليه السلام): هى علىّ، ولم يقم الإمام من مجلسه حتى دفعها له [۴۶] . ۲ ـ ومن كرمه وسخائه أنّه كان يطعم الناس إطعاماً عامّاً فى كلّ يوم، وذلك فى وقت الظهر فى داره [۴۷] . ۳ ـ وكان يعول مائة بيت فى السرّ، وكان فى كلّ بيت جماعة من الناس [۴۸] .

تعامله مع الفقراء

تكريمه للفقراء

كان(عليه السلام) يحتفى بالفقراء ويرعى عواطفهم ومشاعرهم، فكان إذا أعطى سائلاً قبّله، حتى لا يُرى عليه أثر الذلّ [صفحه ۲۹] والحاجة [۴۹] ، وكان إذا قصده سائل رحّب به وقال له: «مرحباً بمن يحمل زادى إلى دار الآخرة» [۵۰] .

عطفه على الفقراء

كان(عليه السلام) كثير العطف والحنان على الفقراء والمساكين، وكان يعجبه أن يحضر على مائدة طعامه اليتامى والأضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب على ظهره حتى يأتى باباً من أبوابهم فيناولهم إيّاه [۵۱] وبلغ من مراعاته لجانب الفقراء والعطف عليهم أنّه كره اجتذاذ النخل فى الليل؛ وذلك لعدم حضور الفقراء فى هذا الوقت فيحرمون من العطاء، فقد قال(عليه السلام) لقهرمانه وقد جذّ نخلاً له من آخر الليل: «لا تفعل، ألا تعلم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى عن الحصاد والجذاذ بالليل؟!». وكان يقول: «الضغث تعطيه من يسأل فذلك حقه يوم حصاده» [۵۲] .

نهيه عن رد السائل

ونهى الإمام(عليه السلام) عن ردّ السائل؛ وذلك لما له من المضاعفات السيّئة التى منها زوال النعمة وفجأة النقمة. وأكد الإمام(عليه السلام) على ضرورة ذلك فى كثير من أحاديثه، فقد روى أبو حمزة الثمالى، قال: صلّيت مع علىّ بن الحسين الفجر بالمدينة يوم جمعة، فلمّا فرغ من صلاته نهض إلى منزله وأنا معه، فدعا مولاةً له تسمّى سكينة، فقال لها: «لا يعبر على بابى سائل إلّا أطعمتموه فإنّ اليوم جمعة»،فقال له أبو حمزة: ليس من يسأل مستحقاً، فقال(عليه السلام): «أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلا نطعمه، [صفحه ۳۰] ونردّه فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله، أطعموهم، أطعموهم، إنّ يعقوب كان يذبح كلّ يوم كبشاً فيتصدّق منه، ويأكل منه هو وعياله، وإنّ سائلاً مؤمناً صوّاماً مستحقّاً، له عند الله منزلة اجتاز على باب يعقوب يوم جمعة عند أوان إفطاره، فجعل يهتف على بابه: أطعموا السائل الغريب الجائع من فضل طعامكم، وهم يسمعونه، قد جهلوا حقّه، ولم يصدّقوا قوله، فلمّا يئس منهم وغشيه الليل مضى على وجهه، وبات طاوياً يشكو جوعه إلى الله، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً وعندهم فضلة من طعامهم، فأوحى الله إلى يعقوب فى صبيحة تلك الليلة: لقد أذللت عبدى ذلة استجررت بها غضبى، واستوجبت بها أدبى ونزول عقوبتى، وبلواى عليك وعلى ولدك، يا يعقوب أحبّ أنبيائى إلىّ وأكرمهم علىّ من رحم مساكين عبادى وقرّبهم إليه وأطعمهم وكان لهم مأوى وملجأ، أما رحمت عبدى المجتهد فى عبادته، القانع باليسير من ظاهر الدنيا؟! أما وعزّتى لأنزلنّ بك بلواى، ولأجعلنّك وولدك غرضاً للمصائب. فقال أبو حمزة: جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟ قال(عليه السلام): فى تلك الليلة التى بات فيها يعقوب وآله شباعاً وبات السائل الفقير طاوياً جائعاً» [۵۳] .

صدقاته

اشاره

وكان من أعظم ما يصبو إليه الامام زين العابدين(عليه السلام) فى حياته الصدقة على الفقراء لإنعاشهم ورفع البؤس عنهم، وكان(عليه السلام) يحثّ على الصدقة؛ وذلك لما يترتّب عليها من الأجر الجزيل، فقد قال: «ما من رجل تصدّق على مسكين مستضعف فدعا له المسكين بشىء فى تلك الساعة إلّا استجيب له» [۵۴] . ونشير إلى بعض ألوان صدقاته وجميل خصاله: [صفحه ۳۱]

التصدق بثيابه

كان(عليه السلام) يلبس فى الشتاء الخزّ، فإذا جاء الصيف تصدّق به أو باعه وتصدّق بثمنه، وكان يلبس فى الصيف ثوبين من متاع مصر ويتصدّق بهما إذا جاء الشتاء [۵۵] ، وكان يقول: «إنى لأستحى من ربّى أن آكل ثمن ثوب قد عبدت الله فيه» [۵۶] .

التصدق بما يحب

كان يتصدّق باللوز والسكّر، فسئل عن ذلك فتلا قوله تعالى: (لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبّون) [۵۷] . وروى أنّه كان يعجبه العنب، وكان صائماً فقدّمت له جاريته عنقوداً من العنب وقت الإفطار، فجاء سائل فأمر بدفعه إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه، وقدّمته إلى الامام، فطرق سائل آخر الباب، فأمر(عليه السلام) بدفع العنقود إليه، فبعثت الجارية من اشتراه منه وقدّمته للإمام، فطرق سائل ثالث الباب فدفعه الإمام إليه [۵۸] .

مقاسمة أمواله

وقاسم الإمام أمواله مرّتين فأخذ قسماً له، وتصدّق بالقسم الآخر على الفقراء والمساكين [۵۹] . [صفحه ۳۲]

صدقاته فى السر

وكان أحبّ شىء عند الإمام(عليه السلام) الصدقة فى السر، لئلّا يعرفه أحد، وقد أراد أن يربط نفسه ومن يعطيهم من الفقراء برباط الحبّ فى الله تعالى، وتوثيقاً لصلته بإخوانه الفقراء بالإسلام، وكان يحثّ على صدقة السرّ ويقول: «إنّها تطفئ غضب الربّ» [۶۰] . وقد اعتاد الفقراء على صلة لهم فى الليل، فكانوا يقفون على أبوابهم ينتظرونه، فإذا رأوه تباشروا وقالوا: جاء صاحب الجراب [۶۱] . وكان له ابن عم يأتيه بالليل فيناوله شيئاً من الدنانير فيقول له العلوى: إنّ علىّ بن الحسين لا يوصلنى، ويدعو عليه، فيسمع الإمام ذلك ويغضى عنه، ولا يُعرّفه بنفسه، ولمّا توفّى(عليه السلام) فقد الصلة، فعلم أنّ الذى كان يوصله هو الإمام علىّ بن الحسين(عليه السلام) فكان يأتى قبره باكياً ومعتذراً منه [۶۲] . وقال ابن عائشة: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السرّ حتى مات علىّ بن الحسين [۶۳] . وكان(عليه السلام) شديد التكتّم فى صلاته وهباته، فكان إذا ناول أحداً شيئاً غطّى وجهه لئلّا يعرفه [۶۴] . وقال الذهبى: إنّه كان كثير الصدقة فى السرّ [۶۵] . [صفحه ۳۳] وكان(عليه السلام) يجعل الطعام الذى يوزّعه على الفقراء فى جراب ويحمله على ظهره، وقد ترك أثراً عليه [۶۶] .

ابتغاؤه مرضاة الله

ولم يكن الإمام(عليه السلام) يبتغى فى برّه وإحسانه إلى الفقراء إلّا وجه الله عزّوجلّ والدار الآخرة، ولم تكن عطاياه وصدقاته(عليه السلام) مشوبة بأىّ غرض من أغراض الدنيا. قال الزهرى: رأيت علىّ بن الحسين فى ليلة باردة وهو يحمل على ظهره دقيقاً، فقلت له: يابن رسول الله! ما هذا؟ فأجابه(عليه السلام): «اُريد سفراً، اُعدّ له زاداً أحمله إلى موضع حريز». فقال: هذا غلامى يحمله عنك، فامتنع الإمام من إجابته، وتضرّع الزهرى إليه أن يحمله هو بنفسه عنه، إلّا ان الإمام أصرّ على ما ذهب إليه، وقال له: «ولكنّى لا أرفع نفسى عمّا ينجينى فى سفرى، ويحسّن ورودى على ما أردُ عليه، أسألك بحق الله لمّا مضيت لحاجتك». وانصرف الزهرى عن الإمام، وبعد أيام التقى به، وقد ظنّ أنّه كان على جناح سفر ولم يعِ مراده فقال له: يابن رسول الله، لست أرى لذلك السفر الذى تركته أثراً. فأجابه الإمام(عليه السلام): «يا زهرى، ليس ما ظننت، ولكنّه الموت وله أستعدُّ، إنّما الاستعداد للموت تجنّب الحرام وبذل الندى فى الخير» [۶۷] .

العزة والإباء

ومن صفات الإمام علىّ بن الحسين زين العابدين(عليه السلام) العزّة والإباء، [صفحه ۳۴] فقد ورثها من أبيه الحسين سيّد الشهداء(عليه السلام) الذى تحدّى طغاة عصره قائلاً: «والله لا أُعطيكم بيدى إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد» [۶۸] . وقد تمثّلت هذه الظاهرة الكريمة فى شخصيّة الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى قوله: «ما أحبّ أنّ لى بذلّ نفسى حمر النعم» [۶۹] . وقال فى عزة النفس: «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا» [۷۰] . ويقول المؤرخون: إنّ أحدهم أخذ منه بعض حقوقه بغير حق، وكان الإمام(عليه السلام) بمكّة، وكان الوليد بن عبد الملك حينئذ متربّعاً على كرسى الخلافة وقد حضر موسم الحج، فقيل له: لو سألت الوليد أن يردّ عليك حقّك؟ فقال لهم كلمته الخالدة فى دنيا العزّ والإباء: «ويحك أفى حرم الله عزّوجلّ أسأل غير الله عزّوجلّ؟! إنّى آنف أن أسأل الدنيا من خالقها، فكيف أسألها مخلوقاً مثلى؟!» [۷۱] . ومن عزّته: أنّه ما أكل بقرابته من رسول الله(صلى الله عليه وآله) درهماً قطّ [۷۲] .

الزهد

لقد اشتهر فى عصره(عليه السلام) أنّه من أزهد الناس حتى أنّ الزهرى حينما سُئل عن أزهد الناس قال: علىّ بن الحسين [۷۳] . ورأى(عليه السلام) سائلاً يبكى فتألّم له وراح يقول: «لو أنّ الدنيا كانت فى كفّ هذا [صفحه ۳۵] ثمّ سقطت منه لما كان ينبغى له أن يبكى عليها» [۷۴] . وقال سعيد بن المسيب: كان علىّ بن الحسين(عليه السلام) يعظ الناس ويزهّدهم فى الدنيا ويرغبهم فى أعمال الآخرة بهذا الكلام فى كلّ جمعة فى مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وحفظ عنه وكتب، وكان يقول: «أيّها الناس، اتّقوا الله واعلموا أنّكم اليه تُرجعون... يابن آدم، إنّ أجلك أسرع شىء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك أن يدركك، وكأن قد أُوفيت أجلك وقبض الملك روحك وصرت إلى قبرك وحيداً، فردّ اليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان ناكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك... فاتّقوا الله عباد الله، واعلموا أنّ الله عزّوجلّ لم يحبّ زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه، ولم يرغّبهم فيها وفى عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنّما خلق الدنيا وأهلها ليبلوهم فيها أيّهم أحسن عملاً لآخرته، وأيم الله لقد ضرب لكم فيه الأمثال، وعرّف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوة إلّا بالله، فازهدوا فيما زهّدكم الله عزّوجلّ فيه من عاجل الحياة الدنيا... ولا تركنوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركونَ من اتّخذها دار قرار ومنزل استيطان، فإنّها دار بُلغة، ومنزل قلعة، ودار عمل، فتزوّدوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرّق أيّامها، وقبل الإذن من الله فى خرابها... جعلنا الله وإيّاكم من الزاهدين فى عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لآجل ثواب الآخرة، فإنّما نحن به وله...» [۷۵] .

الانابة إلى الله تعالى

إنّ اشتهار الإمام بلقب زين العابدين وسيّد الساجدين ممّا يشير إلى وضوح عنصر الإنابة إلى الله والانقطاع اليه فى حياة الإمام وسيرته [صفحه ۳۶] وشخصيّته. على أنّ أدعية الصحيفة السجّادية هى الدليل الآخر على هذه الحقيقة، فإنّ إلقاء نظرة سريعة وخاطفة على عناوين الأدعية يكشف لنا مدى التجاء الإمام إلى الله فى شؤون حياته، فما من موقف إلّا وللإمام فيه دعاء وابتهال وتضرّع، هذا فضلاً عن مضامين الأدعية التى يكاد ينفرد بها هو(عليه السلام) فى هذه الصحيفة المعروفة وغيرها، لقد ذاب الإمام فى محبّة الله وأخلص له أعظم الإخلاص، وقد انعكس ذلك على جميع حركاته وسكناته. وممّا رواه المؤرخون: أنّه اجتاز على رجل جالس على باب رجل ثرىّ فبادره الإمام قائلاً: «ما يقعدك على باب هذا المترف الجبار؟ فقال الرجل: البؤس (أى: الفقر)، فقال له(عليه السلام): قم فأُرشدك إلى باب خير من بابه وإلى ربّ خير لك منه...» ونهض معه الرجل إلى مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعلّمه ما

يعمله من الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن وطلب الحاجة من الله والالتجاء إلى حصنه الحريز [۷۶] .

سيرته فى بيته

كان الإمام زين العابدين(عليه السلام) من أرأف الناس وأبرّهم وأرحمهم بأهل بيته، وكان لا يتميّز عليهم، وقد أُثر عنه أنّه قال: «لَئن أدخل إلى السوق ومعى دراهم ابتاع بها لعيالى لحماً وقد قرموا [۷۷] أحبّ اليَّ من أن أعتق نسمة» [۷۸] . وكان يبكر فى خروجه مصبحاً لطلب الرزق لعياله، فقيل له: إلى أين [صفحه ۳۷] تذهب؟ فقال: أتصدّق لعيالى قبل أن أتصدّق. ثم قال: من طلب الحلال، فإنّه من الله عزّوجلّ صدقة عليهم [۷۹] . وكان (عليه السلام) يعين أهله فى حوائجهم البيتية، ولا يأمر أحداً منهم فيما يخصّ شأناً من شؤونه الخاصة، كما كان يتولّى بنفسه خدمة نفسه خصوصاً فيما يخصّ إلى شؤون عبادته، فإنّه لم يك يستعين بها أو يعهد إلى أحد فى قضائها.

مع أبويه

وقابل الإمام المعروف الذى أسدته إليه مربّيته بكلّ ما تمكّن عليه من أنواع الإحسان، وقد بلغ من جميل برّه بها أنّه امتنع أن يؤاكلها فلامه الناس، وأخذوا يسألونه بإلحاح قائلين: أنت أبرّ الناس وأوصلهم رحماً، فلماذا لا تؤاكل اُمّك؟ فأجابهم جواب من لم تشهد الدنيا مثل أدبه وكماله قائلاً: «أخشى أن تسبق يدى إلى ما سبقت إليه عينها فأكون عاقّاً لها» [۸۰] . ومن برّه لأبويه دعاؤه لهما، وهو من أسمى القواعد فى التربية الإسلامية الهادفة، وهذه مقاطع من هذه اللوحة الخالدة من دعائه(عليه السلام): «... واخصص اللهمّ والدىّ بالكرامة لديك والصلاة منك يا أرحم الراحمين... وألهمنى علم ما يجب لهما علىّ إلهاماً، واجمع لى علم ذلك كلّه تماماً، ثم استعملنى بما تلهمنى منه، ووفّقنى للنفوذ فيما تبصرنى من علمه... اللهم اجعلنى أهابهما هيبة السلطان العسوف، وأبرّهما برّ الاُم الرؤوف، واجعل طاعتى لوالدىّ وبرّى بهما أقرّ لعينى من رقدة [صفحه ۳۸] الوسنان، وأثلج لصدرى من شربة الظمآن، حتى اُوثر على هواى هواهما، واُقدّم على رضاى رضاهما، واستكثر برّهما بى وإن قلّ، واستقلّ برّى بهما وإن كثر، اللهمّ خفّض لهما صوتى، وأطب لهما كلامى، وألِن لهما عريكتى، واعطف عليهما قلبى، وصيرنى بهما رفيقاً وعليهما شفيقاً... اللهمّ اشكرلهما تربيتى، وأثبهما على تكرمتى، واحفظ لهما ما حفظاه منّى فى صغرى... اللهمّ لا تُنسنى ذكرهما فى أدبار صلواتى، وفى إناً من آناء ليلى، وفى كل ساعة من ساعات نهارى... اللهمّ صلّ على محمد وآله، واغفر لى بدعائى لهما، واغفر لهما ببرّهما بى...» [۸۱] .

مع أبنائه

أمّا سلوك الإمام علىّ بن الحسين زين العابدين(عليه السلام) مع أبنائه فقد تميّز بالتربية الإسلامية الرفيعة لهم، فغرس فى نفوسهم نزعاته الخيّرة واتّجاهاته الإصلاحية العظيمة، وقد صاروا بحكم تربيته لهم من ألمع رجال الفكر والعلم والجهاد فى الإسلام. فكان ولده الإمام محمد الباقر(عليه السلام) أشهر أئمّة المسلمين، وأكثرهم عطاءً للعلم. وأمّا ولده عبد الله الباهر فقد كان من أبرز علماء المسلمين فى فضله وسمّو منزلته العلمية. أمّا ولده زيد فقد كان من أجلّ علماء المسلمين، وقد برعَ فى علوم كثيرة كعلم الفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام وغيرها، وهو الذى تبنّى حقوق المظلومين المضطهدين، وقاد مسيرتهم الدامية فى ثورته التى نشرت الوعى السياسى فى المجتمع الاسلامى، وساهمت مساهمة إيجابية وفعّالة [صفحه ۳۹] فى الاطاحة بالحكم الاُموى [۸۲] . وزوّد الإمام (عليه السلام) أبناءه ببعض الوصايا التربوية لتكون منهجاً يسيرون عليه، قال (عليه السلام): ۱ ـ «يا بُنىّ، اُنظر خمسةً فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا تُرافقهم فى طريق» فقال له ولده: من هم؟ قال(عليه السلام): «إيّاك ومصاحبة الكذّاب، فإنّه بمنزلة السراب، يقرّب لك البعيد ويبعّد لك القريب. وإيّاك ومصاحبة الفاسق، فإنّه بايعك بأكلة أو أقلّ من ذلك. وإيّاك ومصاحبة البخيل، فإنّه يخذلك فى ماله، وأنت أحوج

ما تكون إليه. وإيّاك ومصاحبة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك. وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّى وجدته ملعوناً فى كتاب الله...» [۸۳] . ۲ ـ قال (عليه السلام): «يا بُنىّ، اصبر على النائبة، ولا تتعرّض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى شىء مضرّته عليك أعظم من منفعته لك...» [۸۴] . ۳ ـ وقال(عليه السلام): «يا بُنىّ، إنّ الله لم يرضك لى فأوصاك بى، ورضينى لك فحذّرنى منك، واعلم أنّ خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودّة إلى التفريط فيه، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له» [۸۵] . [صفحه ۴۰]

مع مماليكه

وسار الإمام(عليه السلام) مع مماليكه سيرة تتّسم بالرفق والعطف والحنان، فكان يعاملهم كأبنائه، وقد وجدوا فى كنفه من الرفق ما لم يجدوا فى ظلّ آبائهم، حتّى أنّه لم يعاقب أمَةً ولا عبداً فيما إذا اقترفا ذنباً [۸۶] . وقد كان له مملوك فدعاه مرّتين فلم يجبه، وفى الثالثة قال له الإمام برفق ولطف: «يا بُنىَّ، أما سمعت صوتى؟» قال: بلى...، فقال له(عليه السلام): «لِمَ لَمْ تُجبْنى؟» فقال: أمنت منك، فخرج الإمام وراح يحمد الله ويقول: «الحمد لله الذى جعل مملوكى يأمننى...» [۸۷] . [صفحه ۴۳]

نشأة الإمام زين العابدين

اشاره

لقد توفّرت للإمام زين العابدين(عليه السلام) جميع المكوّنات التربوية الرفيعة التى لم يظفر بها أحد سواه، وقد عملت على تكوينه وبناء شخصيّته بصورة متميّزة، جعلته فى الرعيل الأول من أئمّة المسلمين الذين منحهم الرسول(صلى الله عليه وآله) ثقته، وجعلهم قادة لأُمّته وأُمناء على أداء رسالته. نشأ الامام فى أرفع بيت وأسماه ألا وهو بيت النبوّة والإمامة الذى أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه [۸۸] ، ومنذ الأيام الأُولى من حياته كان جده الإمام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب(عليه السلام) يتعاهده بالرعاية ويشعّ عليه من أنوار روحه التى طبّق شذاها العالم بأسره، فكان الحفيد ـ بحقٍّ ـ صورة صادقة عن جدّه، يحاكيه ويضاهيه فى شخصيّته ومكوّناته النفسية. كما عاش الإمام(عليه السلام) فى كنف عمّه الزكى الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) سيّد شباب أهل الجنّة وريحانة رسول الله(صلى الله عليه وآله) وسبطه الأول، إذ كان يغدق عليه من عطفه وحنانه، ويغرس فى نفسه مُثُلَه العظيمة وخصاله السامية، وكان الإمام(عليه السلام) طوال هذه السنين تحت ظلّ والده العظيم أبى الأحرار وسيّد [صفحه ۴۴] الشهداء الإمام الحسين بن علىّ(عليهما السلام) الذى رأى فى ولده على زين العابدين(عليه السلام) امتداداً ذاتيّاً ومشرقاً لروحانيّة النبوّة ومُثُل الإمامة، فأولاه المزيد من رعايته وعنايته، وقدّمه على بقية أبنائه، وصاحَبه فى أكثر أوقاته. لقد ولد الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى المدينة فى اليوم الخامس من شعبان سنة (۳۶ هـ) [۸۹] يوم فتح البصرة، حيث إنّ الإمام على(عليه السلام) لم ينتقل بعد بعاصمته من المدينة الى الكوفة. وتوفّى بالمدينة سنة (۹۴ أو ۹۵ هـ). وهناك من المؤرخين ذكر أنّه ولد فى سنة (۳۸ هـ) وفى مدينة الكوفة حيث كان جدّه الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) قد اتّخذها عاصمة لدولته بعد حرب الجمل، فمن الطبيعى أن يكون الحسين السبط(عليه السلام) مع أهله عن أبيه(عليه السلام) فى هذه الفترة بشكل خاص [۹۰] .

امه

اسمها «شهربانو» أو «شهر بانويه» أو «شاه زنان» بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس [۹۱] ، وذكر البعض أنّ أُمه قد أجابت نداء ربّها أيّام نفاسها فلم تلد سواه [۹۲] . [صفحه ۴۵]

كناه

أبو الحسن، أبو محمّد، أبو الحسين، أبو عبد الله [۹۳] .

القابه

«زين العابدين» و «ذو الثفنات» و «سيّد العابدين» و «قدوة الزاهدين» و «سيّد المتّقين» و «إمام المؤمنين» و «الأمين» و «السجّاد» و «الزكى» و «زين الصالحين» و «منار القانتين» و «العدل» و «إمام الأُمّة» و «البكّاء»، وقد اشتهر بلقبى «السجاد» و «زين العابدين» أكثر من غيرهما. إنّ هذه الألقاب قد منحها الناس للإمام عندما وجدوه التجسيد الحيّ لها، والمصداق الكامل لـ (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) [۹۴] ، وبعض الذين منحوه هذه الألقاب لم يكونوا من شيعته، ولم يكونوا يعتبرونه إماماً من قبل الله تعالى، لكنّهم ما استطاعوا أن يتجاهلوا الحقائق التى رأوها فيه. لقد ذكر المؤرّخون ما يبيّن لنا بعض العلل التأريخية لجملة من هذه الألقاب المباركة: ۱ ـ روى عن الصحابى الجليل جابر بن عبد الله الانصارى أنّه قال: كنت جالساً عند رسول الله(صلى الله عليه وآله) والحسين فى حجره وهو يلاعبه فقال(صلى الله عليه وآله): «يا جابر، يولد له مولود اسمه علىّ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم (سيّد العابدين) [صفحه ۴۶] فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمّد، فإن أنت أدركته يا جابر فاقرأه منّى السلام» [۹۵] . ۲ ـ كان الزهرى إذا حدّث عن علىّ بن الحسين(عليه السلام) قال: حدّثنى «زين العابدين» علىّ بن الحسين، فقال له سفيان بن عيينة: ولِمَ تقول له زين العابدين؟ قال: لأنّى سمعت سعيد بن المسيب يحدّث عن ابن عباس أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين زين العابدين؟ فكأنّى أنظر إلى ولدى علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب يخطر (يخطو) بين الصفوف» [۹۶] . ۳ ـ وجاء عن الإمام أبى جعفر الباقر(عليه السلام) أنّه قال: «كان لأبى فى مواضع سجوده آثار ناتئة، وكان يقطعها فى السنة مرتّين، فى كلّ مرة خمس ثفنات، فسمّى ذا الثفنات لذلك» [۹۷] . ۴ ـ كما جاء عنه عن كثرة سجود أبيه: ما ذكر لله عزّوجلّ نعمة عليه إلّا وسجد، ولا دفع الله عنه سوءً إلّا وسجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلّا وسجد، وكان أثر السجود فى جميع مواضع سجوده فسمّى بالسجّاد [۹۸] . [صفحه ۴۷]

مراحل حياة الإمام زين العابدين

اشارة

تنقسم حياة الإمام زين العابدين(عليه السلام) ـ كما تنقسم حياة سائر الأئمة(عليهم السلام) ـ الى مرحلتين متميّزتين: ۱ ـ مرحلة ما قبل التصدّى للإمامة والزعامة. ۲ ـ مرحلة التصدّى وممارسة القيادة حتى الشهادة. لقد عاش الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى المرحلة الأُولى من حياته فى ظلال جدّه الإمام أمير المؤمنين، وعمّه الإمام الحسن المجتبى وأبيه الإمام الحسين سيد الشهداء(عليهم السلام) مدة تناهز العقدين ونصف العقد، حيث قضى فى كنف جدّه الإمام على(عليه السلام) ما يزيد قليلاً عن أربع سنوات، وما لا يقل عن سنتين لو كانت ولادته سنة (۳۸ هـ). بينما قضى عقداً آخر من حياته فى كنف عمّه وأبيه(عليهما السلام) حيث استشهد عمّه الإمام الحسن السبط(عليه السلام) سنة ۵۰ هجرية. كما قضى عقداً ثانياً فى ظلّ قيادة أبيه الحسين السبط(عليه السلام) وهى الفترة الواقعة بين مطلع سنة (۵۰ هـ) وبداية سنة (۶۰ هـ). لقد عاش الإمام زين العابدين(عليه السلام) فترة المخاض الصعب خلال المرحلة الأُولى من حياته وقضاها مع كل من جدّه وعمّه وأبيه(عليهم السلام)، واستعدّ مراحل حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام)) [صفحه ۴۸] بعدها لتحمّل أعباء الإمامة والقيادة بعد استشهاد أبيه والصفوة من أهل بيته وأصحابه فى ملحمة عاشوراء الخالدة التى مهّد لها معاوية بن أبى سفيان وتحمّل وزرها ابنه يزيد المعلن بفسقه والمستأثر بحكم الله فى أرض الإسلام المباركة. وأمّا المرحلة الثانية من حياته الكريمة قد

ناهزت ثلاثة عقود ونصف عقد من عمره الشريف، وعاصر خلالها كُلًّا من حكم يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبدالملك بن مروان، ثم اغتالته الأيدى الأُموية الأثيمة بأمر من الحاكم وليد بن عبدالملك بن مروان واستشهد فى (۲۵) من المحرّم أو ما يقرب منه سنة (۹۴) أو (۹۵) هجرية عن عمر يناهز (۵۷) سنة أو دونها قليلًا [۹۹] فكانت مدّة إمامته وزعامته حوالى (۳۴) سنة. وفى هذه الدراسة نقسّم المرحلة الثانية من حياة هذا الإمام الحافلة بأنواع الجهاد الى قسمين متميزين من الكفاح والجهاد: الأوّل: جهاده بعد ملحمة عاشوراء وقبل استقراره فى المدينة. الثانى: جهاده بعد استقراره فى المدينة. وعلى هذا التقسيم سوف ندرس حياته ضمن مراحل ثلاث: المرحلة الأُولى: حياته قبل استشهاد أبيه(عليه السلام). المرحلة الثانية: حياته بعد استشهاد أبيه وقبل استقراره فى المدينة. المرحلة الثالثة: حياته بعد استقراره فى المدينة. [صفحه ۴۹]

الامام زين العابدين من الولادة الى الإمامة

اشاره

وتتضمّن استعراض عصر الإمام(عليه السلام) وحياته قبل كربلاء، أى من الولادة حتى استشهاد أبيه(عليه السلام) من سنة (۳۸ أو ۳۶ هـ) إلى سنة (۶۱ هـ). لقد عاصر الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى مرحلتى الطفولة والفتوّة حكم معاوية بن أبى سفيان الذى تميّز بالاضطراب أولاً ثمّ تلاه القمع فى العراق، والتأزّم فى الحجاز، وإقصاء السُنّة وظهور البدعة. ولقد استشهد الإمام أمير المؤمنين علىّ(عليه السلام) فى الكوفة فى شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة، فيما كان يعبّئ الناس لحرب جديدة مع معاوية، وإثر استشهاده(عليه السلام) بايع أهل العراق ولده الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) خليفة عليهم، إلّا أنّ قلوب أغلب المبايعين لم تكن تصدّق ألسنتهم، فلا ينتظر من المتظاهرين بالتشيّع فى الكوفة وفى جيش الإمام علىٍّ(عليه السلام) ـ الذين آذوه إلى الدرجة التى تمنّى فيها غير مرّة الموت ـ أن يكون سلوكهم مع ولده الحسن(عليه السلام) أفضل ممّا كان معه. وكانت الكوفة فى السنوات الأخيرة من عمر الإمام علىّ(عليه السلام) تضمّ مختلف الاتجاهات والجماعات، فكان هنالك اللاهثون وراء السلطة، [صفحه ۵۰] الطامعون فى أن يوليهم الخليفة الجديد منصباً ما والمسلمون الجدد الذين دفعتهم الآمال الكبيرة إلى الإعراض عن مدنهم والتوجّه إلى عاصمة الخلافة على أمل الحصول على عمل يحقّق رغباتهم، والانتهازيون من الموالى الذين تحالفوا مع هذه القبيلة العربية أو تلك لتغطّى على تآمرهم؛ إذ لا يجرؤون على التحرّك دون غطاء عروبى. لقد تقوّم المجتمع الكوفى وقتذاك بهذه الجماعات التى وجّهت قدرتها لإيجاد العراقيل والعقبات أمام حركة الإمام الحسن السبط(عليه السلام) عندما اشترط قيس بن سعد بن عبادة بيعته للإمام الحسن(عليه السلام) بمحاربة أهل الشام، لكنّ الإمام اضطرّ إلى الصلح مع معاوية بعد أن كشفت أكثر قوات الإمام ما كانت تضمر من أهداف تآمرية على شخص الإمام، والمخلصين من أصحابه بإنضواء بعضهم تحت لواء معاوية، وبثّهم الإشاعات التى أسفرت عن التخاذل المقيت، حتى كتب من كتب منهم إلى معاوية بتسليمهم إمامهم وقائدهم إلى معاوية. لقد امتازت الفترة الواقعة بين سنة (۴۱ هـ) وسنة (۶۰ هـ) بتشديد القهر والقمع على أتباع أهل البيت(عليهم السلام) فى العراق، ويتبيّن من خلال تعامل معاوية مع زعماء هذه المنطقة ـ الذين كانوا يلتقونه بين الحين والآخر ـ الدرجة التى بلغها سخطه على أهل العراق. وقد انكفأ السياسيون العراقيون ـ الذين خدعوا فى حرب صفّين وسلّطوا أهل الشام على مقدراتهم ـ فى بيوتهم إبّان حكم معاوية، لكنّهم كانوا ينتظرون أن تسنح لهم فرصة جديدة للتحرك. ومن جهة أُخرى لحق بالمسلمين المخلصين ـ الذين نشأوا على التربية الإسلامية النقية وارتفعوا عن المنظار القومى والقبلى أو نظروا من خلاله [صفحه ۵۱] بالشكل الذى لم يضرّ بدينهم ـ أذىً أكبر ممّا لحق بالطائفة الأُولى، إذ كانوا يرون فى عهد معاوية ـ الذى امتدّ نحو عشرين عاماً ـ اندراس سنّة النبىّ(صلى الله عليه وآله). لقد ظهرت البدعة وساد النظام الملكى عوضاً عن الخلافة، واستلم مقاليد أُمور المسلمين أفراد أُسرة قامت بكلّ ما بوسعها من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين، حتى أنّ ولداً غير شرعىّ من

آل ثقيف يصبح ـ وبشهادة بائع خمر ـ أخاً لمعاوية [۱۰۰] . وخلافاً لصريح القرآن الكريم لقد بثّ معاوية الجواسيس بين الناس ليحصوا عليهم أنفاسهم، ونسخ الوفاء بالعهد والإيمان، فقتلوا حجر بن عديٍّ بعد كلّ الضمانات التى أعطوها له، وبمؤامرة نسج خيوطها معاوية دسّت جعدة بنت الأشعث بن قيس السمّ لزوجها الإمام الحسن المجتبى سبط رسول الله(صلى الله عليه وآله). إلى عشرات الممارسات الأُخرى المخالفة لصريح القرآن وسنّة النبىّ(صلى الله عليه وآله) التى كان يتّسم بها ذلك العهد. فكانت النتيجة أنّه لم يبقَ أىّ مظهر اسلامىٍّ للحكومة الإسلامية فى الشام والعراق اللّذين كانا يمثّلان أخطر مركزين فى الدولة آنذاك، كما اقتصر فقه المسلمين على الصلاة والصوم والحجّ والزكاة وما يسمّى بالجهاد، وكان المتديّنون المخلصون يتألّمون بشدّة لتفشّى البدع، فكانوا يتربّصون الفرص التى تتيح لهم إقصاء ما ابتدعه معاوية فى عصره باسم الإسلام. [صفحه ۵۲]

الوضع السياسى فى العراق عند موت معاوية

وعندما مات معاوية اعتبر الفريقان المتنفّذان فى العراق أنّ الفرصة باتت مؤاتية: أ ـ فريق أهل الدين الذين عاشوا آلام المسلمين وأحزنهم غياب سُنة النبىّ(صلى الله عليه وآله)، وكانوا يستهدفون القضاء على النظام الملكى وإعادة الحكومة الإسلامية كما كانت فى عصر الخلفاء السابقين على الأقل. ب ـ السياسيون المحترفون اللاهثون وراء السلطة الذين كانوا يرومون وضع حدّ لتحكّم الشام بالعراق. وفى الأيام التى كان العراق فيها يغصّ بالأحداث الخطيرة كان للأجواء فى الشام طابع آخر. كان يزيد فى قرية حوارين [۱۰۱] عندما هلك والده معاوية، فعاد بمساعى والى الشام «الضحّاك بن قيس» إلى دمشق ليعلن نفسه خليفة للمسلمين، وأسرع إلى محاولة تبديد مخاوفه من الأشخاص الذين سيعارضونه، فكتب فى الأيام الأُولى من خلافته رسالة إلى حاكم المدينة طلب منه فيها أن يأخذ البيعة له من الحسين بن علىّ(عليه السلام) وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير، وكان واضحاً من البداية أنّ الحسين(عليه السلام) لن يبايع يزيد، واعتبر ابن الزبير نفسه خليفة، إلّا أنّ الناس تجاهلوه، ولم يكن لابن عمر أىّ دور فى الأوضاع، فلن تحقّق بيعته أو عدمها أىّ ضرر بخلافة يزيد، من هنا فإنّ يزيد لا يخشى إلّا [صفحه ۵۳] الحسين بن علىّ(عليه السلام) ويتعجّل أن يتبيّن موقفه. وفى تلك الفترة كان من الطبيعى أن يختار العراق ـ الذى كان يتحيّن الفرص ـ ابن بنت النبىّ(صلى الله عليه وآله) قائداً له ليحقّق أهداف المؤمنين المخلصين والسياسيين المحترفين فى آن واحد، باعتباره الشخص الوحيد الذى يمكنه إحياء سنّة النبىّ(صلى الله عليه وآله) والقضاء على البدع، وأنّه الوحيد القادر على استقطاب قلوب الناس بشرافة نسبه وجلالة قدره وكرامة نفسه وتقواه، وهو الأشدّ رفضاً للظلم، ولهذا السبب رفض مبايعة يزيد. ومن هنا تشكّلت المجالس وانعقدت الجماعات فى الكوفة فكانت النتيجة أن وُجّهت الدعوة إلى الحسين بن علىّ ابن بنت النبىّ(صلى الله عليه وآله) فى الحجاز لينتقل إلى العراق، وتضمّنت الدعوة المؤكدة بأنّ أهل الكوفة على أُهبة الاستعداد لقتال الأمويّين الذين غصبوا الحكم تحت راية الحسين(عليه السلام). وقد بعث الحسين(عليه السلام) ابن عمّه مسلم بن عقيل إلى الكوفة ومعه إجابات الإمام الحسين(عليه السلام) على رسائل الكوفيين. وقد التف الكوفيّون حول ابن عقيل ورحّبوا به وأكّدوا له مرّةً أُخرى استعدادهم لخوض الحرب ضدّ طُغاة الشام تحت قيادة الحسين، فأرسل إلى الحسين(عليه السلام) رسالة أوضح فيها أنّ فى الكوفة مئة ألف رجل يتعهّدون بمناصرة الإمام مشدّداً على ضرورة إسراع الإمام فى التحرّك إلى العراق. والمدهش أنّ رسائل بعثت فى تلك الأيام من الكوفة إلى الشام تؤكّد ليزيد أنّه إذا أراد الكوفة فإنّ عليه أن يبعث عليها حاكماً مقتدراً، لأنّ حاكمها النعمان بن بشير أظهر ضعفاً فى تعاطيه مع الأحداث. [صفحه ۵۴] وقد تباحث يزيد فى هذا الأمر مع مستشاره الرومى السيرجون، الذى أشار عليه بتعيين عبيد الله بن زياد حاكماً على الكوفة، وبوصول ابن زياد الى الكوفة تخلّى أهلها عن مسلم، وأتاحوا لابن زياد قتله مع مضيّفه هانئ بن عروة، ومن جهة أُخرى كان الإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) وعدد من أنصاره فى الطريق إلى العراق، والإمام زين العابدين (عليه السلام) يرافق والده فى كل هذه الظروف العصيبة حتى وصلوا العراق [۱۰۲] .

النص على إمامة زين العابدين

لقد نصّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) على إمامة اثنى عشر إماماً من أهل بيته الأطهار، وعيّنَهم بذكر أسمائهم وأوصافهم، كما هو المعروف من حديث الصحابى جابر بن عبدالله الأنصارى وغيره عند العامّة والخاصّة [۱۰۳] . كما نصّ كلّ إمام معصوم على الإمام الذى يليه قبل استشهاده فى مواطن عديدة بما يتناسب مع ظروف عصره، وقد كان النصّ يكتب ويودع عند أحد سرّاً، ويجعل طلبه دليلاً على الاستحقاق، ونلاحظ تكرّر هذه الظاهرة فى حياة أبى عبدالله الحسين(عليه السلام) بالنسبة لابنه زين العابدين(عليه السلام) تارة فى المدينة وأُخرى فى كربلاء قبيل استشهاده. وممّا روى من النصّ على إمامة ولده(عليه السلام) ما رواه الطوسى، عن أبى جعفر الباقر(عليه السلام): أنّ الحسين لمّا خرج الى العراق دفع الى اُمّ سلمة زوجة [صفحه ۵۵] النبىّ(صلى الله عليه وآله) الوصيّة والكتب وغير ذلك وقال لها: «إذا أتاك أكبر وُلدى فادفعى إليه ما قد دفعتُ إليك». فلما قُتل الحسين(عليه السلام) أتى علىّ بن الحسين(عليه السلام) اُمّ سلمة فدفعت إليه كلّ شىء أعطاها الحسين(عليه السلام). وفى نصٍّ آخر: أنّه(عليه السلام) جعل طلبها منها علامة على إمامة الطالب لها من الأنام فَطلبها زين العابدين(عليه السلام) [۱۰۴] . وروى الكلينى عن أبى الجارود عن الإمام الباقر(عليه السلام): أنّ الحسين(عليه السلام) لمّا حضره الذى حضره دعا ابنته فاطمة الكبرى فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصيّة ظاهرة، وكان علىّ بن الحسين(عليه السلام) مريضاً لا يرون أنّه يبقى بعده، فلمّا قُتل الحسين(عليه السلام) ورجع أهل بيته الى المدينة دفعت فاطمة الكتاب الى علىّ بن الحسين(عليه السلام) [۱۰۵] . وسوف نلاحظ فى احتجاج الإمام(عليه السلام) مع عمّه محمد بن الحنفيّة أنّه قال له: «إنّ أبى صلوات الله عليه أوصى إلىّ قبل أن يتوجّه الى العراق وعهد إلىّ فى ذلك قبل أن يستشهد بساعة» [۱۰۶] .

الامام زين العابدين يوم عاشوراء

إنّ أشدّ ما كان يحزّ فى نفوس أهل بيت الرسالة ومحبّيهم ما رواه حميد ابن مسلم، وهو شاهد عيان بعد ظهر اليوم العاشر من المحرّم إثر استشهاد [صفحه ۵۶] الإمام الحسين(عليه السلام) إذ قال: لقد كنت أرى المرأة من نسائه وبناته وأهله تنازع ثوبها من ظهرها حتى تغلب عليه فيُذهب به منها. ثمّ انتهينا إلى علىّ بن الحسين(عليه السلام) وهو منبسط على فراش وهو شديد المرض، ومع شمر جماعة من الرجّالة، فقالوا له: ألا تقتل هذا العليل؟ فقلت: سبحان الله أيقتل الصبيان؟! إنّما هذا صبىٌ وإنّه لما به، فلم أزل حتى دفعتهم عنه. وجاء عمر بن سعد فصاحت النساء فى وجهه وبكين، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النسوة ولا تتعرّضوا لهذا الغلام المريض... من أخذ من متاعهنّ شيئاً فليردّه عليهن، فوالله ما ردّ أحد منهم شيئاً [۱۰۷] . وهكذا شارك الإمام زين العابدين(عليه السلام) أباه الحسين السبط(عليه السلام) فى جهاده ضد الطغاة ولكنه لم يرزق الشهادة مع أبيه والأبرار من أهل بيته وأصحابه، فإنّ الله سبحانه كان قد حفظه ليتولّى قيادة الاُمّة بعد أبيه(عليه السلام) ويقوم بالدور المعدّ له لصيانة رسالة جده(صلى الله عليه وآله) من أيدى العتاة العابثين وانتحال الضالّين المبطلين ومن التيارات الوافدة على حضيرة الإسلام التى أخذت رقعتها بالاتّساع والانتشار السريع. [صفحه ۵۹]

الامام زين العابدين من كربلاء الى المدينة

الامام زين العابدين بعد ملحمة عاشوراء

اشارة

ذكر المؤرّخون عن شاهد عيان أنّه قال: قدمت الكوفة فى المحرّم من سنة احدى وستّين، منصرف علىّ بن الحسين(عليه السلام)

بالنسوة من كربلاء ومعه الأجناد يحيطون بهم، وقد خرج الناس للنظر اليهم، فلمّا أُقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء الكوفة يبكين، ويلتدِمنَ [۱۰۸]، فسمعت عليّ بن الحسين وهو يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلّة وفى عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه: «إنّ هؤلاء النسوة يبكين فمن قتلنا؟!» [۱۰۹]. وعندما أدخلوا الإمام السجاد(عليه السلام) على ابن زياد سأله من أنت؟ فقال: «أنا عليّ بن الحسين»، فقال له: أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟ فقال عليّ(عليه السلام): «قد كان لى أخ يسمّى عليّاً قتله الناس، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال عليّ بن الحسين(عليه السلام): (الله يتوفّى الأنفس حين موتها)، فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة لجوابى وفيك بقية للردّ عليّ؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه [۱۱۰]. [صفحه ۶۰] فتعلّقت به عمّته زينب وقالت: ياابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: لا والله لا أُفارقه فإن قتلته فاقتلنى معه، فقال لها عليّ(عليه السلام): اسكتى يا عمّة حتى أُكلّمه، ثمّ أقبل عليه فقال: أبالقتل تهدّدنى ياابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة؟ ثمّ أمر ابن زياد بعلى بن الحسين(عليه السلام) وأهل بيته فحملوا إلى دار بجنب المسجد الأعظم، ولمّا أصبح ابن زياد أمر برأس الحسين(عليه السلام) فطيف به فى سكك الكوفة كلّها وقبائلها، ولمّا فرغ القوم من الطواف به فى الكوفة ردّوه إلى باب القصر [۱۱۱]. ثمّ إنّ ابن زياد نصب الرؤوس كلّها بالكوفة على الخشب، كما أنّه كان قد نصب رأس مسلم بن عقيل من قبل بالكوفة. وكتب ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين(عليه السلام) وخبر أهل بيته [۱۱۲] كما بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة ـ وهو من بنى أُمية ـ يخبره بقتل الحسين(عليه السلام). ولمّا وصل كتاب ابن زياد إلى الشام أمره يزيد بحمل رأس الحسين(عليه السلام) ورؤوس من قتل معه إليه، فأمر ابن زياد بنساء الحسين(عليه السلام) وصبيانه فجُهِّزوا، وأمر بعليّ بن الحسين(عليهما السلام) فغُلّ بغِلٍّ إلى عنقه، ثمّ سرّح بهم فى أثر الرؤوس مع مجفر بن ثعلبة العائذى وشمر بن ذى الجوشن، وحملهم على الأقتاب، وساروا بهم كما يسار بسبايا الكفار، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس، فلم يكلّم عليّ بن الحسين(عليه السلام) أحداً منهم فى الطريق بكلمة حتى بلغوا الشام [۱۱۳]. [صفحه ۶۱]

سبايا آل البيت فى دمشق

خضعت الشام منذ فتحها بأيدى المسلمين لحكّام مثل خالد بن الوليد ومعاوية بن أبى سفيان، فلم يشاهد الشاميّون النبيّ(صلى الله عليه وآله) ولم يسمعوا حديثه الشريف منه مباشرةً، ولم يطّلعوا على سيرة أصحابه عن كثب، أمّا النفر القليل من صحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله) الذين انتقلوا إلى الشام وأقاموا فيها فلم يكن لهم أثر فى الناس، فكانت النتيجة أنّ أهل الشام اعتبروا سلوك معاوية بن أبى سفيان وأصحابه سنّة للمسلمين، ولمّا كانت الشام خاضعة للإمبراطورية الرومية قروناً طويلة، فقد كانت حكومات العصر الإسلامىّ أفضل من سابقاتها بالنسبة للشاميّين. ومن هنا ليس أمراً عجيباً أن نقرأ فى كتب التأريخ أنّ شيخاً شامياً دنا من الإمام السجاد(عليه السلام) عند دخول سبايا آل محمّد(صلى الله عليه وآله) الشام وقال له: الحمد الله الذى أهلككم وأمكن الأمير منكم. فقال له الإمام(عليه السلام): يا شيخ أقرأت القرآن؟ فقال الشيخ: بلى. فقال له الإمام(عليه السلام): أقرأت (قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى)؟ فقال الشيخ: بلى. فقال له الإمام(عليه السلام): فنحن القربى، يا شيخ! ثمّ قال له: فهل قرأت (وآتِ ذا القربى حقّه)؟ قال: قد قرأت ذلك. قال(عليه السلام): فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآية: (واعلموا أنّما غنمتم من شىء فإنّ لله خمسه وللرسول ولذى القربى)؟ [صفحه ۶۲] قال: نعم. قال الإمام(عليه السلام): نحن القربى. يا شيخ! هل قرأت (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)؟ قال الشيخ: بلى. قال له الإمام(عليه السلام): نحن أهل البيت الذين اختصّنا الله بآية الطهارة. قال الشيخ: بالله إنّكم هم؟! قال الإمام(عليه السلام): تالله إنّا لنحن هم من غير شكٍّ وحقِّ جدِّنا رسول الله(صلى الله عليه وآله) إنّا لنحن هم. فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ إنّى أبرأ اليك من عدوّ آل محمّد [۱۱۴]. وذكر المؤرّخون أنّه لمّا قدم عليّ بن الحسين(عليه السلام) وقد قُتل الحسين بن عليّ(عليه السلام) استقبله ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقال: يا عليّ بن الحسين،

من غلب؟ وهو مغطٍّ رأسه وهو فى المحمل، فقال له علىّ بن الحسين: إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فأذّن ثمّ أقم [۱۱۵] . لقد كان جواب علىّ بن الحسين(عليه السلام) أنّ الصراع إنّما هو على الأذان وتكبير الله تعالى والإقرار بوحدانيّته وليس على رئاسة بنى هاشم، وأنّ استشهاد الحسين والصفوة من أهل بيته وأصحابه هو سبب بقاء الإسلام المحمّدى وثباته أمام جاهلية بنى اُميّة ومن حذا حذوهم ممّن لم يذوقوا حلاوة الإيمان والإسلام. [صفحه ۶۳]

الامام فى مجلس يزيد

اُدخل رأس الحسين(عليه السلام) ونساؤه ومن تخلّف من أهله على يزيد وهم مقرّنون فى الحبال وزين العابدين(عليه السلام) مغلول، فلمّا وقفوا بين يديه على تلك الحال تمثّل يزيد بشعر حصين بن حمام المرّى قائلاً: نفلّقُ هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما [۱۱۶] . فردّ عليه الإمام علىّ بن الحسين(عليه السلام) بقوله تعالى: (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلّا فى كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحبّ كلَّ مختال فخور) [۱۱۷] . وتميّز يزيد غضباً، فتلا قوله تعالى: (ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير) [۱۱۸] . وينقل المؤرّخون عن فاطمة بنت الحسين(عليه السلام) قولها: فلمّا جلسنا بين يدى يزيد رقّ لنا فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لى هذه الجارية ـ يعنينى ـ فأرعدت وظننت أنّ ذلك جائز لهم فأخذت بثياب عمّتى زينب وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون. فقالت عمّتى للشامى: كذبت والله ولؤمت والله، ما ذاك لك ولا له! فغضب يزيد وقال: كذبت إنّ ذلك لى ولو شئت أن أفعل لفعلت! قالت: كلّا والله ما جعل الله لك ذلك إلّا أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها، فاستطار يزيد غضباً، وقال: إيّاى تستقبلين بهذا؟ إنّما خرج من الدين [صفحه ۶۴] أبوك وأخوك! قالت: بدين الله ودين أبى ودين أخى اهتديت أنت وجدّك وأبوك إن كُنت مسلماً، قال: كذبتِ يا عدوّة الله! قالت: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك، فكأنّه استحيى وسكت. فعاد الشامىّ فقال: هب لى هذه الجارية، فقال يزيد: اعزب، وهب الله لك حتفاً قاضياً [۱۱۹] . ويبدو أنّ اعتماد يزيد لهجة أقلّ قسوة وشراسة من لهجة ابن زياد فى الكوفة يعود إلى أنّ الأخير كان يريد أن يدلّل على إخلاصه لسيّده، بينما لا يحتاج يزيد ذلك، ولعلّ يزيد أدرك أنّه قد ارتكب خطأً كبيراً فى قتله الحسين(عليه السلام) وسبيه أهل بيت النبوّة، من هنا فإنّه أراد تخفيف مشاعر السخط تجاهه. وفى تلك الأيام أوعز يزيد إلى خطيب دمشق أن يصعد المنبر ويبالغ فى ذمّ الحسين وأبيه(عليهما السلام) فانبرى اليه الإمام زين العابدين(عليه السلام) فصاح به: «ويلك أيّها الخاطب، إشتريت رضاء المخلوق بسخط الخالق فتبوّأ مقعدك من النار». واتّجه الإمام نحو يزيد فقال له: «أتأذن لى أن أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلمات فيهنّ لله رضىً، ولهؤلاء الجالسين أجرٌ وثواب...». وبهت الحاضرون وعجبوا من هذا الفتى العليل الذى ردّ على الخطيب والأمير وهو أسير، فرفض يزيد إجابته، وألحّ عليه الجالسون بالسماح له فلم يجد بُدّاً من إجابتهم فسمح له، واعتلى الإمام أعواد المنبر، وكان من جملة ما [صفحه ۶۵] قاله: «أيّها الناس، اُعطينا ستاً، وفُضِّلنا بسبع: اُعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبّة فى قلوب المؤمنين، وفُضِّلنا بأن منّا النبىّ المختار محمّداً(صلى الله عليه وآله) ومنّا الصِّدّيق ومنّا الطيّار ومنّا أسد الله وأسد الرسول(صلى الله عليه وآله) ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنّا سبطا هذه الاُمّة وسيّدا شباب أهل الجنّة». وبعد هذه المقدّمة التعريفية لاُسرته أخذ(عليه السلام) فى بيان فضائلهم، قائلاً: «فمن عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى أنبأته بحسبى ونسبى. أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجّ ولبّى، أنا ابن من حُمل على البراق فى الهواء، أنا ابن من اُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى اليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمّد المصطفى، أنا ابن علىّ المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلّا الله. أنا ابن من ضرب بين يدى رسول الله(صلى الله عليه وآله) بسيفين،

وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحُنين، ولم يكفر بالله طرفة عين. أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيّين، وقاطع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين ورسول ربّ العالمين. أنا ابن المؤيّد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامى عن حرم المسلمين وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأوّل من أجاب واستجاب لله من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم [صفحه ۶۶] المعتدين، ومبير المشركين، وسهم من مرامى الله، وبستان حكمة الله،... ذاك جدّى علىّ بن أبى طالب. أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول(صلى الله عليه وآله)، أنا ابن المرمّل بالدماء، أنا ابن ذبيح كربلاء، أنا ابن من بكى عليه الجنّ فى الظلماء، وناحت عليه الطير فى الهواء». ولم يزل الإمام يقول: أنا أنا حتى ضجّ الناس بالبكاء، وخشى يزيد من وقوع الفتنة وحدوث ما لا تحمد عقباه، فقد أوجد خطاب الإمام انقلاباً فكرياً إذ عرّف الإمام نفسه لأهل الشام وأحاطهم علماً بما كانوا يجهلون. فأوعز يزيد إلى المؤذّن أن يؤذّن ليقطع على الإمام كلامه، فصاح المؤذن «الله أكبر» فالتفت إليه الامام فقال له: «كبّرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شىء أكبر من الله»، فلمّا قال المؤذّن: أشهد أن لا إله إلّا الله قال الإمام(عليه السلام): «شهد بها شعرى وبشرى ولحمى ودمى ومخى وعظمى»، ولمّا قال المؤذّن: أشهد أنّ محمداً رسول الله التفت الإمام إلى يزيد فقال له: «يا يزيد! محمّد هذا جدّى أم جدّك؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت، وإن قلت: أنّه جدّى فلمَ قتلت عترته [۱۲۰] »؟! ووجم يزيد ولم يجر جواباً، فإنّ الرسول العظيم(صلى الله عليه وآله) هو جدّ سيّد العابدين، وأمّا جدّ يزيد فهو أبو سفيان العدوّ الأوّل للنبىّ(صلى الله عليه وآله)، وتبيّن لأهل الشام أنّهم غارقون فى الإثم، وأنّ الحكم الأُموىّ قد جهد فى إغوائهم وإضلالهم، وتبيّن بوضوح أنّ الحقد الشخصىّ وغياب النضج السياسىّ هما السببان لعدم [صفحه ۶۷] إدراك يزيد عمق ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) ممّا أدّى إلى توهّمه بأنّها لن تؤدّىَ إلى نتائج خطيرة على حكمه. ولعلّ أكبر شاهد على هذا التوهّم هو رسالة يزيد فى بدايات تسلّمه الحكم لواليه على المدينة والتى أمره فيها بأخذ البيعة من الحسين(عليه السلام) أو قتله وبعث رأسه إلى دمشق إن رفض البيعة. وفى سياق الحديث عن حسابات يزيد الخاطئة نُشير أيضاً إلى عملية نقل أسرى أهل البيت(عليهم السلام) إلى الكوفة، ومن ثمّ إلى الشام، وما تخلّل ذلك من ممارسات إرهابية عكست نزعته الإجرامية، ولم يلتفت يزيد إلى خطورة الجريمة التى ارتكبها إلّا بعد أن تدفّقت عليه التقارير التى تتحدّث عن ردود الفعل والاحتجاجات على قتله ريحانة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ولذلك حاول أن يلقى مسؤولية الجريمة البشعة على ابن مرجانة، قائلاً للإمام السجاد(عليه السلام): لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أنّى صاحب أبيك ما سألنى خصلة أبداً إلّا أعطيته إيّاها، ولدفعت الحتف عنه بكلّ ما استطعت، ولكن الله قضى الله ما رأيت، كاتبنى من المدينة وأنْهِ كلَّ حاجة تكون لك [۱۲۱] . والتقى الإمام السجاد(عليه السلام) خلال وجوده فى الشام بالمنهال بن عمرو، فبادره قائلاً: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ فرمقه الإمام بطرفه وقال له: «أمسينا كمَثَل بنى إسرائيل فى آل فرعون، يذبّحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً منها، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً منها، وأمسينا أهل بيته مقتولين مشرّدين، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون» [۱۲۲] . [صفحه ۶۸] وعهد يزيد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب ودائع رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعقائل الرسالة فيردَّهنّ إلى يثرب [۱۲۳] وأمر بإخراجهنّ ليلاً خوفاً من الفتنة واضطراب الأوضاع [۱۲۴] . [صفحه ۶۹]

الامام زين العابدين فى المدينة

اشاره

بدأت ردود الفعل على مقتل الإمام الحسين(عليه السلام) بالظهور مع دخول سبايا أهل البيت(عليهم السلام) إلى الكوفة. فبالرغم من القمع والإرهاب اللذين مارسهما ابن زياد مع كلّ من كان يبدى أدنى معارضة ليزيد، فإنّ أصواتاً بدأت ترتفع محتجّةً على الظلم

السائد. فعندما صعد ابن زياد المنبر وأثنى على يزيد وحزبه وأساء إلى الحسين(عليه السلام) وأهل بيت الرسالة «قام إليه عبد الله بن عفيف الأزدى وقال له: يا عدوّ الله إنّ الكذّاب أنت وأبوك والذى ولّاك وأبوه يابن مرجانة، تقتل أولاد النبيّين وتقوم على المنبر مقام الصدّيقين؟! فقال ابن زياد: علىّ به، فأخذته الجلاوزة فنادى بشعار الأزد، فاجتمع منهم سبعمائة فانتزعوه من الجلاوزة، فلمّا كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته فضرب عنقه وصلبه» [۱۲۵] ، ومع أنّ هذه المواجهة انتهت لصالح ابن زياد لكنّها كانت مقدّمة لاعتراضات اُخرى. وظهرت فى الشام أيضاً بوادر السخط والاستياء، الأمر الذى جعل يزيد ينحو باللائمة فى قتل الحسين(عليه السلام) على ابن زياد، إلاّ أنّ أشدّ ردود الفعل كانت تلك التى برزت فى الحجاز، فقد انتقل عبد الله بن الزبير إلى مكة فى الأيّام الاُولى من حكومة يزيد، واتّخذها قاعدة لمعارضته للشام، وقام بتوظيف [صفحه ۷۰] فاجعة كربلاء للتنديد بنظام يزيد، وألقى خطاباً وصف فيه العراقيّين بعدم الوفاء، وأثنى على الحسين بن علىّ(عليه السلام) ووصفه بالتقوى والعبادة. وفى المدينة ألقى الإمام زين العابدين(عليه السلام) خطاباً فى أهلها لدى عودته من الشام والعراق، يقول المؤرّخون: إنّ الإمام(عليه السلام) جمع الناس خارج المدينة قبل دخوله اليها، وخطب فيهم قائلاً: «الحمد لله ربّ العالمين مالك يوم الدين بارئ الخلائق أجمعين، الذى بَعُد فارتفع فى السماوات العُلى، وقَرُب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الاُمور، وفجائع الدهور، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاظعة الكاظّة الفادحة الجائحة. أيّها القوم، إنّ الله ـ وله الحمد ـ ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة فى الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله الحسين(عليه السلام) وسُبى نساؤه وصبيته، وداروا برأسه فى البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزيّة التى لا مثلها رزيّة. أيّها الناس، فأىّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟! أم أىّ فؤاد لا يحزن مِن أجله؟! أم أيّة عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن انْهمالِها؟! فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان ولجج البحار والملائكة المقرّبون وأهل السماوات أجمعون. يا أيّها الناس، أىّ قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أىّ فؤاد لا يحنّ إليه؟! أم أىّ سمع يسمع هذه الثلمة التى ثلمت فى الإسلام ولا يصمّ؟! أيّها الناس، أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين وشاسعين عن الأمصار، كأ نّا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة فى الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأوّلين، إنْ هذا إلاّ اختلاق. والله، لو أنّ النبىّ تقدّم اليهم فى قتالنا كما تقدم اليهم فى الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظّها [صفحه ۷۱] وأفظعها وأمرّها وأفدحها! فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا، فإنّه عزيز ذو انتقام» [۱۲۶] . لقد جسّد هذا الخطاب ـ على قصره ـ واقعة كربلاء على حقيقتها مركّزاً على المظلومية التى لحقت بأهل البيت(عليهم السلام) فى قتل الحسين بن علىّ(عليه السلام) من جانب، وأسرِ أهل بيته من جانب آخر، بالإضافة إلى المظلومية التى لحقتهم بعد واقعة الطفّ، إذ حملت رؤوس الشهداء بما فيهم سيّدهم الحسين(عليه السلام) فوق الأسنّة من بلد إلى بلد. وعقّب الإمام زين العابدين(عليه السلام) ـ بلمحة سريعة ومعبّرة ومؤثّرة ـ واصفاً ما لقيه آل البيت من السبى والتشريد والتعامل السيّء والمهين، وهم أهل بيت الوحى ومعدن الرسالة، وهم قادة أهل الإيمان وأبواب الخير والرحمة والهداية. وأنهى الإمام خطابه بوصف فى منتهى الدقّة عن عظمة الجرائم التى ارتكبها جيش السلطة الاُموية فى حقّ أهل البيت(عليهم السلام)، فإن الرسول(صلى الله عليه وآله) لو كان يأمر هؤلاء بالتمثيل بأهل البيت وتعذيبهم؛ لما كانوا يزيدون على ما فعلوا، فكيف بهم وقد نهاهم عن التمثيل حتى بالكلب العقور؟! وكيف يمكن توجيه كلّ ما فعلوه وقد أوصاهم النبىّ(صلى الله عليه وآله) بحفظه فى عترته، ولم يطالبهم بأجر للرسالة سوى المودّة فى قرباه؟! فالإمام زين العابدين(عليه السلام) حاول فى خطابه هذا تكريس مظلومية أهل البيت لاستنهاض الروح الثورية فى أهل المدينة، وتحريك الوعى النهضوى ضدّ الظلم والجبروت الاُموى والطغيان السفيانى. ولم تكن الأوضاع هادئة فى المدينة فى هذه السنة التى كانت تحت [صفحه ۷۲] إدارة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، وأوضح شاهد على اضطراب الأوضاع فى المدينة هو استبدال ثلاثة ولاة خلال عامين، واستبدل يزيد الوليد بن عتبة بعثمان بن محمد بن أبى سفيان [۱۲۷] . وأراد عثمان أن يدلّل على كفاءته فى إدارة المدينة ويكسب رضا وجوهها عن يزيد وعنه فأرسل وفداً من أبناء المهاجرين والأنصار إلى دمشق، ليشاهدوا الخليفة الشابّ عن كثب وينالوا نصيبهم

من هداياه، إلّا أن الوفد رأى فى سلوك يزيد ما يشين ويقبح. ولما رجعوا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد وعيبه، وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، وتعزف عنده القِيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحراب ـ وهم اللصوص ـ وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه. وقال عبد الله بن حنظلة: لو لم أجد إلّا بنىّ هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطانى وأكرمنى وما قبلت عطاءه إلّا لأتقوّى به. فخلعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولّوه عليهم [۱۲۸] .

ثورة أهل المدينة

إنّ نقد الوفد المدنى ليزيد لم يكن هو الدليل الوحيد عند أهل المدينة على انحراف يزيد وتنكّره للإسلام وجوره وطغيانه، بل إنّهم كانوا قد لمسوا جور يزيد وعمّاله على البلدان الإسلامية وفسقهم وشدّة بطشهم واستهتارهم [صفحه ۷۳] بالحرمات الإلهية التى لا مجال لتأويلها، إذ كيف يمكن تأويل ما ارتكبه من القتل الفظيع فى حقّ الحسين بن على بن أبى طالب(عليه السلام) ريحانة الرسول وسيّد شباب أهل الجنة وما اقترفه من السبى لأهله وحُرَمه؟ وكيف يمكن تأويل ما أظهره من شربه للخمور التى حرّمها الله بالنصّ الصريح؟! هذا، فضلاً عن حقد الأُمويين على الأنصار، والذى لم يتردّد الأُمويّون فى إظهاره لهم، ومن هنا لم يتلكّأ أهل المدينة فى اخراج عامل يزيد عليها، فحاصروا بنى أُمية وأتباعهم، وكلّم مروان بن الحكم ـ وهو العدوّ اللدود لآل الرسول (صلى الله عليه وآله) ـ الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى منح الأمان له، فاستجاب الإمام (عليه السلام) لهذا الطلب تكرّماً [۱۲۹] وإغضاءً عن كلّ ما ارتكبه هذا العدوّ فى حقّ أهل البيت(عليهم السلام)، فى دفن الإمام الحسن(عليه السلام) وفى الضغط على الإمام الحسين(عليه السلام) من أجل أخذ البيعة ليزيد. ولمّا بلغ أمر الثورة إلى مسامع يزيد أرسل مسلم بن عقبة ليقضى على ثورة أهل المدينة ـ وهى مدينة رسول الله(صلى الله عليه وآله) ومهبط وحى الله ـ وزوّده بتعليمات خاصّة تجاههم قائلاً له: اُدع القوم ثلاثاً فإن أجابوك وإلّا فقاتلهم، فإذا ظهرتَ عليهم فأبحها ـ أى المدينة ـ ثلاثاً، فما فيها من مال أو دابّة أو سلاح أو طعام فهو للجند [۱۳۰] وأمرهُ أن يُجهِز على جريحهم ويقتل مدبرهم [۱۳۱] . وصل جيش يزيد إلى المدينة، وبعد قتال عنيف مع أهلها استبسل فيه الثائرون دفاعاً عن دينهم، واستشهد أغلب المدافعين بمن فيهم عبد الله بن [صفحه ۷۴] حنظلة ومجموعة من صحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله) ونفّذ قائد الجيش أوامر سيّده يزيد، وأوعز إلى جنوده باستباحة المدينة، فهجم الجند على البيوت وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ، كما أسروا آخرين. قال المؤرّخ ابن كثير: أباح مسلم بن عقبة ـ الذى يقول فيه السلف (مسرف بن عقبة) قبّحه الله من شيخ سوء ما أجهله ـ المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد ـ لا ـ جزاه الله خيراً ـ وقتل خلقاً من أشرافها وقرّائها، وانتهب أموالاً كثيرة منها... وجاءته امرأة فقالت: أنا مولاتك وابنى فى الأُسارى، فقال: عجّلوه لها، فضرب عنقه، وقال: اُعطوها رأسه، ووقعوا على النساء حتى قيل: إنّه حبلت ألف أمرأة فى تلك الأيام من غير زوج. قال المدائنى، عن هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرّة من غير زوج. وروى عن الزهرى أنّه قال: كان القتلى يوم الحرّة سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالى ممّن لا أعرف من حرٍّ وعبد وغيرهم عشرة آلاف [۱۳۲] . وحدث مرةً أن دخلت الجيوش الشامية أحد البيوت، فلمّا لم يجدوا فيه إلّا امرأة وطفلاً سألوها إن كان فى البيت شىء ينهبونه، فقالت: إنّه ليس لديها مال، فأخذوا طفلها وضربوا رأسه بالحائط فقتلوه بعد أن انتثر دماغه من أثر الضرب بالحائط [۱۳۳] . ثمّ نصب كرسىّ لمسلم بن عقبة، وجىء بالأُسارى من أهل المدينة فكان يطلب من كلّ واحد منهم أن يبايع ويقول: إنّنى عبد مملوك ليزيد بن [صفحه ۷۵] معاوية يتحكّم فىّ وفى دمى وفى مالى وفى أهلى ما يشاء [۱۳۴] . وكلّ من كان يمتنع ولم يبايع بالعبودية ليزيد وكان يصرّ على القول بأنّه عبدٌ لله ـ سبحانه وتعالى ـ كان مصيره القتل [۱۳۵] . وجىء له بيزيد بن عبد الله ـ وجدّته اُمّ سلمة زوج رسول الله(صلى الله عليه وآله) ـ مع محمد بن حذيفة العدوى، فطلب اليهما أن يبايعا، فقالا: نحن نبايع على كتاب الله وسنّة نبيّه، فقال مسلم: لا ـ والله لا اُقيلكم هذا أبداً، فقدّمهما فضرب أعناقهما. فقال مروان بن الحكم ـ وكان حاضراً ـ: سبحان الله! أتقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمنا فضربت أعناقهما؟! فنخس مسلم مروان بالقضيب فى خاصرته، ثمّ قال له: وأنت والله لو قلت بمقالتهما ما

رأيت السماء إلاّ ـ برقة. (أى لقُتِلْتَ) [۱۳۶] . ثمّ جيء بآخر فقال: إنّى أُبايع على سنّة عمر، فقال: اقتلوه، فقتل [۱۳۷] . وأُتى بزين العابدين(عليه السلام) إلى مسلم بن عقبة، وهو مغتاظ عليه فتبرّأ منه ومن آبائه. فلمّا رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له: سلنى حوائجك، فلم يسأله فى أحد ممّن قدّم إلى السيف إلاّ شفّعه فيه، ثمّ انصرف عنه. [صفحه ۷۶] فقيل لعلىّ بن الحسين(عليه السلام): رأيناك تحرّك شفتيك، فما الذى قلت؟ قال: «قلت: اللهمّ ربّ السماوات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أقللن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمّد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شرّه، وأدرأ بك فى نحره، أسألك أن تؤتينى خيره، وتكفينى شرّه». قيل لمسلم: رأيناك تسبّ هذا الغلام وسلفه، فلمّا أُتى به إليك رفعت منزلته؟ فقال: ما كان ذلك لرأى منّى، لقد مُلئ قلبى منه رعباً، ولم يبايع الإمام(عليه السلام) ليزيد كما لم يبايع علىّ بن عبد الله بن العباس، حيث امتنع بأخواله من كندة، فالحصين بن نمير نائب مسلم بن عقبة قال: لا يبايع ابن اختنا إلاّ كبيعة على بن الحسين [۱۳۸] . وذكر المؤرّخون: أنّ الإمام زين العابدين(عليه السلام) كفل فى واقعة الحرّة أربعمئة امرأة من عبد مناف، وظلّ ينفق عليهنّ حتى خروج جيش مسلم من المدينة [۱۳۹] . وجاء الحديث من غير وجه: أنّ مسرف بن عقبة لمّا قدم المدينة أرسل إلى علىّ بن الحسين(عليهما السلام) فأتاه، فلما صار إليه قرّبه وأكرمه وقال له: أوصانى أمير المؤمنين ببرّك وتمييزك من غيرك... [۱۴۰] . وواضح أنّ البيعة إذا ما عرضت بشرطها الاستعبادى على الإمام(عليه السلام) فإنّه سيستمرّ على نهجه الرافض، وأنّ معنى الرفض هنا إنّه يتضرّج بدمائه الزكية، وهذا يعنى دخول صورة من صور النقمة العارمة ضد الممارسات [صفحه ۷۷] الأُموية القمعية التى سوف تزلزل أعمدة الكيان الحاكم. وبعد انتهاء الأيام الدامية على مدينة الرسول(صلى الله عليه وآله) قال مسلم بن عقبة: اللّهمّ إنّى لم أعمل عملاً قط بعد شهادة لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله أحبّ إلىّ من قتل أهل المدينة، ولا أرجى عندى فى الآخرة [۱۴۱] . كان مسلم فى تلك الأيام قد تجاوز التسعين من عمره، أى انّه كان قريباً جداً من حتفه وقد هلك بُعيد وقعة الحرّة وقبل أن يصل إلى مكة، وكان من الذين لم يحملوا من الإسلام إلاّ اسمه، ووظّفوا ظاهر القرآن والحديث لتسويغ جرائمهم، فقد كان من المخلصين لمعاوية بن أبى سفيان، وفى صفّين كان يقود معسكر معاوية بن أبى سفيان ضد الخليفة الشرعى للمسلمين، ألا وهو الإمام علىّ بن أبى طالب أمير المؤمنين(عليه السلام) [۱۴۲] . ولعلّه لم يسمع حديث الرسول(صلى الله عليه وآله) الذى جاء فيه: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» [۱۴۳] . ولعلّه قد سمع هذا الحديث، لكنّه لمّا وجد من يعتبر نفسه خليفة للنبىّ(صلى الله عليه وآله) قد تجرّأ على قتل ابن بنت النبىّ(صلى الله عليه وآله) وسبى بناته من مدينة إلى أُخرى، دون أن يعترض عليه أحد، فمِمّ يخشى هو إن اعتدى على مدينة النبىّ(صلى الله عليه وآله)؟! وبعد أن قمع بوحشيّة ثورة أهل المدينة وأجهض انتفاضتهم؛ توجّه مسلم إلى مكة التى أعلن فيها عبد الله بن الزبير ثورته على الحكم الأُموى، [صفحه ۷۸] لكنّه لقى حتفه فى الطريق، فتسلّم الحصين بن نمير قيادة الجيش الأُموى بناءً على أوامر يزيد، وعندما وصل أطراف مكة فرض حصاراً عليها وضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرقها [۱۴۴] . وفى الوقت الذى كانت فيه مكّة تحت حصار الجيش الأُموى لقى يزيد حتفه، فعقد قائد الجيش الأُموى ـ الذى لم يكن وقتذاك يعرف زعيمه الذى يقاتل معه ـ مفاوضات مع ابن الزبير أعرب له فيها عن استعداده لقبول بيعته شريطة أن يرافقه إلى الشام، إلاّ أنّ ابن الزبير رفض الشرط، فعاد الحصين وجيشه إلى الشام.

انشقاق البيت الاموى

مات يزيد فى ربيع الأول من سنة (۶۴ هـ) وهو فى سنّ الثامنة والثلاثين من عمره فى حُوّارين، وكانت صحيفة أعماله فى مدّة حكمه ـ الذى استمر ثلاث سنوات وبضعة أشهر ـ مُسودّة بقتل ابن بنت النبىّ وأسر أهل بيت الوحى وحرائرالرسالة إلى جانب القتل الجماعى لأهل المدينة وهدم الكعبة المشرّفة. وبعد موت يزيد بايع أهل الشام ولده معاوية، إلاّ أنّ حكمه لم يستمر أكثر من أربعين يوماً، إذ أعلن تنازله عن العرش، ومات بعدها فى ظروف غامضة، فانشقّت القيادات المؤيّدة لبنى أُمية على نفسها إلى كتلتين: كتلة أيّدت زعامة مروان بن الحكم، وقد مثّل هذا الاتجاه القبائل اليمانية بقيادة حسّان الكلبى، بينما أيّدت قوى القيسيّين بقيادة الضحّاك بن قيس

الفهرى، [صفحه ۷۹] عبد الله بن الزبير. وإبّان خلافة يزيد القصيرة امتدّت؛ أيدى الكلبيّين تدريجياً إلى مراكز السلطة، فمارسوا ضغوطاً شديدة على القيسيّين،الأمر الذى أزعج الضحّاك كثيراً فانتهز الفرصة بعد موت يزيد ليبايع ابن الزبير ـ وهو من العرب العدنانية ـ واشتبك الكلبيّون والقيسيّون فى «مرج راهط» [۱۴۵] فى معركة أسفرت عن انتصار الكلبيّين، فأصبح مروان بن الحكم خليفة، واستقرّت الأوضاع المضطربة فى الشام نسبيّاً.

تزايد المعارضة للحكم الاموى

صعّد عبد الله بن الزبير معارضته للشام التى بدأها بعد موت معاوية، حيث كان قد دعا الحجازيّين لمبايعته كخليفة للمسلمين، فاستجابت له الأكثرية الساحقة منهم، وشهد العراق من جديد تحرّكات ضد الحكم الأُموى. ويبدو أنّ الذين دعو الإمام الحسين(عليه السلام) إلى العراق عبر الرسائل المتوالية ورحّبوا بممثّله اليهم ثمّ تخلّوا عنه وعن الحسين(عليه السلام) بتلك الصورة المخزية ندموا على موقفهم المُذلّ ذاك، لكن هل الذين تحرّكوا ضدّ الشام كانوا نادمين جميعاً؟ الجواب: كلاّ، فليس جميع الذين تحركوا بعد موت يزيد كانوا يحملون همّ الإسلام، فقد كان هناك من يريد إخضاع الشام للعراق وإعادة عاصمة الخلافة إلى العراق. وعلى أىّ حال، فقد أعلن المتديّنون والسياسيّون معارضتهم ضد حكم [صفحه ۸۰] الشام، لكنّهم لم يحققوا شيئاً يذكر [۱۴۶] على صعيد إسقاط الحكم على المدى القريب، فقتل سليمان بن صرد قائد التوّابين، ورجع من بقى من جيشه إلى الكوفة، وفى تلك الغضون أظهر المختار بن أبى عبيدة الثقفى دعوته حاملاً شعار يا لثارات الحسين (عليه السلام). بدأ المختار بإعداد الشيعة للثورة بعد فشل ثورة التوّابين، وكان يعرف جيداً أنّ أىّ تحرّك شيعى يقتضى زعامة من أهل بيت الرسالة(عليهما السلام)، وأنّ الانطلاق ينبغى أن يتمّ باسمهم ومَن أفضل من علىّ بن الحسين(عليه السلام)؟ وإن رفض الإمام الاستجابة لذلك فليس أمامه غير محمد بن على بن أبى طالب وهو عمّ الإمام السجاد(عليه السلام). من هنا كاتب المختار الإمام زين العابدين(عليه السلام) وعمّه معاً، أمّا الإمام(عليه السلام) ـ فلم يعلن عن تأييده الصريح له، لكنّه(عليه السلام) أمضى عمله عندما ثأر من قتلة أبيه الحسين(عليه السلام). أمّا عمه محمد بن الحنفيّة فقد أجاب على سؤال الوفد الذى جاء من الكوفة ليستفسر عن مدى شرعية الانضواء تحت راية المختار قائلاً: أما ما ذكرتم من دعاء مَن دعاكم الى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أنّ الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه [۱۴۷] . وفهم الوفد تأييد ابن الحنفية لحركة المختار وهكذا استطاع المختار أن يستقطب كبار الشيعة مثل ابراهيم بن مالك الأشتر وغيره. [صفحه ۸۱] وأرسل المختار رأسَىْ عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد إلى الإمام فسجد(عليه السلام) شكراً لله تعالى وقال: «الحمد لله الذى أدرك لى ثأرى من أعدائى وجزى الله المختار خيراً» [۱۴۸] . وقال اليعقوبى: ووجّه المختار بالرأس الخبيث (أى: رأس ابن زياد) إلى الإمام علىّ بن الحسين، وعهد إلى رسوله بأن يضع الرأس بين يدى الإمام وقت ما يوضع الطعام على الخوان بعد الفراغ من صلاة الظهر، وجاء الرسول إلى باب الإمام، وقد دخل الناس لتناول الطعام، فرفع الرجل عقيرته ونادى: يا أهل بيت النبوّة! ومعدن الرسالة،ومهبط الملائكة، ومنزل الوحى! أنا رسول المختار بن أبى عبيدة الثقفى ومعى رأس عبيد الله بن زياد... ولم تبق علوية فى دور بنى هاشم إلاّ صرخت [۱۴۹] ، ويقول المؤرّخون: إنّ الامام زين العابدين(عليه السلام) لم يُرَ ضاحكاً منذ أن استشهد أبوه إلاّ فى اليوم الذى رأى فيه رأس ابن مرجانة [۱۵۰] . وعن بعض المؤرّخين: أنّه لمّا رأى الإمام رأس الطاغية قال: «سبحان الله، ما اغترّ بالدنيا إلاّ من ليس لله فى عنقه نعمة، لقد أُدخل رأس أبى عبد الله على ابن زياد وهو يتغدّى» [۱۵۱] .

سنوات المحن والاضطرابات

كانت الفترة الممتدّة بين عامى (۶۶ و ۷۵ هـ) بالنسبة للشام والحجاز [صفحه ۸۲] والعراق فترة محن واضطرابات، فلم يتحقّق فى هذه المناطق الهدوء والأمن. وشهد الحجاز هجوم قوات عبد الملك على مكة ومقتل عبد الله بن الزبير، إلاّ أنّ نصيب العراق من

الاضطرابات كان أكبر من المنطقتين السابقتين. ويمكن القول بجرأة أنّ ما لحق بأهل العراق كان هو النتيجة الطبيعية لدعاء سبط الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) عليهم، إذ رفع الإمام الحسين(عليه السلام) يده بالدّعاء فى كربلاء وقال: «اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسنيّ يوسف وسلّط عليهم غلام ثقيف فيسومهم كأساً مصبَّرة فإنّهم كذّبونا وخذلونا...» [۱۵۲] . وانتقم الله تعالى من أهل العراق الذين كذّبوا الحسين بن علىّ (عليه السلام) وخذلوه بواسطة رجل ارهابى مستبد هو الحجاج بن يوسف الثقفى الذى كان «لا يصبر عن سفك الدماء، وارتكاب امور لا يقدر عليها غيره» [۱۵۳] . واتّخذ الحجّاج سجوناً لا تقى من حرٍّ ولا برد، وكان يعذّب المساجين بأقسى ألوان العذاب وأشدّه، فكان يشدّ على يد السجين القصب الفارسى المشقوق، ويجر عليه حتى يسيل دمه. يقول المؤرّخون: إنّه مات فى حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة منهنّ ستّ عشرة ألف مجرّدات، وكان يحبس الرجال والنساء فى موضع واحد [۱۵۴] واُحصى فى سجنه ثلاثة وثلاثون ألف سجين لم يحبسوا فى دَين ولا تبعة [۱۵۵] ، وكان يمرّ على أهل السجن فيقول لهم: إخسأوا فيها ولا [صفحه ۸۳] تكلّمون [۱۵۶] . وقد كان يسخر من المسلمين الذين يزورون قبر النبىّ(صلى الله عليه وآله) ويقول: تباً لهم، إنّما يطوفون بأعواد و رمّة بالية، هلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك! ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله [۱۵۷] . وعهد عبد الملك بن مروان بالملك من بعده إلى ولده الوليد، وأوصاه بالإرهابى الحجّاج خيراً، وقال له: وانظر الحجاج فأكرمه، فإنّه هو الذى وطّأ لكم المنابر وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناواك، فلا تسمعنّ فيه قول أحد وأنت إليه أحوج منه إليك، وادع الناسَ إذا متُّ إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا... [۱۵۸] . ومثّلت هذه الوصية اندفاعاته نحو الشرّ حتى الساعات الأخيرة من حياته، إذ لم يبق بعدها إلّا لحظات حتى وافته المنيّة، وكانت وفاته فى شوال سنة (۸۶ هـ) [۱۵۹] وقد سئل عنه الحسن البصرى فقال: ما أقول فى رجل كان الحجاج سيئة من سيئاته [۱۶۰] . [صفحه ۸۵]

استشهاد الإمام زين العابدين

وتقلّد الوليد أزمّة الملك بعد أبيه عبدالملك بن مروان، وقد وصفه المسعودى بأنّه كان جبّاراً عنيداً ظلوماً غشوماً [۱۶۱] ، حتّى طعن عمر بن عبد العزيز الاُموى فى حكومته، فقال فيه: إنّه ممن امتلأت الأرض به جوراً [۱۶۲] . وفى عهد هذا الطاغية الجبّار استشهد العالم الإسلامى الكبير سعيد بن جبير على يد الحجّاج بن يوسف الثقفى أعتى عامل اُموى. وقد كان الوليد من أحقد الناس على الإمام زين العابدين(عليه السلام) لأنّه كان يرى أنّه لا يتمّ له الملك والسلطان مع وجود الإمام زين العابدين(عليه السلام). فقد كان الإمام(عليه السلام) يتمتّع بشعبية كبيرة، حتّى تحدّث الناس بإعجاب وإكبار عن علمه وفقهه وعبادته، وعجّت الأندية بالتحدّث عن صبره وسائر ملكاته، واحتلّ مكاناً كبيراً فى قلوب الناس وعواطفهم، فكان السعيد من يحظى برؤيته، ويتشرّف بمقابلته والاستماع إلى حديثه، وقد شقّ على الاُمويين عامّة هذا الموقع المتميّز للإمام(عليه السلام) وأقضّ مضاجعهم، وكان من [صفحه ۸۶] أعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك [۱۶۳] الذى كان يحلم بحكومة المسلمين وخلافة الرسول(صلى الله عليه وآله). وروى الزهرى: عن الوليد أنّه قال: لا راحة لى وعلىّ بن الحسين موجود فى دار الدنيا [۱۶۴] . فأجمع رأيه على اغتيال الإمام زين العابدين(عليه السلام) حينما آل اليه الملك، فبعث سمّاً قاتلاً إلى عامله على يثرب، وأمره أن يدسّه للإمام(عليه السلام) [۱۶۵] ونفّذ عامله ذلك، فسَمَتْ روح الإمام العظيمة إلى خالقها بعد أن أضاءت آفاق هذه الدنيا بعلومها وعباداتها وجهادها وتجرّدها من الهوى. وقام الإمام أبو جعفر محمد الباقر(عليه السلام) بتجهيز جثمان أبيه، وبعد تشييع حافل لم تشهد يثرب نظيراً له؛ وجىء بجثمانه الطاهر إلى بقيع الفرقد، فحفروا قبراً بجوار قبر عمّه الزكىّ الإمام الحسن المجتبى(عليه السلام) سيّد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ وأنزل الإمام الباقر(عليه السلام) جثمان أبيه زين العابدين وسيّد الساجدين(عليه السلام) فواراه فى مقرّه الأخير. فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً [صفحه ۸۹]

نظرة عامة فى مسيرة أهل البيت الرسالية

للوصول إلى التصور الصحيح عن المسيرة الرساليّة لأهل البيت(عليهم السلام) الرسالية لابدّ أن نجيب على الأسئلة التالية: ۱ ـ ما هى الرسالة الإسلامية؟ ۲ ـ وما هى الأخطار التى كانت تواجهها؟ ۳ ـ وما هى التحصينات التى كان ينبغى اتّخاذها ضد تلك الأخطار. وقبل الإجابة نقول: هناك نظرتان أساسيتان للكون ولموقف الإنسان منه. النظرة الاولى: أن الكون مملكة لمليك قدير يراقب من وراء الستار مراقبة غير منظورة. والإنسان فى الكون هو الأمين والخليفة لا الأصيل والمتحكم؛ لأن هذه مملكة غيره بكل ما فيها من وجود بما فيها نفس الإنسان. والإنسان إنّما يقوم بأعباء الخلافة والأمانة. وهذه الخلافة والأمانة تستبطن ضرورة استيحاء الأمر والنهى والتدبير والتقدير والتقديم من قبل ذلك المليك القدير. والأمين لابد له أن يطبّق على الأمانة التى استؤمن عليها قرارات المالك. فلابد للإنسان إذن أن يكون رهن أوامر ذلك المليك القدير. [صفحه ۹۰] والجزء الآخر لهذه النظرية الأساسية: أن المسؤولية تستبطن الحساب والثواب والعقاب. وهما يستبطنان وجود عالم آخر وراء هذا العالم لتحقيق نتائج هذه المراقبة المستورة. وحينئذ لا يكون الإنسان قيد هذا الشوط القصير فى الدنيا، بل يكون رهن خط طويل، وعلى مستوى أهداف كبيرة لا يستطيع هو أن يستنزفها؛ إذ تكون أوسع من عمر الإنسان فى هذه الدنيا. وإذا أصبحت البشرية على مستوى الأهداف الكبيرة ـ لأنها انطلقت فى غاياتها وفى ثباتها إلى أكثر من حدود هذه الدنيا الفانية ـ حينئذ تستطيع أن تقوم بأعباء تلك الأهداف الكبيرة. والحضارة الإسلامية عبارة عن هذه النظرة الأساسية بكلّ شُعبها وفروعها التى ترجع بالنهاية إلى تجسيد كامل للعلاقة مع الله سبحانه وتعالى فى تفاعل الإنسان فى كلّ مجالاته الحيوية والكونية. والنظرة الثانية: هى أن يرى الإنسان نفسه أصيلاً فى هذا الكون، وأن هذا الكون غير خاضع لمليك ومراقبة من وراء الستار. وحينما تتركز فى نظره هذه الأصالة وهذا الاستقلال بهذا الكون تنعدم المسؤولية، وإذا انعدمت المسؤولية بقى عليه هو أن يتحمل المسؤولية بنفسه. فهو بدلاً من أن يشعر بأنه مسؤول ومراقب أمام جهة عُليا تضعه أمام أهداف كبرى فى سبيل الثواب الكبير والعقاب الكبير، هو يصنع لنفسه المسؤولية. وحينما يتحمّل هو وضع المسؤولية تكون هذه المسؤولية نتاج نفسه فينعكس فيما وضعه تمام ما فى نفسه، أى تمام المحتوى الداخلى والروحى والحسى بكل ما فيه من نقص وانحراف. وحينما يريد الإنسان أن يحدد لنفسه مسؤولياته؛ فإنّما يحدّدها على ضوء أهدافه التى سوف يحددها على ضوء ما يراه من الطريق الذى يريد سلوكه. [صفحه ۹۱] وحيث ان طريقه محدود فى نطاق المادة فسوف تكون الأهداف على مستوى الطريق المحدود... وحينئذ سوف يخسر القيم الأخلاقية ويتولد عن ذلك ـ طبعاً ـ ألوان من الصراع والنزاع بين البشرية. وجاء الإسلام لِيربى الإنسان على النظرية الاولى بحيث تصبح جزءً من وجوده وتجرى مع دمه وعروقه وفكره وعواطفه وتنعكس على كل مجالات تصرفه وسلوكه مع الله سبحانه وتعالى ومع نفسه ومع الآخرين. ولا بدّ للإسلام حينئذ أن يهيمن على هذا الإنسان، وعلى كل طاقاته وعلاقاته ليستطيع أن يربيه؛ وكلما كانت الهيمنة أوسع نطاقاً كانت التربية أكثر نجاحاً. فإنّ الأب قد لا ينجح فى تربية ابنه لأن وجود ابنه ليس كله تحت هيمنته؛ لأن هذا الابن هو ابنه وابن المجتمع أيضاً مادام يتفاعل معه ويتأثر به ويؤثر فيه ويتبادل معه العواطف والمشاعر والأفكار والانفعالات، وقد يقيم معه علاقات فى الحقول الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك من مجالات حياته، فهو ليس ابنه وحده بل ابن المجتمع أيضاً. ومن الطبيعى أن يعجز كثير من الآباء عن تربية أبنائهم فى المجتمع الفاسد. اذن فالتربية الكاملة لا تتحقق إلّا إذا هيمن المربى على الإنسان هيمنة كاملة، على كل علاقاته الاجتماعية مع غيره بحيث يصبح تمام هذا الوجود تحت سيطرة هذا المربى، فيصير شخص واحد هو الأب وهو المجتمع. وحينئذ يصبح هذا مربّياً كاملاً. وهذا ما صنعه رسول الله(صلى الله عليه وآله) حين هيمن على العلاقات الاجتماعية لأنه تزعّم المجتمع بنفسه، فأنشأ مجتمعاً وقاده بنفسه ووقف يخطط لهذا المجتمع ويبنى كل العلاقات داخل الاطار الاجتماعى: علاقة الإنسان مع نفسه وعلاقته مع ربّه وعلاقته مع عائلته وعلاقته مع بقية أبناء مجتمعه. ولهذا [صفحه ۹۲] صارت كل هذه الأمور تحت هيمنته وبهذا استكمل الشرط الأساسى للتربية الناجحة [۱۶۶] . وبالرغم من أن النبى(صلى الله عليه وآله) قد مارس عملية التغيير الشاملة للمجتمع وأعرافه وأنظمته ومفاهيمه، لكن الطريق لم يكن قصيراً أمام عملية التغيير الشاملة هذه، بل كان طريقاً ممتداً بامتداد الفواصل

المعنوية الضخمة بين الجاهلية والإسلام، فكان على النبى(صلى الله عليه وآله) أن يبدأ بإنسان الجاهلية فتنشئه إنشاءاً جديداً ويجعل منه الإنسان الإسلامى الذى يحمل النور الجديد ويجتثّ منه كلّ جذور الجاهلية ورواسبها. وقد خطا الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) بعملية التغيير هذه خطوات مدهشة فى برهة قصيرة جدّاً [۱۶۷] حتّى وأنتجت التربية النبوية انتاجاً عظيماً وحققت تحوّلاً فريداً. ولكن الاُمّة الإسلامية ـ ككل ـ لم تكن قد عاشت فى ظل عملية التغيير هذه إلّا عقداً واحداً من الزمن على أكثر تقدير، وهذا الزمن لا يكفى عادةً فى منطق الرسالات العقائدية والدعوات التغييرية ليرتفع الجيل الذى عاش فى كنف الرسالة عشر سنوات فقط إلى درجة من الوعى والموضوعية والتّحرر من رواسب الماضى والاستيعاب لمعطيات الرسالة الجديدة استيعاباً يؤهله للقيمومة على الخط الرسالى وتحمّل مسؤوليات الدعوة الى الله تعالى على بصيرة تامّة ومواصلة عملية التغيير الشاملة بدون قائد رسالىّ. بل ان منطق الرسالات العقائدية يفرض أن تمرّ الاُمّة بوصاية عقائدية فترة أطول من الزمن تهيؤها للارتفاع إلى مستوى تلك القيمومة [۱۶۸] . [صفحه ۹۳] وباعتبار أن الاسلام كان يريد تحقيق أهدافه كاملة كان ينبغى أن يستمر تطبيقه على يد الرسول(صلى الله عليه وآله) نفسه فيمتدّ به العمر حتى يستكمل كلّ الشروط اللازمة للتربية الشاملة فى فترة زمنية كافية أو يوكل أمر تطبيق الإسلام إلى من يخلفه من القادة الأكفاء الذين بلغوا درجة العصمة فى مستواهم العقائدى والفكرى والعملى ليصونوا أمر التربية من أى انحراف أو انهيار. اذن منطق العمل التغييرى على مسار التاريخ كان يفرض على النبى(صلى الله عليه وآله) أن يصون تجربته من أىّ ضعف أو اندحار، وذلك من خلال استمرار الوصاية على التجربة الانقلابية الجديدة وهكذا كان فقد تمثّلت مهمّة صيانته للتجربة الفتيّة فى أهل بيته المعصومين(عليهم السلام) الذين أعدّهم بنفسه إعداداً رسالياً وقيادياً خاصّاً ليكونوا قادرين على مواصلة عملية التغيير الشاملة بالشكل المطلوب، والمنسجم مع أهداف الرسالة الكبرى.

الاخطار التى كان يواجهها الإسلام

لم يكن الإسلام نظرية بشرية لكى تتحدَّدْ فكرياً من خلال الممارسة والتطبيق وتتبلور مفاهيمه عبر التجربة المخلصة، وإنما هو رسالة الله التى حُدّدت فيها الأحكام والمفاهيم وزوّدت ربّانياً بكلّ التشريعات العامّة التى تتطلبها التجربة، فلا بدّ لزعامة هذه التجربة من استيعاب الرسالة بحدودها وتفاصيلها ووعى كامل لأحكامها ومفاهيمها، وإلّا كانت مضطرة إلى استلهام مسبّقاتها الذهنية ومرتكزاتها القَبْلية وذلك يؤدّى إلى نكسة فى مسيرة التجربة وبخاصة إذا لاحظنا أن الإسلام كان هو الرسالة الخاتمة من رسالات السماء التى يجب أن تمتد مع الزمن وتتعدى كل الحدود الوقتية والاقليمية والقومية، الأمر الذى لا يسمح بأن تمارس زعامته ـ التى تشكل الأساس لكلّ ذلك الإمتداد ـ تجارب الخطأ والصواب التى تتراكم فيها الأخطاء عبر فترة من [صفحه ۹۴] الزمن حتى تشكل ثغرة تهدد التجربة بالسقوط والانهيار [۱۶۹] . وقد برهنت الأحداث بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله) على هذه الحقيقة وتجلّت بعد نصف قرن أو أقلّ من خلال ممارسة جيل المهاجرين الذين لم يُرَشَّحوا من قبل الرسول(صلى الله عليه وآله) لإمامة الدعوة ولم يكونوا مؤهلين للقيمومة عليها. ولم يمض ربع قرن حتى بدأت الخلافة الراشدة تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التى وجّهها أعداء الإسلام القدامى فاستطاعوا أن يتسلّلوا إلى مراكز النفوذ فى التجربة بالتدريج ويشغلوا القيادة غير الواعية ثم صادروا بكل وقاحة وعنف تلك القيادة وأجبروا الاُمّة وجيلها الطليعى الرائد على التنازل عن شخصيّته وقيادته وتحولت الزعامة إلى ملك موروث يستهتر بالكرامات ويقتل الأبرياء ويبعثر الأموال ويعطّل الحدود ويجمّد الأحكام ويتلاعب بمقدرات الناس وأصبح الفيىء والسواد بستاناً لقريش، والخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بنى أمية [۱۷۰] .

مضاعفات الانحراف فى القيادة الإسلامية

وهكذا واجه الإسلام بعد النبى(صلى الله عليه وآله) انحرافاً خطيراً فى صميم التجربة الإسلامية التى أنشأها النبى(صلى الله عليه وآله)

للمجتمع الإسلامى والأُمّة الإسلامية. وهذا الانحراف فى التجربة الاجتماعية والسياسية للأمّة فى الدولة الإسلامية كان بحسب طبيعة الاشياء من المفروض أن يتسع ليتعمق بالتدريج على مرّ الزمن؛ اذ الانحراف يبدأ بذرة ثمّ تنمو هذه البذرة، وكلما تحققت مرحلة من الانحراف؛ مهّدت هذه المرحلة لمرحلة أوسع وأرحب. فكان من المفروض أن يصل هذا الانحراف إلى خط منحن طوال [صفحه ۹۵] عملية تاريخية زمنية طويلة المدى يصل به إلى الهاوية فتمر التجربة الإسلامية للمجتمع والدولة لتصبح مليئة بالتناقضات من كل جهة ومن كل صوب، وتصبح عاجزة عن مواكبة الحدّ الأدنى من حاجات الأُمّة ومصالحها الإسلاميّة والإنسانيّة. وحينما يتسلسل الانحراف فى خط تصاعدى فمن المنطقى أن تتعرض التجربة بعد مدى من الزمن لانهيار كامل. إذن الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامى والحضارة الإسلامية لقيادة المجتمع كان من المفروض أن تتعرض كلّها للانهيار الكامل؛ لأن هذه التجربة حين تصبح مليئة بالتناقضات وحين تصبح عاجزة عن مواجهة وظائفها الحقيقية؛ تصبح عاجزة عن حماية نفسها؛ لأن التجربة تكون قد استنفدت إمكانية البقاء والاستمرار على مسرح التاريخ، كما أن الأُمّة ليست على مستوى حمايتها؛ لأن الأُمّة لا تجنى من هذه التجربة الخير الذى تفكّر فيه ولا تحقق عن طريق هذه التجربة الآمال التى تصبو اليها فلا ترتبط بأى ارتباط حياتى حقيقى معها، فالمفروض أن تنهار هذه التجربة فى مدى من الزمن كنتيجة نهائية حتمية لبذرة الانحراف التى غرست فيها.

مضاعفات انهيار الدولة الإسلامية

ومعنى انهيار الدولة الإسلامية أن تسقط الحضارة الإسلامية وتتخلى عن قيادة المجتمع ويتفكك المجتمع الإسلامى، ويُقصى الإسلام عن مركزه كقائد للمجتمع وكقائد للأُمّة، لكن الأُمّة تبقى طبعاً، حين تفشل تجربة المجتمع والدولة، لكنها سوف تنهار أمام أول غزو يغزوها، كما انهارت أمام الغزو التترى الذى واجهته الخلافة العباسية. وهذا الانهيار يعنى: أن الدولة والتجربة قد سقطت وأن الأُمّة بقيت، [صفحه ۹۶] لكن هذه الأُمّة أيضاً بحسب تسلسل الأحداث من المحتوم أن تنهار كأُمّة تدين بالإسلام وتؤمن به وتتفاعل معه؛ لأن هذه الأُمّة قد عاشت الإسلام الصحيح زمناً قصيراً جداً وهو الزمن الذى مارس فيه الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) زعامة التجربة وبعده عاشت الأُمّة التجربة المنحرفة التى لم تستطع أن تعمّق الإسلام وتعمّق المسؤولية تجاه عقيدتها ولم تستطع أن تثقّفها وتحصّنها وتزوّدها بالضمانات الكافية لئلّا تنهار أمام الحضارة الجديدة والغزو الجديد والأفكار الجديدة التى يحملها الغازى إلى بلاد الإسلام. ولم تجد هذه الأُمّة نفسها قادرة على تحصين نفسها بعد انهيار التجربة والدولة والحضارة بعدما أُهينت كرامتها وحُطِّمتْ ارادتها وغُلّت أياديها عن طريق الزعامات التى مارست تلك التجربة المنحرفة وبعد أن فَقَدتْ روحها الحقيقية، لأن تلك الزعامات كانت تريد اخضاعها لزعامتها القسريّة. إن هذه الأُمّة من الطبيعى أن تنهار بالاندماج مع التّيار الكافر الذى غزاها وسوف تذوب الأُمّة وتذوب الرسالة والعقيدة أيضاً وتصبح الأُمّة خبراً بعد أن كانت أمراً حقيقياً على مسرح التاريخ وبهذا ينتهى دور الإسلام نهائياً [۱۷۱] . لقد كان هذا هو التسلسل المنطقى لمسيرة الدولة والأُمّة والرسالة بقطع النظر عن دور الأئمّة المعصومين الذين أُوكِلت لهم مهمة صيانة التجربة والدولة والأُمّة والرسالة جميعاً. ويتلخص دور الأئمّة الراشدين الذين اختارهم الله ونص عليهم الرسول(صلى الله عليه وآله) لصيانة الإسلام وتطبيقه وتربية الإنسانية على أساسه وصيانة دولة الرسول الخاتم من الانهيار والتردّى فى أمرين مهمّين وخطّين أساسيين بعد أن كانت التجربة الإسلامية تشتمل على عناصر ثلاثة باعتبارها [صفحه ۹۷] عملية تربية تتكوّن من (فاعل) هو المربى ومن (تنظيم) تقدّمه الشريعة ومن (حقل لهذا التنظيم) وهو الأُمّة [۱۷۲] . والانحراف الذى بدأ يغيّر هذه العناصر الثلاثة انطلق من افتقاد المربى الكفوء للأُمّة بوفاة سيد المرسلين(صلى الله عليه وآله). وكان انهدام هذا العنصر كفيلاً بهدم العنصرين الآخرين إذ لم يكن مَن جاء بعد النبى(صلى الله عليه وآله) لقيادة التجربة كفوءاً لقيادتها كالنبى نفسه علماً وعصمةً ونزاهةً وقدرةً وشجاعةً وكمالاً، وإنّما تزعّمها مَن لم يكن معصوماً ومنصهراً فى حقيقة الرسالة ولم يكن مالكاً للضمانات اللازمة لصيانتها من الانحراف عن الخط الذى رسمه رسول الله(صلى الله عليه وآله) لهذه الأُمّة، ذلك الانحراف الذى لم يتصور المسلمون مدى عمقه ومدى تأثيره السلبى على

الدولـة والاُمّـة والشـريعة جميعاً على طول الخط؛ إذ لعلّهم كانوا قـد اعتبروه تغيير شـخص لا تغيير خط. والخطّان الرئيسان اللـذان عمل الأئمّة عليهما وكان عليهم أن يوظّفوا نشاطهم لهما هما: ۱ ـ خط تحصين الاُمّة ضد الانهيار بعد سقوط التجربة، واعطائها من المقومات القدر الكافى لكى تبقى واقفة على قدميها بقدم راسخة وبروح مجاهدة وبإيمان ثابت. ۲ ـ خط محاولة تسلّم زمام التجربة وزمام الدولة ومحو آثار الانحراف وارجاع القيادة إلى موضعها الطبيعى لتكتمل عناصر التربية ولتتلاحم الاُمّة والمجتمع مع الدولة والقيادة الرشيدة [۱۷۳] . أمـا الخـط الثـانى فكـان على الأئمّـة الراشـدين ان يقومـوا بإعـداد طويـل [صـفحه ۹۸] المـدى لـه، من أجـل تهيئـة الظروف الموضوعيـة اللازمـة التى تتنـاسب وتتفق مع مجموعـة القيم والأهـداف والأحكـام الأساسـية التى جـاءت بها الرسالـة الإسـلامية وأريد تحقيقها من خلال الحكم وممارسـة الزعامة باسم الإسـلام القيّم وباسم الله المشـرّع للإنسان ما يوصـله إلى كماله اللائق. ومن هنا كان رأى الأئمّة فى اسـتلام زمام الحكم أن الانتصار المسـلّح الآنىّ غير كاف لإقامة دعائم الحكم الإسـلامى المستقر بل يتوقف ذلك على اعـداد جيش عقائـدى يؤمن بالإمـام وبعصـمته ايماناً مطلقاً يعيش أهـدافه الكبيرة ويـدعم تخطيطه فى مجال الحكم ويحرس ما يحققه للاُمّة من مصالح أرادها الله لها. وأما الخط الأوّل فهو الخط الذى لا يتنافى مع كل الظروف القاهرة وكان يمارسه الأئمّة(عليهم السلام) حتى فى حالة الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعية التى تهيئ الإمام لخوض معركة يتسلّم من خلالها زمام الحكم من جديد. إن هذا الدور وهذا الخط هو تعميق الرسالة فكرياً وروحيّاً وسياسياً للاُمّة نفسها بغية إيجاد تحصين كاف فى صفوفها ليؤثّر فى تحقيق مناعتها وعـدم انهيارها بعـد تردّى التجربة وسـقوطها وذلك بايجاد قواعد واعية فى الاُمّة وايجاد روح رسالية فيها وايجاد عواطف صادقة تجاه هذه الرسالة فى الاُمّة [۱۷۴] . واستلزم عمل الأئمّة(عليهم السلام) فى هذين الخطين قيامهم بدور رسالى ايجابى وفعّال على طول الخط لحفظ الرسالـة والاُمّة والدولة وحمايتها باسـتمرار. وكلما كان الانحراف يشـتد؛ كان الائمّة يتخذون التدابير اللازمة [صـفحه ۹۹] ضد ذلك وكلما وقعت محنـة للعقيدة أو التجربة الإسـلامية وعجزت الزعامات المنحرفة من علاجها ـ بحكم عدم كفاءتها ـ بادر الأئمّة إلى تقـديم الحلّ ووقايـة الأمة من الأخطار التى كانت تهددّها. فالأئمّة(عليهم السـلام) كانوا يحافظون على المقياس العقائدى فى المجتمع الإسـلامى إلى درجة لا تنتهى بالاُمّة إلى الخطر الماحق لها [۱۷۵] . ومن هنا تنوع عمل الأئمة(عليهم السـلام) فى مجالات شتى باعتبار تعدد العلاقات وتعدّد الجوانب والمهام التى تهمهم كقيادة واعية رشـيدة تريد تطبيق الإسـلام وحفظه وضـمان خلوده للإنسانية جمعاء. فالأئمّـة مسؤولون عن صـيانة تراث الرسول(صـلى الله عليه وآله) الأعظم وثمار جهوده الكريمة المتمثلة فى: ۱ ـ الشـريعة والرسالة التى جاء بها الرسول الأعظم من عند الله والمتمثلة فى الكتاب والسنة الشريفين. ۲ ـ الاُمّة التى كوّنها ورباها الرسول الكريم بيديه الكريمتين. ۳ ـ المجتمع السياسـى الإسـلامى الـذى أوجـده النبى محمـد (صـلى الله عليه وآله) أو الدولـة التى أسسـها وشـيّد أركانهـا. ۴ ـ القيـادة النموذجيـة التى حققهـا بنفسه وربّى من يكون كفوءً لتجسـيدها من أهل بيته الطاهرين. لكنّ عـدم امكان الحفاظ على المركز القيادى الـذى رُشّـح له الأئمّـة المعصومون من قبـل رسول الله (صـلى الله عليه وآله) وانتُخِبوا لاسـتلامه ولتربيـة الاُمّـة من خلالـه لا يحول دون الاهتمام بمهمة الحفاظ على المجتمع الإسلامى السياسى وصيانة الدولة الإسلامية من الانهيار بالقدر الممكن الذى يتسنّى لهم بالفعل [صفحه ۱۰۰] وبمقدار ما تسـمح به الظروف الواقعية المحيطة بهم. كما أن سـقوط الدولة الإسـلامية لا يحول دون الاهتمام بالاُمّة كاُمّة مسـلمة ودون الاهتمام بالرسالـة والشـريعة كرسالـة الهيـة وصـيانتها من الانهيار والاضـمحلال التام. وعلى هذا الأساس تنوّعت مجالات عمل الأئمّة جميعاً بالرغم من اختلاف ظروفهم من حيث نوع الحكم القائم ومن حيث درجة ثقافة الاُمّة ومدى وعيها وايمانها ومعرفتها بالأئمّـة(عليهم السـلام) ومـدى انقيادها للحكام المنحرفين ومن حيث نوع الظروف المحيطة بالكيان الإسـلامى والدولة الإسـلامية ومن حيـث درجـة الـتزام الحكّام بالإسـلام ومـن حيـث نـوع الأدوات الـتى كـان يسـتخدمها الحكّام لـدعم حكمهـم وإحكـام سـيطرتهم. فللأئمّـة(عليهم السـلام) نشاط مسـتمر تجاه الحكم القائم والزعامات المنحرفـة وقـد تمثّل فى إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامى، أو بالثورة المسـلّحة ضـد الحاكم حينما كان يشـكّل انحرافه خطراً ماحقاً ـ كثورة الإمام الحسين(عليه السـلام) ضـد يزيـد بن معاويـة ـ إن كلّفهم ذلـك حيـاتهم، أو عن طريق إيجـاد المعارضـة المسـتمرة ودعمها بشـكل وآخر من أجل زعزعـة القيادة

المنحرفة بالرغم من دعمهم للدولة الإسلامية بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطراً ماحقاً أمام الكيانات الكافرة. وكان للأئمّة(عليهم السلام) نشاط مستمر فى مجال تربية الأُمّة عقائدياً وأخلاقياً وسياسياً وذلك من خلال تربية الأصحاب العلماء وبناء الكوادر العلمية والشخصيات النموذجية التى تقوم بمهمة نشر الوعى والفكر الإسلامى وتصحيح الأخطاء المستجدة فى فهم الرسالة والشريعة، ومواجهة التيارات الفكرية الوافدة المنحرفة أو التيارات السياسية المنحرفة أو الشخصيّات العلمية المنحرفة التى كان يستخدمها الحاكم المنحرف لدعم زعامته، كما [صفحه ۱۰۱] قدّموا البديل الفكرى والأخلاقى والسياسى للزعامة المنحرفة والذى كان يتمثل فى زعامة أهل البيت الأطهار المشروعة، وتصعيد درجة معرفة الأُمّة لهم والإيمان بهم والوعى اللازم تجاه إمامتهم وزعامتهم. هذا فضلاً عن نزول الأئمّة(عليهم السلام) إلى ساحة الحياة العامة والارتباط بالأُمّة بشكل مباشر والتعاطف مع قطاع واسع من المسلمين؛ فإن الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق التى كان يتمتع بها ائمّة أهل البيت(عليهم السلام) على مدى قرون لم يحصل عليها أهل البيت صدفة أو لمجرد الانتماء لرسول الله(صلى الله عليه وآله)؛ وذلك لوجود كثير ممن كان ينتسب إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولم يكن يحظى بهذا الولاء؛ لأن الأُمّة لا تمنح على الأغلب الزعامة مجاناً ولا يملك الفرد قيادتها وميل قلوبها من دون عطاء سخىّ منه فى مختلف مجالات اهتمام الأُمّة ومشاكلها وهمومها. وهكذا خرج الإسلام على مستوى النظرية سليماً من الانحراف إن تشوّهت معالم التطبيق، وتحولّت الأُمّة إلى أُمّة عقائدية تقف بوجه الغزو الفكرى والسياسى الكافر واستطاعت أن تسترجع قدرتها وروحها على المدى البعيد كما لاحظناه فى هذا القرن المعاصر بعد عصور الانهيار والتردى. وقد حقق الأئمّة المعصومون(عليهم السلام) كل هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم البليغ بتربية الكتلة الصالحة التى تؤمن بهم وبإمامتهم فأشرفوا على تنمية وعيها وايمانها من خلال التخطيط لسلوكها وحمايتها باستمرار واسعافها بكل الأساليب التى كانت تساعد على صمودها فى خضمّ المحن وارتفاعها إلى مستوى جيش عقائدى رسالى يعيش هموم الرسالة ويعمل على صيانتها ونشرها وتطبيقها ليل نهار. [صفحه ۱۰۲]

مراحل حركة الأئمة الطاهرين

وإذا رجعنا إلى تاريخ أهل البيت(عليهم السلام) والظروف المحيطة بهم ولاحظنا سلوكهم ومواقفهم العامة والخاصة استطعنا أن نصنّف ظروفهم ومواقفهم إلى مراحل وعصور ثلاثة يتميز بعضها عن بعض بالرغم من اشتراكهم فى كثير من الظروف والمواقف ولكن الأدوار تتنوع باعتبار مجموعة الظواهر العامّة التى تشكل خطّاً فاصلاً ومميّزاً لكل عصر. فالمرحلة الاولى من حياة الأئمّة(عليهم السلام) وهى (مرحلة تفادى صدمة الانحراف) بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) تجسّدت فى سلوك ومواقف الأئمّة الأربعة: على والحسن والحسين وعلى بن الحسين(عليهم السلام) فقاموا بالتحصينات اللازمة لصيانة العناصر الأساسية للرسالة وإن لم يستطيعوا القضاء على القيادة المنحرفة. لكنهم استطاعوا كشف زيفها والمحافظة على الرسالة الإسلامية نفسها. وبالطبع إنهم لم يهملوا الأُمّة أو الدولة الإسلامية بشكل عام من رعايتهم واهتماماتهم فيما يرتبط بالكيان الاسلامى والأُمّة المسلمة فضلاً عن سعيهم البليغ فى بناء وتكوين الكتلة الصالحة المؤمنة بقيادتهم. وتبدأ المرحلة الثانية بالشطر الثانى من حياة الإمام السجاد السياسية حتى الإمام الكاظم(عليه السلام) وتتميز بأمرين أساسيين: ۱ ـ أما فيما يرتبط بالخلافة المزيّفة فقد تصدى هؤلاء الأئمّة لتعريتها عن التحصينات التى بدأ الخلفاء يحصّنون بها أنفسهم من خلال دعم طبقة من المحدّثين والعلماء (وهم وعّاظ السلاطين) لهم وتقديم التأييد والولاء لهم من أجل إسباغ الصبغة الشرعية على زعامتهم بعد أن استطاع الأئمّة فى المرحلة الاولى أن يكشفوا زيف خط الخلافة وأن يُحَسّسوا الأُمّة بمضاعفات الانحراف الذى حصل فى مركز القيادة بعد الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله). ۲ ـ وأما فيما يرتبط ببناء الكتلة الصالحة الذى أُرسيت دعائمه فى المرحلة الاولى فقد تصدى الأئمّة المعصومون فى هذه المرحلة إلى تحديد [صفحه ۱۰۳] الاطار التفصيلى وإيضاح معالم الخط الرسالى الذى أُؤتمن الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) عليه والذى تمثّل فى تبيين ونشر معالم النظرية الإسلامية الإمامية وتربية عدة أجيال من العلماء على أساس الثقافة الإسلامية الإمامية الناصعة فى قبال الخط العُلمائى الخلفائى (وهو خط وعاظ

السلاطين). هذا فضلاً عن تصديهم لدفع الشبهات وكشف زيف الفرق المذهبية التى استحدثت من قبل خط الخلافة أو غيره. والأئمّة فى هذه المرحلة لم يتوانوا فى زعزعة الزعامات والقيادات المنحرفة من خلال دعم بعض خطوط المعارِضة للسلطة ولاسيما بعض الخطوط الثورية منها التى كانت تتصدى لمواجهة من تربَّع على كرسىّ خلافة الرسول(صلى الله عليه وآله) بعد ثورة الإمام الحسين(عليه السلام). وأما فيما يخص المرحلة الثالثة من حياة الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) بدءً بشطر من حياة الإمام الكاظم(عليهم السلام) وانتهاءً بالإمام المهدى(عليه السلام) فإنهم بعد وضع التحصينات اللازمة للكتلة الصالحة ورسم المعالم والخطوط التفصيلية لها عقائدياً واخلاقياً وسياسيّاً فى المرحلة الثانية قد بدا للخلفاء أن قيادة أهل البيت(عليهم السلام) أصبحت بمستوى تسلّم زمام الحكم والعودة بالمجتمع الإسلامى إلى حظيرة الإسلام الحقيقى، مما خلّف ردود فعل للخلفاء تجاه الأئمّة(عليهم السلام)، وكانت مواقف الأئمّة تجاه الخلفاء تبعاً لنوع موقف الخليفة تجاههم وتجاه قضيتهم. وأما فيما يرتبط بالكتلة الصالحة التى أوضحوا لها معالم خطها فقد عمل الأئمّة(عليهم السلام) على دفعها نحو الثبات والاستقرار والانتشار من جهة لتحصينها من الانهيار واعطائها درجة من الاكتفاء الذاتى من جهة اُخرى، وكان يقدّر الأئمّة أنهم بعد المواجهة المستمرة للخلفاء سوف لا يُسمح لهم بالمكث بين ظهرانيهم وسوف لن يتركهم الخلفاء أحراراً بعد أن تبين زيفهم [صفحه ۱۰۴] ودَجلهم واتضحت لهم المكانة الشعبية للأئمّة الذين كانوا يمثّلون الزعامة الشرعية والواقعية للاُمّة الإسلامية. ومن هنا تجلّت ظاهرة تربية الفقهاء بشكل واسع ثم ارجاع الناس اليهم وتدريبهم على مراجعتهم فى قضاياهم وشؤونهم العامة تمهيداً للغيبة التى لا يعلم مداها إلّا الله سبحانه والتى أخبر الرسول(صلى الله عليه وآله) عن تحققها وأملت الظروف عليهم الانصياع اليها. وبهذا استطاع الأئمّة(عليهم السلام) ـ ضمن تخطيط بعيد المدى ـ أن يقفوا بوجه التسلسل الطبيعى لمضاعفات انحراف القيادة الإسلامية والتى كانت تنتهى بتنازل الاُمّة عن الإسلام الصحيح وبالتالى ضمور الشريعة وانهيار الرسالة الالهية بشكل كامل. فالذى جعل الاُمّة لا تتنازل عن الإسلام هو أن الإسلام قُدّم له مثل آخر واضح المعالم، أصيل المُثل والقيم، أصيل الأهداف والغايات، وقُدّمت هذه الاطروحة من قبل الواعين من المسلمين بزعامة الأئمّة من أهل البيت المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. إن هذه الاطروحة التى قدّمها الأئمّة الطاهرين(عليهم السلام) للإسلام لم تكن تتفاعل مع الشيعة المؤمنين بإمامة أهل البيت(عليهم السلام) فقط، بل كان لها صدى كبير فى كل العالم الإسلامى، فالأئمّة الأطهار كانت لهم اطروحة للإسلام وكانت لهم دعوى لإمامتهم، وهذه الدعوى وان لم يطلبوا لها إلّا عدداً ضئيلاً من مجموع الاُمّة الإسلامية ولكن الاُمّة بمجموعها تفاعلت مع هذه الاطروحة التى تُمَثّل النموذج والمخطط الواضح الصحيح الصريح للإسلام فى كل المجالات العامة والخاصة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وخلقياً وعبادياً... مما جعل المسلمين على مرّ الزمن يسهرون على الإسلام ويقيمونه وينظرون اليه بمنظار آخر غير منظار الواقع الذى كانوا يعيشونه من خلال الحكم القائم [۱۷۶] . [صفحه ۱۰۵]

ملامح عصر الإمام زين العابدين

تبيّن بوضوح من خلال البحوث السابقة أنّ الإمام زين العابدين(عليه السلام) قد عاش أقسى فترة من الفترات التى مرّت على القادة من أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، لأنّه عاصر قمّة الإنحراف الذى بدأ بعد وفاة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله). وذلك أنّ الانحراف فى زمن الإمام زين العابدين(عليه السلام) قد أخذ شكلاً صريحاً، لا على مستوى المضمون فقط بل على مستوى الشعارات المطروحة أيضاً من قبل الحكّام فى مجال العمل والتنفيذ، وانكشف واقع الحكّام لدى الجماهير المسلمة بعد مقتل الإمام الحسين(عليه السلام) ولم يبق ما يستر عورة حكمهم أمام الاُمّة التى خبرت واقعهم وحقيقتهم المزرية. وقد عاصر الإمام(عليه السلام) كلّ المحن والبلايا التى وقعت أيّام جدّه أمير المؤمنين علىّ(عليه السلام) إذ ولد قبل استشهاد الإمام علىّ(عليه السلام) وتفتحت عيناه وجَدّه(عليه السلام) فى محنته فى خط الجهاد مع الناكثين والقاسطين والمارقين، ومن ثمّ عاش مع عمّه الإمام الحسن(عليه السلام) فى محنته مع معاوية وعُمّالهِ وعملائه، ومع أبيه الحسين(عليه السلام) وهو فى محنته الفاجعة إلى أن استقلّ بالمحنة وجهاً لوجه، وقد وصلت به

المحنة ذروتها عندما رأى جيوش بنى اُميّة تدخل مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله) فى المدينة وتربط خيولها فى المسجد، هذا المسجد [صفحه ۱۰۶] الذى كان منطلقاً للرسالة وأفكارها إلى العالم أجمع، وقد أصاب هذا المسجد فى عهد الإمام زين العابدين(عليه السلام) كثير من الذلّ والهوان على يد الجيش الاُموى الذى أباح المدينة والمسجد معاً، وهتك حرمات النبىّ(صلى الله عليه وآله) فيهما جميعاً. وكان القتل هو أبسط الوسائل التى استعملت فى ذلك العصر مع المعارضين، إذ كان التمثيل الانتقامى والصلب على الأشجار وتقطيع الأيدى والأرجل وألوان العقاب البدنى لغة الحديث اليومى. وانغمس الاُمويون فى الترف، وقد ذكر المؤرّخون نوادر كثيرة من ترفهم وتلاعبهم باقتصاد الاُمّة وثرواتها [۱۷۷] ، حتى بالغوا فى هباتهم للشعراء وأجزلوا العطاء للمغنّين [۱۷۸] ، وسادت حياة اللهو والعبث والمجون فى كثير من أنحاء العالم الإسلامى وخصوصاً فى مكّة والمدينة، وعمدت السلطات الاُموية إلى إشاعة ذلك فيهما لإسقاط هيبتهما من نفوس المسلمين. لقد شاع الغناء فى مدينة الرسول(صلى الله عليه وآله) بشكل ينادى له جبين الإنسان المؤمن بالله وبرسوله، حتى صارت مركزاً له. قال أبو الفرج: إنّ الغناء فى المدينة لا يُنكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم [۱۷۹] . وقال أبو يوسف لبعض أهالى المدينة: ما أعجب أمركم يا أهل المدينة فى هذه الأغانى! ما منكم شريف ولا دنىء يتحاشى عنها [۱۸۰] !!. وكان العقيق إذا سال وأخذ المغنّون يلقون أغانيهم لم تبق فى المدينة [صفحه ۱۰۷] مخبّأة ولا شابة ولا شابّ ولا كهل إلّا خرج ببصره ليسمع الغناء [۱۸۱] . نعم غدت المدينة فى ذلك العصر مركزاً من مراكز الغناء فى الحاضرة الإسلامية وأصبحت معهداً متميزاً لتعليم الجوارى الغناء [۱۸۲] بينما كانت الشريعة الإسلامية قد حاربت اللهو والمجون ودعت الإنسان المسلم الى حياة الجدّ والاجتهاد والكدح من أجل إعمار حياته الدنيا وحياته الاُخرى بالصالحات واستباق الخيرات وتسلّق قمم الكمال والحرص على أثمن لحظات عمره فى هذه الحياة وصيانتها من الضياع والخسران. أمّا الحياة العلمية فى عصر الإمام زين العابدين(عليه السلام) فقد كانت مشلولةً بما حوته هذه الكلمة من معنى، إذ كان الخط السياسى الذى سارت عليه الدولة الاُموية منذ تأسيسها يرتكز على مجافاة العلم، وإقصاء الوعى والثقافة من حياة المسلمين، وجرّهم الى منحدر سحيق من الجهل؛ لأنّ بلورة الوعى العام وإشاعة العلم بين المسلمين كان يهدّد مصالحهم ودوام ملكهم القائم على استغلال الجهل والغفلة التى روّج لها من تقمّص الخلافة بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله). أمّا الطابع الخاصّ للحياة الأدبية فتعرفه ممّا جرى على لسان شعراء ذلك العصر، فهو لم يمثّل أىّ مشكلة اجتماعية من مشاكل ذلك العصر على كثرتها، كما أنّه لم يمثّل أىّ جدٍّ فى الحياة العقلية والأدبية، وإنّما كان شعراً قَبَليّاً يحكى فيه كلّ شاعر ما امتازت به قبيلته من كرم الضيافة ووفرة المال والعدد، كما غدا الأدب سوقاً للهجاء المرّ والتنابز بالألقاب [۱۸۳] . [صفحه ۱۰۹]

تخطيط الإمام زين العابدين و جهاده

اشاره

نجد فى سيرة الأئمّة(عليهم السلام) العديد من الأدلّة التى أوضحوا من خلالها للناس سبب الاختلاف فى أساليبهم فى قيادة الحركة الإسلامية من إمام لآخر. فالإمام السجاد(عليه السلام) قال له عبّاد البصرى وهو فى طريق مكّة: تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحجّ ولينه، و (إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) [۱۸۴] فأجابه الإمام(عليه السلام): إقرأ بعدها: (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين)، ثمّ قال(عليه السلام): إذا ظهر هؤلاء ـ يعنى المؤمنين حسب مواصفاتهم فى الآية ـ لم نؤثر على الجهاد شيئاً [۱۸۵] . وبهذه الإجابة حدّد الإمام(عليه السلام) بشكل صارم سياسته ولون كفاحه، ووجهة حركته فى عصره، ومن ثمّ الأسباب الموجبة لذلك المسار، فإنّ عدوله عن الكفاح المسلّح والمواجهة العسكرية للحكم الاُموى لم تأتِ حبّاً فى الحياة ونعيمها كما تصوّر عبّاد البصرى، وإنّما جاء ذلك لأنّ مستلزمات

العمل العسكرى الناجح غير متوفرة، ولأنّ النتائج من أىّ تحدٍّ للسلطان فى تلك الظروف تكون عكسيّةً تماماً. [صفحه ۱۱۰] وبعد ملحمة كربلاء مباشرةً تبنّى الإمام السجاد(عليه السلام) وكرائم أهل البيت كزينب وأُمّ كلثوم ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ سياسة إسقاط الأقنعة التى كان الأُمويون قد غطّوا وجوه سياستهم الكالحة الخطيرة بها، وحمّلوا الأُمّة كذلك مسؤوليتها التأريخية أمام الله والرسالة. ومن هنا نلاحظ بوضوح أنّ الخطب والتصريحات التى صدرت عن الإمام زين العابدين(عليه السلام) وعقائل أهل البيت(عليهم السلام) فى العراق قد انصبّت على مخاطبة ضمائر الناس كمجموع، وإلفات نظر الناس إلى جسامة الخطر الذى حاق بهم، وإلى حجم الجريمة التى ارتكبتها بنو أُمية بحقّ رسالة الله تعالى. وفى الشام ركّزت كلمات الإمام السجّاد(عليه السلام) على التعريف بالسبايا ذاتهم، وأنّهم آل الرسول(صلى الله عليه وآله)، ثمّ فضح الحكم الأُموى وتعريته أمام أهل الشام الذين أضلّهم عن رؤية الواقع. وقبل دخوله المدينة عمل الإمام السجاد(عليه السلام) على إثارة الرأى والوعى العام الإسلامى وتوجيهه الى محنة الرسالة التى تمثّلت فى فاجعة الطفّ، فقد كان خطابه الذى ألقاه بالناس يستبطن هذه المعانى. ولقد أعطت تجربة كربلاء مؤشّراً عملياً على أنّ الأُمّة المسلمة فى حالة ركود وتبلّد ممّا جعل الروح الجهادية لديها فى حالة غياب إن لم نقل إنّها كانت معدومة نهائياً، ومن أجل ذلك فإنّ السجاد(عليه السلام) ـ باعتباره إمام الأُمّة الذى انتهت إليه مرجعية الأُمّة ـ أخذ تلك الظاهرة بعين الاعتبار، ولذلك مارس دوره من خلال العمل على تنمية التيار الرسالى فى الأُمّة، وتوسيع دائرته فى الساحة الإسلامية، والعمل على رفع مستوى الوعى الإسلامى والإنفتاح العملى فى قطاعات الأُمّة المختلفة، وخلق قيادات متميزة تحمل الفكر الإسلامى النقى، لا الفكر الذى يُشيعه الحكم الأُموى. [صفحه ۱۱۱] ولهذا النهج مبرّراته الموضوعية، فإنّ قوى الانحراف عبر سنوات عديدة من سيطرتها على مراكز التوجيه الفكرى والإجتماعى توفّرت على صنع أجيال ذائبة فى الانحراف، الأمر الذى أصبح فيه من المتعذّر على التيار الإسلامى السليم مواجهتها، بالنظر لضخامة تلك القوى، وتوفّر الغطاء الواقى لها من مؤسسات وقدرات؛ ولتعرّض التيار الإسلامى ذاته للخسائر المتتالية. ومن هنا، فإنّ أمر تكثيف التيار الإسلامى وإثرائه كمّاً وكيفاً مسألة لا تقبل التأجيل، ما دام أمر بقاء الرسالة حيّة ـ فكراً وعملاً ـ متوقّفاً على بقاء سلامة هذا التيار فى كيان الأُمّة وقواعدها الشعبية، طالما لم يتسنّ له تسلّم المرجعية العامة فى الإدارة والحكم. ولقد نجحت خطط الإمام(عليه السلام) على شتّى الأصعدة وحسبما خطّط لها، وفيما يلى مصداقان عمليان على ذلك: ففى المجال الإجتماعى أثمرت خطّة الإمام(عليه السلام) حيث حظى بإجلال القطّاعات الواسعة من الأُمّة وولائها، والمصادر التأريخية مجمعة على ذلك. قال ابن خلّكان: لمّا حجّ هشام بن عبد الملك فى أيام أبيه، فطاف وجهد أن يصل الحجر ليستلمه، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام، فنُصِب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب «رضى الله عنهم»، وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً، فطاف بالبيت، فلمّا انتهى إلى الحجر تنحّى له الناس حتى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضراً فقال:أنا أعرفه،فقال الشامى:من هذا يا أبافراس؟فقال: [صفحه ۱۱۲] هذا ابْنُ خَيرِ عِبادِ اللهِ كُلِّهِمُ هذا النَّقىُّ التَقِىُّ الطاهِرُ العَلَمُ مُشتَقَّةٌ مِن رَسولِ اللهِ نَبْعَتُهُ طابَتْ عَناصِرُهُ والخِيمُ والشِّيَمُ الله شَرَّفَهُ قِدْماً وعَظَّمَهُ جَرى بِذاكَ لهُ فى لَوحِهِ القَلَمُ مِنْ مَعشَر حُبُّهُمْ دينٌ وبُغْضُهُمُ كُفْرٌ وقُرْبُهُم مَنْجىً ومُعْتَصَمُ أىُّ الخَلائِقِ لَيْسَتْ فى رِقابِهِم لِاوَّلِيَّةِ هذا أوْ لَهُ نِعَمُ؟ [۱۸۶] . إنّ هذه الحادثة توضّح أنّ الإمام(عليه السلام) كان قد حظى بولاء جماهيرىٍّ حقيقىٍّ واسع النطاق، بشكل جعل ذلك الولاء يتجسّد حيّاً حتى فى أقدس ساعة، وفى موقف عبادىّ مشهود، فما أن تلتقى الجماهير الكثيفة بإمامها الحقّ؛ حتى توسّع له، لكى يؤدّى مناسكه دون أىّة مضايقة عفوية منها، بالرغم من أنّ الأُمّة تدرك عداء الحكم الأُموى لأهل البيت(عليهم السلام) وما يترتّب على ذلك [صفحه ۱۱۳] العداء من موقف تجاه أنصار أهل البيت(عليهم السلام) وأتباعهم. وحقّق النشاط العلمى للإمام(عليه السلام) غاياته المتوخّاة، فالمسجد النبوىّ الشريف ودار الإمام(عليه السلام) شهدا طوال خمسة وثلاثين عاماً ـ وهى فترة إمامته ـ نشاطاً فكرياً من الطراز الأول، حيث استقطب الإمام(عليه السلام) طلاّب المعرفة الإسلامية فى جميع حقولها، لا فى المدينة المنورة ومكّة المكرمة وحدهما، وإنّما فى الساحة

الإسلامية بأكملها، حتى استطاع أن يخلق نواة مدرسة فكرية لها طابعها ومعالمها المميّزة، وتخرّج منها قادة فكر ومحدّثون وفقهاء. إنّ انفصام عرى الشيعة بعد استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) وتَشَتُّت قُواهم كان من أعظم الأخطار التى واجهها الإمام زين العابدين(عليه السلام) باتّجاه استجماع القوى وتكميل الإعداد من جديد، وقد كان هذا الهدف بحاجة إلى إعداد نفسى وعقيدى وإحياء الأمل فى القلوب وبثّ العزم فى النفوس. وقد تمكّن الإمام زين العابدين(عليه السلام) بعمله الهادئ والمنظّم أن يشرف على تكميل هذه الاستعادة، وعلى هذا الإعداد بكل قوّة وبحكمة وبسلامة وجدّ. وقد أطلق الإمام(عليه السلام) نهجاً جهادياً ينهض بأعباء متطلبات المرحلة الخطيرة آنذاك. ويمكن الحديث عن هذا النهج عبر مستويات متعدّدة:

الجهاد الفكرى والعلمى

من المعلوم أنّ الفكر السليم هو أحد مقوّمات كلّ حركة سياسية صحيحة، فتثقيف الجماهير وتوعيتها لتكون على علم بما يجرى عليها وحواليها وما يجب لها وعليها من حقوق وواجبات هو الركيزة الأُولى لِصدّ [صفحه ۱۱۴] الأنظمة الحاكمة الفاسدة التى تسعى على طول التأريخ فى إبعاد الناس عن الحقّ والتعاليم الأصيلة. وقد قام الإمام زين العابدين(عليه السلام) بأداء دور مهمّ فى هذا الميدان، حيث تصدّى للوقوف بوجه المنع السلطوى لرواية الحديث [۱۸۷] فأمر برواية الحديث وحثّ على ذلك، وكان يطبّق السنّة ويدعو إلى تطبيقها والعمل بها، وقد روى عنه قوله(عليه السلام): إنّ أفضل الأعمال ما عمل بالسنّة وإن قلّ [۱۸۸] . وفى الظروف التى عاشها الإمام(عليه السلام) ـ حيث كان الحكّام بصدد اجتثاث الحقّ من جذوره وأُصوله والذى تمثّل فى حفظة القرآن ومفسّريه ـ كانت الدعوة إلى الاعتصام بالقرآن من أهم الواجبات آنذاك، ولقد قام الإمام زين العابدين(عليه السلام) بجهد وافر فى هذا المجال. قال(عليه السلام): «عليك بالقرآن، فإنّ الله خلق الجنّة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك وترابها الزعفران وحصاها اللؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمن قرأ منها قال له: إقرأ وارق، ومن دخل الجنّة لم يكن فى الجنّة أعلى درجة منه، ما خلا النبيّين والصدّيقين» [۱۸۹] وكان يقول: «لو مات من بين المشرق والمغرب ما استوحشت بعد أن يكون القرآن معى» [۱۹۰] . كما كان يسعى فى تمجيد القرآن عملياً وبأشكال مختلفة، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن [۱۹۱] ، كما كان يرشد الأُمّة من خلال تفسيره للقرآن [صفحه ۱۱۵] الكريم [۱۹۲] . وبذل الإمام(عليه السلام) جهوداً جبّارةً لتثبيت قواعد التوحيد الإلهى وتشييد أركانه عبر الاستدلال على ذلك بما يوافق الفطرة والعقل السليمين، والردّ على الأفكار المنحرفة التى غذّاها الحكّام ـ مثل فكرة الجبر الإلهى ـ بهدف التمكّن من السلطة والسيطرة التامة على مصير الناس والهيمنة على الأفكار بعد السيطرة على الأفواه والأجسام، وقد ذكرنا أنّ الإمام(عليه السلام) قال لابن زياد الذى أراد أن ينسب قتل علىّ بن الحسين إلى الله: «إنّ الله يتوفّى الأنفسَ حين موتها»، فالإمام تحدّى الحاكم فى مجلسه حين ردّ على الانحراف العقائدى بتلك الصراحة، وبيّن الفرق بين التوفّى للأنفس واسترجاعها ـ الذى نسبه القرآن إلى الله تعالى حين حلول الأجل والموت حتف الأنف ـ وبين القتل الذى هو إزهاق الروح من قبل القاتل قبل حلول الموت المذكور. وفى جوابه(عليه السلام) عن سؤال: أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟ قال(عليه السلام): «إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد... ولله فيه العون لعباده الصالحين»، ثمّ قال(عليه السلام): «ألا ـ من أجور الناس من رأى جوره عدلاً، وعدل المهتدى جوراً» [۱۹۳] . وهكذا تصدّى الإمام(عليه السلام) لعقيدة التشبيه والتجسيم [۱۹۴] ، وفكرة الإرجاء [۱۹۵] . وعلى صعيد الإمامة والولاية أعلن الإمام(عليه السلام) عن إمامته بنفسه بكلّ وضوح وصراحة ومن دون أيّة تقيّة أو سريّة، وقد تعدّدت الأحاديث [صفحه ۱۱۶] المصرّحة بهذا الإعلان، منها قوله(عليه السلام): «نحن أئمّة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين وقادة الغرّ المحجّلين وموالى المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء... ولولا ما فى الأرض منّا لساخت بأهلها، ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة لله فيها، ولو لا ذلك لم يعبد الله» [۱۹۶] . وقال أبو المنهال نصر بن أوس الطائى: قال لى علىّ بن الحسين(عليه السلام): «إلى مَن يذهب الناس؟»

قال: قلت: يذهبون ها هنا وها هنا، قال: «قل لهم يجيئون إليّ» [۱۹۷] . وقال له أبو خالد الكابلى: يا مولاى، أخبرنى كم يكون الأئمّة بعدك؟ قال: «ثمانية لأنّ الأئمّة بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) اثنا عشر إماماً، عدد الأسباط، ثلاثة من الماضين، وأنا الرابع، وثمانية من ولدى...» [۱۹۸] . والإنحراف الذى حصل عن أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) لم ينحصر فى إقصائهم عن الحكم والولاية فقط، بل انتهى إلى الجهل بأحكام الشريعة التى كان الأئمّة هم المرجع الواقعى والصحيح للتعرّف عليها. فالإمام ليس وليّاً للأمر وحاكماً على البلاد والعباد فحسب، وإنّما هو مصدر يرجع اليه لفهم الشريعة وتبيين أحكامها، باعتبار معرفته التامة بالشريعة الخاتمة وارتباطه الوثيق بمصادرها الحقيقيّة. وكما أقصى الحكّام أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) عن الحكم والولاية؛ حاولوا كذلك نفى مرجعيتهم الدينية والعلميّة وإبعاد الناس عنهم، لذلك اهتمّ الأئمّة [صفحه ۱۱۷] وأتباعهم بإرشاد الناس إلى هذا المعين الصافى للشريعة الإسلامية كى ينهلوا منه، وكان اهتمام الإمام السجاد(عليه السلام) بليغاً بهذا الأمر حتى قال(عليه السلام) لرجل شاجره فى مسألة شرعية فقهية: «يا هذا، لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرئيل فى رحالنا، أيكون أحدٌ أعلم بالسنّة منّا» [۱۹۹] . وقال(عليه السلام): «إنّ دين الله لا ـ يُصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، لا يُصاب إلّا بالتسليم، فمن سلّم لنا سَلِم، ومن اقتدى بنا هُدى، ومن كان يعمل بالقياس والرأى هلك، ومن وجد فى نفسه ـ ممّا نقوله أو نقضى به ـ حَرَجاً كفر بالّذى أنزل السبع المثانى والقرآن العظيم وهو لا يعلم» [۲۰۰] .

الجهاد الاجتماعى والعملى

إنّ أهّم أهداف القادة الإلهيّين هو إصلاح المجتمع البشرىّ بتربيته على التعاليم الالهية، ولا بدّ للمصلح أن يمرّ بمراحل من العمل الجادّ والمضنى فى هذا الطريق الشائك، فعليه: ۱ ـ أن يربّى جيلاً من المؤمنين على التعاليم الحقّة التى جاء بها الدين والأخلاق القيّمة التى ينبغى التخلّق بها، لكى يكونوا له أعواناً على الخير. ۲ ـ أن يدخل المجتمع بكلّ ثقله، ويحضر بين الناس، ويواجه الظالمين والطغاة بتعاليمه، ويبلغهم رسالات الله. ۳ ـ أن يقاوم الفساد الذى يبثّه الظالمون فى المجتمع بهدف شلّ قواه، وتفريغه من المعنويات، وإبعاده عن فطرته السليمة المعتمدة على الحقّ والخير. [صفحه ۱۱۸] كان للإمام(عليه السلام) نشاط واسع فى كلّ هذه المجالات، بحيث يعدّ ـ بحقٍّ ـ فى صدر قائمة المصلحين الالهيين بالرغم من تميّز عصره بتحكّم طغاة بنى اُمية على الاُمّة وعلى مقدّراتها وجسم الخلافة الإسلامية التى تقتل من يعارضها وتهدر دمه تحت عنوان الخروج على الإسلام. ويمكن الحديث عن أوجه نشاطه(عليه السلام) العملى فى الجانب الإجتماعى على عدّة أوجه منها:

الاخلاق والتربية (على مستوى الامة و أتباع أهل البيت)

ضرب الإمام زين العابدين(عليه السلام) أروع الأمثلة فى تجسيد الخلق المحمدى العظيم فى التزاماته الخاصة وفى سيرته مع الناس، بل مع كلّ ما حوله من الموجودات. فكانت تتبلور فيه شخصية القائد الإسلامى المحنّك الذى جمع بين القابلية العلمية الراقية، والشرف السامق، والقدرة على جذب القلوب وامتلاكها، ومواجهة المشاكل والوقوف لصدّها بكلّ صبر وأناة وهدوء. فالصبر الذى تحلّى به وتجلّى لنا من خلال ما تحمّله فى مأساة كربلاء أكبر شاهد على عظمة صبره. ومثابرته ومداومته على العمل الإسلامى بارزة للعيان، وهذا الفصل يمثّل جزءاً من نشاطه السياسى والإجتماعى الجادّ. وحديث مواساته للإخوان والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام بالبذل والعطاء والإنفاق ممّا اشتهر عند الخاصّ والعامّ. وحُنوّه وحنانه على العبيد وعلى الأقارب والأباعد بل على أعدائه وخصومه ممّا سارت به الركبان. [صفحه ۱۱۹] وأخبار عبادته وخوفه من الله جلّ جلاله وإعلانه ذلك فى كلّ مناسبة ملأت الصحف حتى خصّ بلقب «زين العابدين» و «سيّد الساجدين». وسنتحدّث عن بعض ذلك فيما بعد بإذنه تعالى، كما أنّنا أشرنا إلى جانب بسيط جدّاً من ذلك سابقاً.

الاصلاح والدولة

لقد شاع عند بعض المؤرّخين أنّ الأئمّة من أبناء الحسين (عليهم السلام) قد اعتزلوا بعد مذبحة كربلاء السياسة، وانصرفوا إلى الإرشاد والعبادة والإنقطاع إلى الدنيا [۲۰۱] . ويدلّلون على قولهم هذا بتأريخ حياة الإمام السجاد(عليه السلام) ودعوى انعزاله عن الحياة الإسلامية العامة، ويبدو أنّ سبب هذه التصوّرات الخاطئة لدى المؤرّخين هو ما بدا لهم من عدم احتدام الأئمّة بعد الحسين(عليه السلام) على عمل مسلّح ضد الوضع الحاكم مع إعطائهم الجانب السياسى من القيادة معنىً ضيّقاً لا ينطبق إلّا على عمل مسلّح من هذا القبيل. إنّ ما يقال من أنّ الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) من أبناء الحسين(عليه السلام) اعتزلوا السياسة وانقطعوا عن الدنيا فهو زعم يكذّبه وينفيه واقع حياة الأئمّة الزاخرة كلّها بالشواهد على ايجابية المشاركة الفعّالة التى كانوا يمارسونها. فمن ذلك علاقات الإمام زين العابدين(عليه السلام) بالأُمّة والزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق والتى كان يتمتّع بها على طول الخط [۲۰۲] ؛ فإنّ هذه الزعامة لم يكن ليحصل عليها الإمام(عليه السلام) صدفةً أو على أساس مجرّد الانتساب إلى [صفحه ۱۲۰] الرسول(صلى الله عليه وآله) بل على أساس العطاء والدور الايجابى الذى كان يمارسه الإمام فى الأُمّة بالرغم من إقصائه عن مركز الحكم؛ فإنّ الأُمّة لا تمنح ـ على الأغلب ـ الزعامة مجاناً، ولا ـ يمتلك الفرد قيادتها ويحتلّ قلوبها بدون عطاء سخىّ منه تستشعره الأُمّة فى مختلف مجالاتها، وتستفيد منه فى حلّ مشكلاتها والحفاظ على رسالتها. ومع أنّ مزاولات الإمام (عليه السلام) الدينية كلّها من صميم العمل السياسى وخاصّةً فى عصره حيث لم يُسمع نغمُ الفصل بين السياسة والدين بعد، نجد فى طيّات حياة الإمام(عليه السلام) عيّنات واضحة من التدخّلات السياسية الصريحة، فهو كما يبدو من النصوص الصادرة عنه تجده رجلًا مشرفاً على الساحة السياسية، يدخل محاورات حادّة، ويتابع مجريات الأحداث، ويدلى بتصريحات خطيرة ضد الأوضاع الفاسدة التى تعيشها الأُمّة وإليك بعض النماذج على ذلك: ۱ ـ قال عبد الله بن الحسن بن الحسن: كان علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب يجلس كلّ ليلة هو وعروة بن الزبير فى مؤخّر مسجد النبى(صلى الله عليه وآله) بعد العشاء الآخرة، فكنت أجلس معهما، فتحدّثا ليلة، فذكروا جور من جار من بنى اُميّة والمقام معهم، فقال عروة لعلىّ: يا علىّ إنّ من اعتزل أهل الجور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم، فكان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله رُجى له أن يسلم ممّا أصابهم. قال: فخرج عروة، فسكن العقيق. قال عبد الله بن الحسن: وخرجت أنا فنزلت سويقة [۲۰۳] . [صفحه ۱۲۱] أمّا الإمام(عليه السلام) فلم يخرج، بل آثر البقاء فى المدينة طوال حياته؛ لأنّه كان يعدّ مثل هذا الخروج فراراً من الزحف السياسى وإخلاءً للساحة الاجتماعية للظالمين، يجولون فيها ويصولون [۲۰۴] . ولعلّ اقتراح عروة بن الزبير ـ وهو من أعداء أهل البيت (عليهم السلام) [۲۰۵] ـ كان تدبيراً سياسياً منه أو من قبل الحكّام لإبعاد الإمام(عليه السلام) عن الحضور فى الساحة السياسية والاجتماعية، لكنّه(عليه السلام) لم يخرج وظلّ يواصل مسيرته الجهادية. ۲ ـ قال(عليه السلام): «إنّ للحق دولة على العقل، وللمنكر دولة على المعروف، وللشرّ دولة على الخير، وللجهل دولة على الحلم، وللجزع دولة على الصبر، وللخرق دولة على الرفق، وللبؤس دولة على الخصب، وللشدّة دولة على الرخاء، وللرغبة دولة على الزهد، وللبيوت الخبيثة دولة على بيوتات الشرف، وللأرض السبخة دولة على الأرض العذبة، فنعوذ بالله من تلك الدول ومن الحياة فى النقمات» [۲۰۶] . وإذا كانت الدولة فى اللسان العربى هى الغلبة والاستيلاء ـ وهى من أبرز مقومات السلطة الحاكمة ـ فإنّ الإمام(عليه السلام) يكون قد أدرج قضية السلطة السياسية فى سائر القضايا الحيوية والطبيعية التى يهتمّ بها ويفكّر فى إصلاحها. فمن يا ترى؟ ومن هى البيوتات الشريفة المغلوبة فى عصره (عليه السلام)؟ وهل التعوّذ بالله تعالى من دولة السلطان يعنى أمراً غير رفض وجوده والتنديد بسلطته؟ وهل يتصوّر السياسى أن يكون له حضور أقوى من هذا فى مثل [صفحه ۱۲۲] ظروف الإمام(عليه السلام) وموقعه وضمن تخطيطه الشامل فى قيادة حركة الإسلام؟ وهل يصدر مثل هذا من رجل ادُّعى أنّه ابتعد عن السياسة أو اعتزلها؟.

مقاومة الفساد

وإذا كان من أهم واجبات المصلح وخاصةً المصلح الإلهى مقاومة الفساد ومحاربة المفسدين فى الأرض؛ فإنّ الإمام زين العابدين(عليه السلام) قام بدور بارز فى أداء هذا الواجب. وقد تميّز عصره(عليه السلام) بمشاكل اجتماعية من نوع خاص، وقد تكون موجودة فى كثير من العصور، إلّا أنّ بروزها فى عصره كان واضحاً ومكثّفاً، كما أنّ الإمام(عليه السلام) قام بمعالجتها بأُسلوبه الخاصّ، ممّا أعطاها صبغة فريدة تميّزت فى جهاد الإمام(عليه السلام) وأهمها مشكلة الفقر العام ومشكلة الرقّ والعبيد. وسنعرض لهما فى فصل قادم إن شاء الله تعالى. [صفحه ۱۲۳]

ظواهر فذة فى حياة الإمام زين العابدين

اشاره

تميّزت حياة الإمام زين العابدين(عليه السلام) بمظاهر فذّة، وهى وإن كانت متوفرة فى حياة آبائه الطاهرين وأبنائه الأئمّة المعصومين(عليهم السلام) إلّا أنّها برزت فى سيرته(عليه السلام) بشكل أكثر وضوحاً وأوسع دوراً، ممّا دعانا إلى تسليط الضوء عليها أشدّ من غيرها، وهى: أ ـ ظاهرة العبادة. ب ـ ظاهرة الدعاء. ج ـ ظاهرة البكاء. د ـ ظاهرة الإعتاق. فإذا سبرنا حياة الأئمّة (عليهم السلام) وجدناهم ـ كلّهم ـ يتميّزون فى هذه المظاهر على أهل زمانهم، إلّا أنّها فى حياة الإمام زين العابدين(عليه السلام) تجلّت بقوة، حتى كان (عليه السلام) فريداً فى كلّ منها.

ظاهرة العبادة فى حياة الإمام

أجمع معاصروا الإمام زين العابدين(عليه السلام) على أنّه كان من أعبد الناس وأكثرهم طاعة لله تعالى، ولم ير الناس مثله فى عظيم إنابته وعبادته، وقد بهر [صفحه ۱۲۴] بها المتّقون والصالحون، وحسبه أنّه وحده الذى قد لُقّب بزين العابدين وسيّد الساجدين فى تأريخ الإسلام. أمّا عبادته(عليه السلام) فكانت ناشئة عن إيمانه العميق بالله تعالى وكمال معرفته به، وقد عبده لا طمعاً فى جنّته ولا خوفاً من ناره، وإنّما وجده أهلاً للعبادة فعبده، وشأنه فى ذلك شأن جدّه أمير المؤمنين وسيّد العارفين وإمام المتّقين، وقد أعرب (عليه السلام) عن عظيم إخلاصه فى عبادته بقوله: «إنّى أكره أن أعبد الله ولا غرض لى إلّا ثوابه، فأكون كالعبد الطامع إن طمع عمل وإلّا لم يعمل، وأكره أن أعبده لخوف عذابه، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل...». فانبرى إليه بعض الجالسين فقال له: فبم تعبده؟ فأجابه عن خالص إيمانه: «وأعبُدُه لما هو أهله بأياديه وإنعامه» [۲۰۷] . ولقد مَلأ حبّ الله تعالى قلب الإمام(عليه السلام) وسخّر عواطفه فكان مشغولاً بعبادة الله وطاعته فى جميع أوقاته، وقد سُئلت جارية له عن عبادته فقالت: أُطنب أو أختصر؟ قيل لها: بل اختصرى. فقالت: ما أتيته بطعام نهاراً قطّ، وما فرشت له فراشاً بليل، قطّ [۲۰۸] . لقد قضى الإمام(عليه السلام) معظم حياته صائماً نهاره، قائماً ليله، مشغولاً تارةً بالصلاة، وأُخرى بالدعاء. [صفحه ۱۲۵]

عبادة الإمام

وضوؤه

الوضوء هو نور وطهارة من الذنوب، والمقدمة الاولى للصلاة، وكان الإمام(عليه السلام) دوماً على طهارة، وقد تحدّث الرواة عن خشوعه لله فى وضوئه، فقالوا: إنّه إذا أراد الوضوء اصفرّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء؟ فيجيبهم قائلاً: «أتدرون بين يدى مَن أقوم؟!» [۲۰۹] .

صلاته

اشاره

أمّا الصلاة فمعراج المؤمن وقربان كلّ تقيّ كما فى الحديث الشريف، وكانت الصلاة من أهم الرغبات النفسية للإمام(عليه السلام) فقد اتّخذها معراجاً ترفعه إلى الله تعالى، وكانت تأخذه رعدة إذا أراد الشروع فى الصلاة، فقيل له فى ذلك فقال: «أتدرون بين يدى من أقوم، ومن اُناجى؟!» [۲۱۰] ونعرض لبعض شؤونه فى حال صلاته.

تطيبه للصلاة

وكان الإمام إذا أراد الصلاة تطيّب من قارورة كان قد جعلها فى مسجد صلاته [۲۱۱] . [صفحه ۱۲۶]

لباسه فى صلاته

وكان الإمام(عليه السلام) إذا أراد الصلاة لبس الصوف وأغلظ الثياب [۲۱۲] ، مبالغة منه فى إذلال نفسه أمام الخالق العظيم.

خشوعه فى صلاته

كانت صلاته تمثّل الانقطاع التامّ إلى الله جلّ جلاله والتجرّد من عالم المادّيات، فكان لا يحسّ بشىء من حوله، بل لا يحسّ بنفسه فيما تعلّق قلبه بالله تعالى، ووصفه الرواة فى حال صلاته، فقالوا: كان إذا قام إلى الصلاة غشى لونه بلون آخر، وكانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله، وكان يقف فى صلاته موقف العبد الذليل بين يدى الملك الجليل، وكان يصلّى صلاة مودِّع يرى أنّه لا يصلّى بعدها أبداً [۲۱۳] . وتحدّث الإمام الباقر(عليه السلام) عن خشوع أبيه فى صلاته فقال: «كان علىّ بن الحسين إذا قام فى الصلاة كأنّه ساق شجرة لا يتحرك منه شىء إلّا ما حركت الريح منه» [۲۱۴] . ونقل أبان بن تغلب إلى الإمام الصادق(عليه السلام) صلاة جدّه الإمام السجاد(عليه السلام) فقال له: إنّى رأيت علىّ بن الحسين إذا قام فى الصلاة غشى لونه بلون آخر، فقال له الإمام الصادق(عليه السلام): «والله إنّ علىّ بن الحسين كان يعرف الذى يقوم بين يديه...» [۲۱۵] . وكان من مظاهر خشوعه فى صلاته أنّه إذا سجد لا يرفع رأسه حتى [صفحه ۱۲۷] يرفض عرقاً [۲۱۶] أو كأنّه غمس فى الماء من كثرة دموعه وبكائه [۲۱۷] ، ونقل عن أبى حمزة الثمالى أنّه رأى الإمام قد صلّى فسقط الرداء عن أحد منكبيه فلم يسوّه فسأله أبو حمزة عن ذلك فقال له: «ويحك، أتدرى بين يدى مَنْ كنتُ؟ إنّ العبد لا يقبل من صلاته إلّا ما أقبل عليه منها بقلبه» [۲۱۸] .

صلاة ألف ركعة

وأجمع المترجمون للإمام(عليه السلام) أنّه كان يصلّى فى اليوم والليلة ألف ركعة [۲۱۹] ، وأنّه كانت له خمسمائة نخلة، فكان يصلّى عند كلّ نخلة ركعتين [۲۲۰] ونظراً لكثرة صلاته؛ فقد كانت له ثفنات فى مواضع سجوده كثفنات البعير، وكان يسقط منها فى كلّ سنة، فكان يجمعها فى كيس، ولمّا توفّى (عليه السلام) دفنت معه [۲۲۱] .

كثرة سجوده

إنّ أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو فى حال سجوده كما فى الحديث الشريف، وكان الإمام(عليه السلام) كثير السجود لله تعالى خضوعاً وتذلّلاً له، وروى: أنّه خرج مرّةً إلى الصحراء فتبعه موليً له فوجده ساجداً على حجارة خشنة، فأحصى عليه ألف مرّة يقول:

«لا إله إلاّ الله حقّاً حقّاً، لا إله إلاّ الله تعبّداً ورقّاً، لا إله إلاّ الله إيماناً وصدقاً» [۲۲۲] . [صفحه ۱۲۸] وكان يسجد سجدة الشكر، ويقول فيها مئة مرّة: «الحمد لله شكراً»، ثمّ يقول: «يا ذا المنّ الذى لا ينقطع أبداً، ولا يحصيه غيره عدداً، ويا ذا الجود الذى لا ينفد أبداً، يا كريم، يا كريم» ويتضرّع بعد ذلك ويذكر حاجته [۲۲۳] .

كثرة تسبيحه

وكان دوماً مشغولاً بذكر الله تعالى وتسبيحه وحمده، وكان يسبّح الله بهذه الكلمات: «سبحان من أشرق نوره كلّ ظلمة، سبحان من قدّر بقوته كلّ قدرة، سبحان من احتجب عن العباد بطرائق نفوسهم فلا شيء يحجبه، سبحان الله وبحمده» [۲۲۴] .

ملازمته لصلاة الليل

من النوافل التى كان لا يَدَعُها الإمام(عليه السلام) صلاة الليل، فكان مواظباً عليها فى السفر والحضر [۲۲۵] إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.

دعاؤه بعد صلاة الليل

وكان(عليه السلام) إذا فرغ من صلاة الليل دعا بهذا الدعاء الشريف، وهو من غرر أدعية أئمّة أهل البيت(عليهم السلام)، وإليك بعض مقاطعه: «اللهمّ يا ذا الملك المتأبد بالخلود والسلطان، الممتنع بغير جنود ولا أعوان، والعزّ الباقى على مرّ الدهور وخوالى الأعوام [۲۲۶] ومواضى الأزمان والأيام، عزّ سلطانك عزاً لا حدّ له بأوّلية ولا منتهى له بآخرية، واستعلى ملكك علوّاً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده [۲۲۷] ولا [صفحه ۱۲۹] يبلغ أدنى ما استأثرت من ذلك أقصى نَعت الناعتين، ضلّت فيك الصفات وتفسّخت [۲۲۸] دونك النعوت، وحارت فى كبريائك لطائف الأوهام، كذلك أنت الله الأوّل فى أوّليّتك، وعلى ذلك أنت دائمٌ لا تزول، وأنا العبد الضعيف عملاً الجسيم أملاً، خرجت من يدى أسباب الوصلات [۲۲۹] إلاّ ما وصله رحمتك، وتقطّعت عنّى عصم [۲۳۰] الآمال إلاّ ما أنا معتصم به من عفوك، قلّ عندى ما أعتد به من طاعتك، وكثر علىّ ما أبوء [۲۳۱] به من معصيتك، ولن يضيق عليك عفوٌ عن عبدك، وإن أساء فاعف عنّى...». «اللهمّ إنّى أعوذ بك من نار تغلّظت بها على مَن عصاك، وتوعّدت بها على من صدف [۲۳۲] عن رضاك، ومن نار نورها ظلمة، وهيّنها أليم، وبعيدها قريب، ومن نار يأكل بعضها بعضٌ، ويصول [۲۳۳] بعضُها على بعض، ومن نار تذر [۲۳۴] العظام رميماً [۲۳۵] ، وتسقى أهلها حميماً [۲۳۶] ، ومن نار لا تبقى على مَن تضرّع اليها، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدر على التخفيف عمّن خشع لها واستسلم اليها، تلق سكانها بأحرّ ما لديها من أليم النكال [۲۳۷] وشديد الوبال [۲۳۸] » [۲۳۹] . [صفحه ۱۳۰] وذبل الإمام(عليه السلام) من كثرة العبادة وأجهدته أىّ إجهاد، وقد بلغ به الضعف أنّ الريح كانت تميله يميناً وشمالاً بمنزلة السنبلة [۲۴۰] التى تميلها الريح. وقال ابنه عبد الله: كان أبى يصلّى بالليل فإذا فرغ يزحف إلى فراشه [۲۴۱] . وأشفق عليه أهله ومحبّوه من كثرة ما بان عليه من الضعف والجهد من كثرة عبادته، فكلّموه فى ذلك لكنّه(عليه السلام) أصرّ على شدّة تعبّده حتى يلحق بآبائه، قال له أحد أبنائه: يا أبت كم هذا الدؤوب (يعنى الصلاة)؟ فأجابه الإمام(عليه السلام): «أتَحَبّبُ إلى ربّى» [۲۴۲] . وقال جابر بن عبدالله الأنصارى للإمام(عليه السلام): ياابن رسول الله! أما علمت أنّ الله تعالى إنّما خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذى كلّفته نفسك؟ فأجابه الإمام(عليه السلام): «يا صاحب رسول الله، أما علمت أنّ جدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فلم يَدَع الإجتهاد له، وتعبّد ـ بأبى وأُمى ـ حتى انتفخ ساقه وورم قدمه، وقد قيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال(صلى الله عليه وآله): أفلا أكون عبداً شكوراً؟». فقال له جابر: ياابن رسول الله، البُقْيا على نفسك، فإنّك من أُسرة بهم يستدفع البلاء، وبهم يستكشف الأدواء، وبهم تُستمطر السماء...» فأجابه الإمام(عليه

السلام): «لا أزال على منهاج أَبَوَيَّ متأسِّياً بهما حتى ألقاهما...» [۲۴۳] . [صفحه ۱۳۱]

صومه

وقضى الإمام معظم أيام حياته صائماً، وقد قالت جاريته حينما سئلت عن عبادته: «ما قدّمتُ له طعاماً فى نهار قطّ» وقد أحبَّ الصومَ وحثَّ عليه إذ قال (عليه السلام): «إنّ الله تعالى وكّل ملائكة بالصائمين» [۲۴۴] ، وكان(عليه السلام) لا يفطر إلّا فى يوم العيدين وغيرهما ممّا كان له عذر. وكان له شأن خاص فى شهر رمضان، أنّه لم يترك نوعاً من أنواع البِرّ والخير إلّا أتى به، وكان لا يتكلم إلّا بالتسبيح والإستغفار والتكبير، وإذا أفطر قال: «اللّهم إن شئت أن تفعل فعلت» [۲۴۵] . وكان(عليه السلام) يستقبل شهر رمضان بشوق ورغبة لانّه ربيع الأبرار، وكان يدعو لدى دخول شهر الله تعالى بدعاء نقتطف منه بعض الفقرات، قال(عليه السلام): «الحمد لله الذى هدانا لحمده وجعلنا من أهله؛ لنكون لإحسانه من الشاكرين، وليجزينا على ذلك جزاء المحسنين. والحمد لله الذى حبانا بدينه، واختصّنا بملّته، وسَبَّلَنا [۲۴۶] فى سُبُلِ إحسانه، لنسلكها بمنّه إلى رضوانه... والحمد لله الذى جعل من تلك السبل شهره شهر رمضان شهر الصيام وشهر الإسلام وشهر الطهور وشهر التمحيص وشهر القيام... اللّهم صلّ على محمد وآله، وألهمنا معرفة فضله، وإجلال حرمته، والتحفّظ ممّا حظرت فيه، وأعِنّا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك، واستعمالها فيه بما يرضيك، حتى لا نُصغى بأسماعنا إلى لغو، ولا نسرع بأبصارنا إلى لهو، وحتى لا نبسط أيدينا إلى محظور، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور، وحتى لا تعى بطوننا إلّا ما أحلَلْت، ولا تنطق ألسنتنا [صفحه ۱۳۲] إلّا بما مثّلت، ولا نتكلّف إلّا ما يدنى من ثوابك، ولا نتعاطى إلّا الذى يقى من عقابك، ثم خلّص ذلك كلّه من رئاء المرائين وسُمعة المسمعين، لا نُشرك فيه أحداً دونك، ولا نبتغى فيه مراداً سواك... اللهمّ اشحنه [۲۴۷] بعبادتنا إيّاك، وزيّن أوقاتنا بطاعتنا لك، وأعنّا فى نهاره على صيامه، وفى ليله على الصلاة والتضرع اليك والخشوع لك والذلّة بين يديك حتى لا يشهد نهاره علينا بغفلة ولا ليله بتفريط. اللهمّ واجعلنا فى سائر الشهور والأيام كذلك ما عمّرتنا...» [۲۴۸] . وكان الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى كلّ يوم من أيام شهر رمضان يأمر بذبح شاة وطبخها... فإذا نضجت يقول: «هاتوا القصاع» ويأمر بأن يُفرَّق على الفقراء والأرامل والأيتام حتى يأتى على آخر القدور ولا يبقى شيئاً لإفطاره، وكان يفطر على خبز وتمر [۲۴۹] . ومن مَبَرّات الإمام(عليه السلام) فى شهر رمضان المبارك كثرة عتقه وتحرير أرقّائه من رقّ العبودية، على أنهم كانوا يعيشون فى ظلاله محترمين، فكان يعاملهم كأبنائه، وكان(عليه السلام) لا يعاقب أمةً ولا عبداً إذا اقترفا ذنباً، وإنّما كان يسجّل اليوم الذى أذنبوا فيه، فإذا كان آخر شهر رمضان جمعهم وأظهر الكتاب الذى سجّل فيه ذنوبهم، ويقول: «ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علىّ بن الحسين! إنّ ربّك قد أحصى عليك كلّ ما عملتَ، كما أحصيت علينا ما عملناه، ولديه كتاب ينطق بالحقّ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ممّا أتيت إلّا أحصاها، وتجد كلّ ما عملت لديه حاضراً، كما وجدنا كلّ ما عملنا لديك حاضراً، [صفحه ۱۳۳] فاعف واصفح، كما ترجو من المليك العفو، وكما تحبّ أن يعفو المليك عنك، فاعف عنّا تجده عَفُوّاً، وبك رحيماً ولك غفوراً، ولا يظلم ربّك أحداً... كما لديك كتاب ينطق بالحقّ علينا، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ممّا أتيناه إلّا أحصاها، فاذكر يا علىّ بن الحسين ذلّ مقامك بين يدى ربّك الحَكَم العدل الذى لا يظلم مثقال حبّة من خردل، ويأتى بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح، فإنّه يقول: (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) [۲۵۰] . وكان يلقّنهم بتلك الكلمات التى تمثّل انقطاعه التامّ إلى الله تعالى واعتصامه به، وهو واقف يبكى من خشيته تعالى ويقول: «ربِّ إنّك أمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا، وقد عفونا عمّن ظلمنا كما أمرت فاعف عنّا فإنّك أولى بذلك منّا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نردّ سائلاً عن أبوابنا، وقد أتيناك سُؤّالاً ومساكين، وقد أنَخْنا بفنائك وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك فامنن بذلك علينا، ولا تخيّبنا فإنّك أولى بذلك منّا ومن المأمورين، إلهى كَرُمتَ فأكرِمنى، إذ كنت من سُؤّالك وجُدْتَ بالمعروف فأخلطنى بأهل نوالك يا كريم...». ثم يُقبِلُ عليهم بوجهه الشريف وقد تبلّل من دموع عينيه قائلاً لهم بعطف وحنان: «قد عفوت عنكم، فهل عفوتم عنّى؟ وممّا كان منّى من سوء ملكة، فإنّى مليك سوء لئيم ظالم، مملوك لمليك

كريم جواد عادل محسن متفضّل...» وينبرى العبيد قائلين له: قد عفونا عنك يا سيّدنا، فيقول لهم: «قولوا: اللهمّ اعف عن علىّ بن الحسين كما عفا عنّا، فاعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق». فيقولون ذلك، ويقول بعدهم: «اللهمّ آمين ربّ العالمين، اذهبوا فقد عفوت عنكم، وأعتقت رقابكم رجاءً للعفو عنّى وعتق رقبتى» فإذا كان يوم عيد الفطر [صفحه ۱۳۴] أجازهم جائزة سنيّة تغنيهم عمّا فى أيدى الناس [۲۵۱] .

دعاؤه

دعاؤه فى الأسحار

وكان الإمام(عليه السلام) يناجى ربّه ويدعوه بتضرّع وإخلاص فى سحر كلّ ليلة من ليالى شهر رمضان بالدعاء الجليل الذى عرف بدعاء أبى حمزة الثمالى؛ لأنّه هو الذى رواه عنه، وهو من غرر أدعية أهل البيت(عليهم السلام) وهو يمثّل مدى إنابته وانقطاعه إلى الله تعالى كما أنّ فيه من المواعظ ما يوجب صرف النفس عن غرورها وشهواتها، كما يمتاز بجمال الأُسلوب وروعة البيان وبلاغة العرض، وفيه من التذلّل والخشوع والخضوع أمام الله تعالى ما لا يمكن صدوره إلّا عن إمام معصوم. وقد احتلّ هذا الدعاء مكانة مهمّة فى نفوس الأخيار والصلحاء من المسلمين، إذ واظبوا على الدعاء به، وممّا قاله الإمام (عليه السلام) فى دعائه: «إلهى، لا تؤدّبنى بعقوبتك، ولا تمكر بى فى حيلتك، من أين لى الخير يا ربّ ولا يوجد إلّا من عندك؟ ومن أين لى النجاة ولا تستطاع إلّا بك؟ لا الذى أحسن استغنى عن عونك ورحمتك، ولا الذى أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك... بك عرفتك وأنت دللتنى عليك ودعوتنى اليك، ولو لا أنت لم أدر ما أنت. الحمد لله الذى أدعوه فيجيبنى وإن كنتُ بطيئاً حين يدعونى، والحمد لله الذى أسأله فيعطينى وإن كنت بخيلاً حين يستقرضنى... أدعوك يا سيدى بلسان قد أخرسه ذنبه، ربّ أُناجيك بقلب قد أوبقه جرمه، أدعوك يا ربّ راهباً راغباً راجياً خائفاً، إذا رأيت مولاى ذنوبى فزعتُ، وإذا رأيت كرمك طمعت... [صفحه ۱۳۵] يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، فوعزّتك يا سيّدى لو نهرتنى ما برحتُ [۲۵۲] من بابك ولا كففت عن تملّقك [۲۵۳] لما انتهى إلىّ من المعرفة بجودك وكرمك... اللهمّ إنّى كلّما قلت قد تهيّأت وتعبّأت وقمت للصلاة بين يديك وناجيتك ألقيت علىّ نعاساً إذا أنا صلّيت وسلبتنى مناجاتك إذا أنا ناجيت، ما لى كلّما قلتُ قد صلُحت سريرتى [۲۵۴] وقرب من مجالس التوابين مجلسى عرضت لى بلية أزالت قدمى وحالت بينى وبين خدمتك. سيدى لعلّك عن بابك طردتنى، وعن خدمتك نحيتنى، أو لعلّك رأيتنى مستخفّاً بحقّك فأقصيتنى، أو لعلّك فقدتنى من مجالس العلماء فخذلتنى، أو لعلّك رأيتنى فى الغافلين فمن رحمتك آيستنى، أو لعلّك رأيتنى آلف مجالس البطّالين فبينى وبينهم خلّيتنى، أو لعلّك لم تحبّ أن تسمع دعائى فباعدتنى، أو لعلّك بجرمى وجريرتى كافيتنى، أو لعلّك بقلّة حيائى منك جازيتنى... إلهى، لو قرنتنى بالأصفاد ومنعتنى سيبك [۲۵۵] من بين الأشهاد ودللت على فضايحى عيون العباد وأمرت بى إلى النار وحلت بينى وبين الأبرار؛ ما قطعتُ رجائى منك، وما صرفت تأميلى للعفو عنك، ولا خرج حبّك من قلبى... ارحم فى هذه الدنيا غربتى، وعند الموت كربتى، وفى القبر وحدتى، وفى اللحد وحشتى، وإذا نُشرتُ للحساب بين يديك ذلّ موقفى، واغفر لى ما خفى على الآدميّين من عملى، وأدم لى مابه سترتنى، وارحمنى صريعاً على الفراش، تقلّبنى أيدى أحبّتى، وتفضّل علىّ ممدوداً على المغتسل يقلّبنى صالح جيرتى، وتحنّنْ علىّ محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنازتى، وجُد علىّ منقولاً قد نزلتُ بك وحيداً فى حفرتى، وارحم فى ذلك البيت [صفحه ۱۳۶] الجديد غربتى، حتى لا أستأنس بغيرك...» [۲۵۶] . وكان الإمام(عليه السلام) يتأثّر إذا انطوت أيام شهر رمضان؛ لأنّه عيد أولياء الله تعالى، وكان يودّعه بدعاء جليل نقتطف منه ما يلى: «السلام عليك يا شهر الله الأكبر ويا عيد أوليائه. السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات، ويا خير شهر فى الأيام والساعات. السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال، ونشرت فيه الأعمال. السلام عليك من قرين جلّ قدره موجوداً، وأفْجع فقده مفقوداً، ومرجوٍّ آلم فراقه. السلام عليك

من أليف آنس مقبلاً ـ فسرّ، وأوحش منقضياً فمضّ [۲۵۷] . السلام عليك من مجاور رقّت فيه القلوب، وقلّت فيه الذنوب. السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان. السلام عليك وعلى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر. السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك، وأشدّ شوقنا غداً إليك. اللهمّ اسلخنا بانسلاخ هذا الشهر [۲۵۸] من خطايانا، وأخرجنا بخروجه من سيئاتنا، واجعلنا من أسعد أهله به، وأجزلهم قسماً فيه، وأوفرهم حظّاً منه...» [۲۵۹] .

حجه

اشاره

وكان يحثّ على الحج والعمرة بقوله: حجّوا واعتمروا تصح أجسادكم، وتتّسع أرزاقكم، ويصلح إيمانكم، وتكفوا مؤونة الناس ومؤونة عيالكم» [۲۶۰] . [صفحه ۱۳۷] وقال(عليه السلام): «الحاج مغفور له، وموجوب له الجنّة، ومستأنف به العمل، ومحفوظ فى أهله وماله» [۲۶۱] . وقال(عليه السلام): «الساعى بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة» [۲۶۲] . وكان(عليه السلام) يدعو إلى تكريم الحجّاج إذا قدموا من بيت الله الحرام ويقول: «استبشروا بالحجّاج إذا قدموا وصافِحوهم، وعظّموهم تشاركوهم فى الأجر قبل أن تخالطهم الذنوب» [۲۶۳] . وحجّ(عليه السلام) غير مرّة ماشياً كما حج أبوه وعمّه الحسن(عليهم السلام)، وحج على ناقته عشرين حجّة وكان يرفق بها كثيراً. وقال ابراهيم بن علىّ: حججتُ مع علىّ بن الحسين فتلكّأتْ ناقته فأشار اليها بالقضيب، ثم ردّ يده، وقال: «آه من القصاص...» [۲۶۴] . وكان الإمام(عليه السلام) إذا أراد السفر إلى بيت الله الحرام احتفّ به القرّاء والعلماء؛ لأنّهم كانوا يتزوّدون منه العلوم والمعارف والحكم والآداب، وقال سعيد بن المسيب: إنّ القرّاء كانوا لا ـ يخرجون إلى مكّة حتى يخرج علىّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب [۲۶۵] . واذا انتهى الإمام إلى إحدى المواقيت التى يحرم منها؛ يأخذ بعمل سنن [صفحه ۱۳۸] الإحرام، وإذا أراد التلبية عند عقد الإحرام اصفرّ لونه واضطرب ولم يستطع أن يلبّى، فاذا قيل له: ما لك لا تلبّى؟ قال: «أخشى أن أقول: لبيك، فيقال لى: لا ـ لبيك». وإذا لبّى غشى عليه من كثرة خوفه من الله تعالى، ويسقط من راحلته، ولا ـ يزال يعتريه هذا الحال حتى يقضى حجّه [۲۶۶] . وكان الإمام(عليه السلام) إذا أدّى مناسكه فى البيت الحرام؛ أقبل على الصلاة تحت ميزاب الرحمة. ورآه طاووس اليمانى فى ذلك المكان قائماً وهو يدعو الله ويبكى من خشية الله، فلمّا فرغ من صلاته قال له طاووس: رأيتك على حالة من الخشوع ولك ثلاثة اُمور، أرجو أن تؤمنك من الخوف، أحدها: أنّك ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، الثانى: شفاعة جدّك، الثالث: رحمة الله. فأجابه الإمام(عليه السلام) قائلاً: «يا طاووس، أمّا أنّى ابن رسول الله(صلى الله عليه وآله) فلا يؤمننى وقد سمعت الله تعالى يقول: (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) [۲۶۷] ، وأمّا شفاعة جدّى فلا ـ تؤمننى؛ لانّ الله تعالى يقول: (ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى) [۲۶۸] وأمّا رحمة الله فالله يقول: (إنّ رحمة الله قريب من المحسنين) [۲۶۹] ولا ـ أعلم أنّى محسن» [۲۷۰] . وقال طاووس: رأيت علىّ بن الحسين يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد، فإذا لم يرَ أحداً رمق السماء بطرفه وقال: «الهى، غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر لى وترحمنى وترينى وجه جدى محمد (صلى الله عليه وآله) فى عرصات القيامة» ثم بكى وقال: «أما وعزّتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتى مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكّ، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك [صفحه ۱۳۹] متعرّض، ولكن سوّلت لى نفسى، وأعاننى على ذلك سترك المرخى به علىّ، فأنا الآن من عذابك من يستنقذنى، وبحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عنّى...». ثم خرّ إلى الأرض ساجداً، فدنوت منه ورفعت رأسه ووضعته فى حجرى، فوقعتْ قطرات من دموعى على خدّه الشريف فاستوى جالساً، وقال بصوت خافت: «من هذا الذى أشغلنى عن ذكر ربى؟». فأجابه طاووس بخضوع وإجلال: أنا طاووس ياابن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون؟ أبوك الحسين بن علىّ واُمّك فاطمة الزهراء وجدّك رسول الله. فأجابه الإمام(عليه السلام): «هيهات هيهات يا طاووس، دع عنك

حديث أبى وأُمى وجدّى، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيّداً قرشياً، أما سمعت قوله تعالى: (فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)؟ والله لا ينفعك غداً إلّا ما تقدّمه من عمل صالح» [۲۷۱].

دعاؤه فى يوم عرفة

وكان الإمام(عليه السلام) فى عرفات يقوم بالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن الكريم، وكان يدعو بدعاء جليل وهو من غرر أدعية أئمّة أهل البيت(عليهم السلام)، وفيما يلى بعض المقتطفات منه: «الحمد لله ربّ العالمين، اللهمّ لك الحمد بديع السماوات والأرض [۲۷۲] ذا الجلال والإكرام، ربّ الأرباب، وإله كلّ مألوه، وخالق كلّ مخلوق، ووارث كلّ شىء ليس كمثله [صفحه ۱۴۰] شىء، ولا يعزب [۲۷۳] عنه علم شىء، وهو بكلّ شىء محيط، وهو على كلّ شىء رقيب. أنت الله لا اله إلّا أنت الأحد المتوحّد الفرد، وأنت الله لا اله إلّا أنت الكريم المتكرّم العظيم المتعظّم الكبير المتكبّر، وأنت الله لا اله إلّا أنت العلىّ المتعال الشديد المحال [۲۷۴] . أنت الذى قصرت الأوهام عن ذاتيتك، وعجزت الأفهام عن كيفيتك، ولم تدرك الأبصار موضع أينيّتك، أنت الذى لا تُحدّ فتكون محدوداً، ولم تمثل فتكون موجوداً، ولم تلد فتكون مولوداً. لك الحمد حمداً يدوم بدوامك، ولك الحمد حمداً خالداً بنعمتك، ولك الحمد حمداً يوازى صنعك، ولك الحمد حمداً يزيد على رضاك، ولك الحمد حمداً مع حمد كلّ حامد. ربّ صلّ على محمد وآله صلاةً زاكيةً لا تكون صلاةٌ أزكى منها، وصلّ عليه صلاةً ناميةً لا تكون صلاةٌ أنمى منها، وصلّ عليه صلاةً راضيةً لا تكون صلاةٌ فوقها... ربِّ صلِّ على أطائب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك، وجعلتهم خزنة علمك وحفظة دينك، وخلفاءَك فى أرضك، وحججك على عبادك، وطهّرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بإرادتك، وجعلتهم الوسيلة إليك والمسلك إلى جنّتك. اللهمّ إنّك أيّدت دينك فى كلّ أوان بإمام أقمته علماً لعبادك ومناراً فى بلادك، بعد أن وَصَلْت حبله بحبلك، وجعلته الذريعة إلى رضوانك، وافترضت طاعته، وحذّرت معصيته، وأمرت بامتثال أوامره والانتهاء عند نهيه، وألّا يتقدّمه متقدّم ولا يتأخّر عنه متأخّر، فهو عصمة اللائذين، وكهف المؤمنين، وعروة المتمسّكين، وبهاءُ العالمين. وانزع من قلبى حبّ دنيا دنية تنهى عمّا عندك، وتصدّ عن ابتغاء الوسيلة إليك، وتذهل عن التقرّب منك، وزيّن لى التفرّد بمناجاتك بالليل والنهار، وهب لى عصمة تدنينى من خشيتك، وتقطعنى عن ركوب محارمك، وتفكّنى من أسر العظائم، وهب لى التطهير من [صفحه ۱۴۱] دنس العصيان، وأذْهِب عنّى درن الخطايا، وسربلنى [۲۷۵] بسربال عافيتك. ولا تكلنى إلى حولى وقوّتى دون حولك وقوّتك، ولا تخزنى يوم تبعثنى للقائك، ولا تفضحنى بين يدى أوليائك، ولا تنسنى ذكرك، ولا تُذهب عنّى شكرك... واجعل رغبتى إليك فوق رغبة الراغبين، وحمدى إيّاك فوق حمد الحامدين، ولا تخذلنى عند فاقتى إليك. اجعل هيبتى فى وعيدك، وحذرى من إعذارك وإنذارك، ورهبتى عند تلاوة آياتك، واعمر ليلى بإيقاظى فيه لعبادتك، وتفرّدى بالتهجّد لك، وتجرّدى بسكونى إليك وإنزال حوائجى بك ومنازلتى إيّاك [۲۷۶] فى فكاك رقبتى من نارك، وإجارتى ممّا فيه أهلها من عذابك، ولا تذرنى فى طغيانى عامهاً [۲۷۷] ولا فى غمرتى [۲۷۸] ساهياً حتى حين، ولا تجعلنى عظةً لمن اتّعظ، ولا نكالاً لمن اعتبر، ولا فتنةً لمن نظر، ولا تمكر بى فيمن تمكر به، ولا تستبدل بى غيرى... واجعل قلبى واثقاً بما عندك، وهمّى مستغرقاً لما هو لك، واستعملنى بما تستعمل به خالصتك، وأشرب قلبى عند ذهول العقول طاعتك... وصن وجهى عن الطلب إلى أحد من العالمين، وذبّنى عن التماس ما عند الفاسقين ولا تجعلنى للظالمين ظهيراً ولا لهم على محو كتابك يداً ونصيراً...» [۲۷۹] .

دعاؤه يوم عيد الأضحى

كان الإمام زين العابدين(عليه السلام) يستقبل يوم عيد الأضحى بالابتهال إلى الله والتضرّع إليه، طالباً منه أن يتفضّل عليه بقبول

مناسكه وسائر طاعاته [صفحه ۱۴۲] وعباداته، وأن يمنحه المغفرة والرضوان، ومن دعائه فى هذا اليوم المبارك: «اللهمّ هذا يوم مبارك ميمون والمسلمون فيه مجتمعون. اللهمّ إليك تعمّدت بحاجتى، وبك أنزلتُ اليوم فقرى وفاقتى ومسكنتى، وإنّى بمغفرتك ورحمتك أوثق منّى بعملى، ولمغفرتك ورحمتك أوسع من ذنوبى، فصلّ على محمد وآل محمد، وتولّ قضاء كلّ حاجة هى لى بقدرتك عليها، وبتيسير ذلك عليك، وبفقرى إليك، وغناك عنّى، فإنّى لم أُصِبْ خيراً قطُّ إلاّ منك، ولم يصرف عنّى سوءاً قط أحد غيرك، ولا أرجو لأمر آخرتى ودنياى سواك. اللهمّ فصلّ على محمد وآل محمد، ولا تخيّب اليوم ذلك من رجائى، يا من لا يُحفيه سائل [۲۸۰] ولا ينقصه نائل، فإنّى لم آتك ثقةً منّى بعمل صالح قدّمته، ولا شفاعة مخلوق رجوته إلاّ شفاعة محمد وأهل بيته صلواتك عليه وعليهم وسلامك، أتيتك مقرّاً بالجرم والإساءة إلى نفسى، أتيتك أرجو عظيم عفوك الذى عفوت به عن الخاطئين ثمّ لم يمنعك طول عكوفهم [۲۸۱] على عظيم الجرم أن عدت [۲۸۲] عليهم بالرحمة والمغفرة. اللهمّ إنّ هذا المقام [۲۸۳] لخلفائك [۲۸۴] وأصفيائك ومواضع أُمنائك [۲۸۵] فى الدرجة الرفيعة التى اختصصتهم بها قد ابتزوها [۲۸۶] وأنت المقدّر لذلك، لا يغالب أمرك، ولا يُجاوز [صفحه ۱۴۳] المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأنّى شئت...» [۲۸۷] .

ظاهرة الدعاء والمناجاة فى حياة الإمام

قال تعالى: (قل ما يعبؤا بكم ربّى لولا دعاؤكم فقد كذّبتم فسوف يكون لزاماً) [۲۸۸] . قال السيد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه فى مقام بيان ما تفيده الآية المباركة: فلم يجعل لهم لولا الدعاء محلاًّ ولا مقاماً فقد صار مفهوم ذلك أنّ محل الإنسان ومنزلته عند الله جلّ جلاله على قدر دعائه وقيمته بقدر اهتمامه بمناجاته وندائه [۲۸۹] . وفى ضوء هذه الحقيقة القرآنية نجد أنّ الإمام زين العابدين(عليه السلام) كان يدعو الله تعالى ويناجيه فى كلّ آن وعلى كلّ حال، مجسّداً فقره المطلق إلى الله جلّ جلاله، وهو ما يستبطن قدر الإمام ومكانته باعتبار أنّ المقام عند الله تعالى على قدر دعائه ومناجاته أو على قدر إدراكه لفاقته وحاجته إلى الله عزوجلّ، والعمل بما يقتضيه هذا الإدراك من انقطاع تامّ إلى الله تعالى والإعراض عن كلّ ما سواه. ونقتطف هنا بعض النصوص الشريفة من أدعية ومناجات الإمام(عليه السلام) التى تبيّن ذروة حالات اليقين والغنى التى يمكن أن يصلها الإنسان إذا رسّخ فى عقله وقلبه حقيقة (أن لا مؤثّر فى الوجود إلاّ الله تعالى) فلا يتعلّق قلبه بغيره سبحانه، ولا يرجو شيئاً من سواه تعالى، ولا يحبّ شيئاً غيره ويعمر [صفحه ۱۴۴] أوقاته كلّها بذكره تعالى والعمل بطاعته: قال(عليه السلام): «اللهمّ صلّ على محمّد وآله، واجعل سلامة قلوبنا فى ذكر عظمتك، وفراغ أبداننا فى شكر نعمتك، وانطلاق ألسنتنا فى وصف منّتك، اللهمّ صلّ على محمّد وآله، واجعلنا من دعاتك الداعين إليك، وهداتك الدالّين عليك، ومن خاصّتك الخاصّين لديك يا أرحم الرحمين» [۲۹۰] . إنّه الانقطاع التامّ والكامل فكراً وذكراً وسلوكاً وخُلقاً لله جلّ جلاله. وقال(عليه السلام) مناجياً الله جلّ جلاله: «كيف أرجو غيرك والخير كله بيدك؟! وكيف أُؤمّل سواك والخلق والأمر لك؟! أأقطع رجائى منك وقد أوليتنى ما لم أسأله من فضلك أم تفقرنى إلى مثلى وأنا اعتصم بحبلك؟! يا من سعد برحمته القاصدون، ولم يشق بنقمته المستغفرون، كيف أنساك ولم تزل ذاكرى؟! وكيف ألهو عنك وأنت مراقبى؟!» [۲۹۱] . لقد انقطع(عليه السلام) إلى الله عزوجلّ كأعظم ما يكون الإنقطاع، فلم يأمل فى جميع أُموره غيره معتقداً بأنّ الأمل بما فى يد غيره سراب. وناجى ربّه عزوجل بقوله(عليه السلام): «إلهى أذهلنى عن إقامة شكرك تتابع طولك [۲۹۲] ، وأعجزنى عن إحصاء ثنائك فيض فضلك، وشغلنى عن ذكر محامدك ترادف [۲۹۳] عوائدك [۲۹۴] ، وأعيانى عن نشر عوارفك توالى أياديك. إلهى تصاغر عند تعاظم آلائك شكرى، وتضاءل فى جنب إكرامك إيّاى ثنائى ونشرى [۲۹۵] . [صفحه ۱۴۵] جلّلتنى [۲۹۶] نعمك من أنوار الإيمان حللاً، وضربت علىّ لطائف برّك من العزّ كللاً [۲۹۷] ، وقلّدتنى مننك قلائد لا تحلّ، وطوّقتنى أطواقاً لا تفلّ [۲۹۸] ، فآلاؤك جمّة ضعف لسانى عن إحصائها، ونعماؤك كثيرة قصر فهمى عن ادراكها فضلاً عن استقصائها، فكيف لى بتحصيل الشكر وشكرى إيّاك يفتقر إلى شكر؟! فكلّما قلت: لك الحمد وجب علىّ لذلك أن أقول: لك الحمد...» [۲۹۹] . وهكذا يعلّمنا الإمام(عليه السلام)

كيف نشكر الله تعالى على ما أولانا من جزيل النعم، وأنّ الانسان مهما بالغ فى شكره فإنّه عاجز وقاصر عن أداء الشكر. وقال(عليه السلام): «اللهمّ احملنا فى سفن نجاتك، ومتّعنا بلذيذ مناجاتك، وأوردنا حياض حبّك، وأذقنا حلاوة ودّك وقربك، واجعل جهادنا فيك، وهمّنا فى طاعتك، وأخلص نيّاتنا فى معاملتك، فإنّا بك ولك ولا وسيلة لنا إليك إلّا أنت...» [۳۰۰] . وهكذا طلب(عليه السلام) من الله تعالى أن يخلص نيّته فى معاملته ويبلغه أعزّ أمانيه وهى ابتغاء رضوانه جلّ جلاله. وقال(عليه السلام): «... إلهى فَاسْلُك بنا سُبُلَ الوصول إليك، وسيّرنا فى أقرب الطرق للوفود عليك، قرّب علينا البعيد، وسهّل علينا العسير الشديد، وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار [۳۰۱] إليك يسارعون، وبابك على الدوام يطرقون، وإيّاك فى الليل والنهار يعبدون، وهم من هيبتك مشفقون، الذين صفّيت لهم المشارب، وبلّغتهم الرغائب، وأنجحت لهم [صفحه ۱۴۶] المطالب، وقضيت لهم من فضلك المآرب [۳۰۲] ، وملأت لهم ضمائرهم من حبّك، وروّيتهم من صافى شربك، فبك إلى لذيذ مناجاتك وصلوا، ومنك أقصى مقاصدهم حصّلوا. فأنت لا غيرك مرادى، ولك لا لسواك سهرى وسهادى، ولقاؤك قرّة عينى، ووصلك مُنى نفسى، وإليك شوقى، وفى محبّتك ولهى [۳۰۳] ، وإلى هواك صبابتى [۳۰۴] ، ورضاك بغيتى، ورؤيتك حاجتى، وجوارك طلبى، وقربك غاية سؤلى، وفى مناجاتك رَوحى [۳۰۵] وراحتى، وعندك دواء علّتى، وشفاء غلّتى [۳۰۶] ، وبرد لوعتى [۳۰۷] ، وكشف كربتى [۳۰۸] » [۳۰۹] . وهكذا انقطع(عليه السلام) إلى الله جلّ جلاله، وتعلّقت به روحه وعواطفه، فلم يبصر غيره، ولا يجد شافياً لغلّتِهِ سواه. وقال(عليه السلام): «إلهى كسرى لا يجبره إلاّ لطفك وحنانك، وفقرى لا يغنيه إلاّ عطفك وإحسانك، وروعتى لا يسكّنُها إلاّ أمانك، وذلّتى لا يعزّها إلاّ سلطانك، وأُمنيّتى لا يبلّغنيها إلاّ فضلك، وخلّتى [۳۱۰] لا يسدّها إلاّ طولك، وحاجتى لا يقضيها غيرك، وكربى لا يفرّجه سوى رحمتك، وضرّى لا يكشفه غير رأفتك، وغلّتى لا يبرّدها إلاّ وصلك، ولوعتى لا يطفيها إلاّ لقاؤك، وشوقى إليك لا يُبله إلاّ النظر إلى وجهك، وقرارى لا يقرّ دون دنوّى منك» [۳۱۱] . لقد أبدى الإمام(عليه السلام) فقره وفاقته إلى الله سبحانه، وقد هام(عليه السلام) بحبّ [صفحه ۱۴۷] سيّده ومولاه خالق الكون وواهب الحياة، فعقد جميع آماله عليه ورجاه فى قضاء جميع اُموره كأعظم ما يكون الرجاء.

تجليات العرفان الإلهى

وقال(عليه السلام): «إلهى ما ألذّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالأوهام فى مسالك الغيوب، وما أطيب طعم حبّك، وما أعذب شرب قربك! فأعذنا من طردك وإبعادك، واجعلنا من أخصّ عارفيك وأصلح عبادك وأصدق طائعيك وأخلص عبّادك» [۳۱۲] . حقاً إنّ الإمام زين العابدين(عليه السلام) سيّد الموحّدين وزعيم العارفين بالله، ولم تكن عبادته تقليداً، وإنّما كانت ناشئة عن كمال معرفته بالله تعالى، وقد أعرب فى النص المذكور عن كمال بغيته ألا وهو الإخلاص فى عبادته سبحانه وتعالى. وقال(عليه السلام): «إلهى فألهمنا ذكرك فى الخلاء [۳۱۳] والملاء [۳۱۴] والليل والنّهار والإعلان والإسرار، وفى السرّاء والضرّاء، وآنِسنا بالذكر الخفىّ، واستعملنا بالعمل الزكىّ والسعى المرضىّ. أنت المُسبّح فى كلّ مكان، والمعبود فى كلّ زمان، والموجود فى كلّ أوان، والمدعوّ بكلّ لسان، والمعظّم فى كلّ جنان [۳۱۵] ، وأستغفرك من كلّ لذّة بغير ذكرك، ومن كلّ راحة بغير اُنسك، ومن كلّ سرور بغير قربك، ومن كلّ شغل بغير طاعتك...» [۳۱۶] . [صفحه ۱۴۸] ويأخذنا الذهول حينما نقرأ هذا النصّ السجّادى الذى أعطانا فيه صورة واضحة متميّزة عن تضرّعه وتذلّله أمام الله سبحانه الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء. إنّ المعرفة الحقيقية بأنّ الإنسان فقير إلى الله تعالى ـ كما جسّدته النصوص السابقة ـ تجعله يلتجئ إليه تعالى دائماً، ومن هنا نجد أنّ للإمام السجاد(عليه السلام) أدعية فى أوقات وحالات متعدّدة بالإضافة إلى ما أوردناه، فله (عليه السلام) دعاء فى الصلاة على محمّد وآله، وفى الصلاة على حملة العرش، وفى اللجوء إلى الله تعالى، وفى طلب الحوائج، وعند المرض، وفى مكارم الأخلاق، ولجيرانه، ولأوليائه، ولأهل الثغور، وفى الإستخارة، وفى التوبة، وإذا نظر إلى الهلال، وفى يوم عيد الفطر، وفى التذلّل، وعند الشدّة، وعند ذكر الموت، وفى الرهبة، وفى استكشاف الهموم. وتجلّى من خلال الفصول السابقة أنّ سيرة الإمام زين العابدين(عليه السلام) جمعت له

روح الثورة ضدّ الطغيان والحماس الجهادى إلى جانب المعرفة الإلهية الحقّة وشدّة التعبّد لله جلّ جلاله، فكانت سيرته(عليه السلام) توضيحاً للإجابة عن التساؤلات التى تثار عن إمكانية الجمع بين الدعاء والمناجاة من جهة والروح النهضوية والتضحوية من جهة أُخرى. ولعلّ منشأ تلك التساؤلات هو توهّم البعض أنّ تفرّغهم للجهاد الأكبر ومجاهدة النفس والرياضات الشرعية والممارسات العبادية يغنيهم عن القتال والعمل الثورى والروح الجهادية باعتبارها جهاداً أصغر، إذ يغفلون عن حقيقة هى: أنّ القيام بالجهاد الأصغر هو أحد المحاور الأساسية للعمل بالجهاد الأكبر فى إطاره الأوسع، وأنّ ترك الجهاد ناشئ فى معظم الحالات عن هزيمة خفيّة فى أحد ميادين الجهاد الأكبر، فالتلازم بين شدّة التقيّة [صفحه ۱۴۹] وشدّة البأس أصيل، إذ يعبّر عن حقيقة شمولية الشريعة والدين الالهى الحنيف لكافة أبعاد حياة الإنسان الفردية والاجتماعية. فالمعرفة التوحيدية والنهضة صفتان واضحتان جسّدهما أئمّة أهل البيت(عليهم السلام)، إذ لم تخل سيرتهم أبداً من اجتماعهما، ويتّضح ذلك من خلال التمعّن فى مناجاتهم(عليهم السلام) وخطبهم فى ميادين الحرب ومواقفهم ضد الحكّام المنحرفين، ونلحظ ذلك عند الإمام السجّاد(عليه السلام) فى روحه الجهادية الناهضة التى لاحظناها من خلال تصريحاته فى الشام وفى مجلس يزيد بن معاوية وهو الأسير المكبّل بالسلاسل، والردّ الحاسم منه فى دار الإمارة بالكوفة على من هدّده بالقتل بقوله: «أبالقتل تهدّدنا وإنّ كرامتنا الشهادة» [۳۱۷] إنّ هذه الروح هى التى نطقت بأدعية الصحيفة السجادية وبالمناجاة الخمس عشرة [۳۱۸] ، وفى هذا خير شاهد على اجتماع روح الحماسة وروح الدعاء والمناجاة والعبادة. وهذه الحقيقة أدّت بدورها إلى أن تَحمل أدعية الإمام(عليه السلام) جوانب سياسية، وجهادية، واجتماعية، وأخلاقية، إلى جوار جوانبها العقائدية والمعرفية والعبادية، فكانت ذات أهداف تغييرية شاملة. لقد كانت للأدعية السجادية أبعاد فكرية واسعة المدى بالنصوص الحاسمة لقضايا عقائدية إسلامية، كانت بحاجة إلى البتّ فيها بنص قاطع، بعد أن عصفت بالعقيدة تيارات الإلحاد كالتشبيه والجبر والإرجاء وغيرها ممّا كان الأُمويون وراء بعثها وإثارتها وترويجها، بهدف تحريف مسيرة التوحيد والعدل، تمهيداً للردّة عن الإسلام والرجوع إلى الجاهلية الأُولى. وفى حالة القمع والإبادة ومطاردة كلّ المناضلين الأحرار وتتبع آثارهم [صفحه ۱۵۰] وخنق أصواتهم كان قرار الإمام زين العابدين(عليه السلام) باتّباع سياسة الدعاء أنجح وسيلة لبثّ الحقائق وتخليدها، وأأمَن طريقة وأبعدها من إثارة السلطة الغاشمة، وأقوى أداة اتّصال سرّية مكتوبة هادئة موثوقة [۳۱۹] .

ظاهرة البكاء فى حياة الإمام

تختلف دواعى البكاء عند الإنسان،فقد يبكى شوقاً إلى المحبوب، وقد يبكى اعتراضاً وصرخةً فى وجه النظام الغشوم، ومن هنا يمكن تفسير وفهم ما جاء من: «أنّ البكاء على الإمام أبى عبد الله الحسين وسيّد الشهداء(عليه السلام) من عوامل السعادة الخالدة والزلفى إلى المهيمن سبحانه». ولم يزل خاتم الأنبياء محمّد المصطفى(صلى الله عليه وآله) يبكيه فى بيته وفى المسجد وحده تارة ومع أصحابه تارة أُخرى، ويجيب من يسأله قائلاً: «أخبرنى جبرئيل بقتل ولدى الحسين فى جماعة من أهل بيته وأرانى التربة التى يقتل فيها» [۳۲۰] . مضافاً إلى ما فى البكاء عليه من التعريف بالقساوة التى استعملها الأُمويون ولفيفهم، ومن هنا كان الأئمّة يحثّون شيعتهم على عقد المحافل لذكر حادثة الطفّ واستدرار الدموع لكارثتها المؤلمة، وأكثروا من بيان الأُجور المترتّبة عليه إلى حد بعيد. وغير خفىّ أنّ إكثار الإمام زين العابدين(عليه السلام) من البكاء على أبيه سيّد الشهداء طيلة حياته لم يكن لمحض الرقّة والعاطفة، بل إنّه(عليه السلام) لاحظ به غاية سامية وهى تعريف الأجيال المتعاقبة الواعية لهذا الخَطْب الجليل وهو (عليه السلام) [صفحه ۱۵۱] شاهد حال بما جاء به الأُمويّون من القساوة والفظاعة وخروجهم عن الدين والشريعة وتنمّرهم تجاه العدل والمروءة والإنسانية... لقد بكى على أبيه المدّة التى عاش فيها حتى قال له مولاه: إنّى أخاف عليك أن تكون من الهالكين، فقال: (إنّما أشكوا بثّى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون)، إنّى لم أذكر مصرع بنى فاطمة إلّا خنقتنى العبرة» [۳۲۱] . وقال له آخر: أما آنَ لحزنك أن ينقضى؟ فقال (عليه السلام): «ويلك لقد شكا يعقوب إلى ربّه فى أقلّ ممّا رأيت حين قال: (يا أسفى) ولم يفقد إلّا ابناً واحداً وهو حىّ فى الدنيا وأنا

رأيت أبى وجماعة أهل بيتى يذبّحون حولى» [۳۲۲] . وكان(عليه السلام) إذا أخذ الإناء ليشرب الماء تذكّر عطش أبيه ومن معه فيبكى حتى يمزجه من دموعه، فإذا قيل له فى ذلك يقول: «كيف لا أبكى وقد مُنِع أبى من الماء الذى هو مطلق للوحوش والسباع» [۳۲۳] . وكثيراً ما كان يحدّث أصحابه بفوائد الحزن فى مصابهم والبكاء على ما انتابهم من المحن فيقول: «أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين حتى تسيل على خدّه؛ بوّأه الله فى الجنة غرفاً» [۳۲۴] فكان صلوات الله عليه بإدامته البكاء على أبيه يؤجّج فى الأفئدة ناراً لما ارتكبه أُولئك الطغاة من الجرائم والمآثم، يأبى الحنان البشرى أن يكون صاحبها إنساناً فضلاً عن أن يقود أُمّةً أو يرأس رعيّةً، وفضلاً عن أن يكون خليفة فى دين أو متبعاً فى دنيا. وحيث لم تسعه المجاهرة بموبقات من اغتصبهم الخلافة الإلهية وجرّ [صفحه ۱۵۲] إليهم الويلات ونكّل بهم؛ اتّخذ (عليه السلام) البكاء طريقاً لتنبيه الناس بتلكم الجرائم، وهذا منه أكبر جهاد ناجع فى تحطيم عرش من أهلك الحرث والنسل وعاث فى البلاد فساداً وخبالاً، فكان بكاؤه متمّماً للنهضة المقدسة. وقد سبقته إلى هذا الجهاد الأكبر جدّته الصدّيقة الزهراء(عليها السلام) وحاولوا إسكاتها معتذرين بأنّ نفوسهم لا تطيب بطعام ولا شراب وعزيزة الرسول(صلى الله عليه وآله) تنوح الليل والنهار فلم تهدأ عن البكاء، فاضطر سيّد الأوصياء(عليه السلام) إلى إخراجها إلى البقيع بعد أن بنى لها بيتاً من جريد النخل سمّاه «بيت الأحزان»، فإنّ الغرض تعريف الأُمّة من كان مستحقاً للخلافة الإلهية وقد اغتصبت منه. فالبكاء يوجب إلفات نظر الناس إلى الأسباب الباعثة عليه، وبهذا التفحّص تتجلى لهم الحقيقة ويسطع بصيصٌ مِنْ أَلَقِ الحَقِّ المحجوب بظلم الجائرين... [۳۲۵] . لقد كان البكاء واحداً من الأساليب التى جعلها الإمام السجّاد(عليه السلام) وسيلة لإحياء ذكرى كربلاء، كما استعمل أساليب أُخرى: منها: زيارة الحسين(عليه السلام) والحثّ عليها. قال أبو حمزة الثمالى: سألت علىّ بن الحسين عن زيارة الحسين(عليه السلام) فقال: «زره كلّ يوم، فإن لم تقدر فكلّ جمعة، فإن لم تقدر فكلّ شهر، فمن لم يزره فقد استخفّ بحقّ رسول الله(صلى الله عليه وآله)» [۳۲۶] ! [صفحه ۱۵۳] ومنها: الاحتفاظ بتراب قبر الحسين(عليه السلام) للسجود عليه [۳۲۷] . ومنها: أنّه(عليه السلام) كان يتختّم بخاتم أبيه الحسين(عليه السلام) [۳۲۸] .

ظاهرة الإعتاق فى حياة الإمام

العتق ظاهرة فريدة جاءت بها الشريعة الإسلامية، وقد اعتنى بها الأئمّة الأطهار إعتناءً تاماً، إلّا أنّ تحرير الرقيق يشكل ظاهرة بارزة فى حياة الإمام زين العابدين(عليه السلام) بالخصوص بشكل ليس له مثيل فى تأريخ الإمامة، فهو أمر يسترعى الإنتباه والملاحظة الفاحصة. وإذا دقّقنا فى الظروف والملابسات التى عاشها الإمام(عليه السلام) وقمنا ببعض المقارنات بين أعماله (عليه السلام) والأحداث التى كانت تجرى من حوله والظروف التى اكتنفت عملية الإعتاق الواسعة التى تبنّاها الإمام(عليه السلام)؛ اتّضحت الصورة الحقيقية لأهدافه(عليه السلام) من ذلك. فيلاحظ أولاً: أنّ أعداد الرقيق والعبيد كانت تتواتر على البلاد الإسلامية، فكان الموالى فى ازدياد بالغ مذهل على أثر توالى الفتوحات. ثانياً: كان الأُمويون ينتهجون سياسة التمييز العنصرى، إذ كانوا يعتبرون الموالى شبه الناس [۳۲۹] . ثالثاً: أنّ الجهاز الحاكم على الدولة الإسلامية ابتداءً من الخليفة نفسه ومروراً بالأُمراء والوزراء وانتهاءً بموظّفى الدولة كانوا لا يمثّلون الإسلام، وإنّما كانوا بالضدّ والنقيض مع أحكامه وأخلاقه وآدابه وإن كانت تلهج [صفحه ۱۵۴] ألسنتهم باسمه وتلعق بشهاداته. رابعاً: أنّ انتشار العبيد والموالى وبالكثرة الكثيرة ومن دون أىّ تحصين أخلاقى أو تربية إسلامية كان يؤدّى إلى شيوع البطالة والفساد، وهو ما ترمى إليه الدولة الظالمة. ويلاحظ فيما يتّصل بالإمام(عليه السلام): ۱ ـ أنّ الإمام(عليه السلام) كان يشترى العبيد والإماء ولكن لا يُبقى أحدهم عنده أكثر من سنة واحدة فقط، وهذا يعنى أنّه كان مستغنياً عن خدمتهم، فكان يعتقهم بحجج متعدّدة وفى مناسبات مختلفة. ۲ ـ أنّ الإمام(عليه السلام) كان يعامل الموالى ـ لا كعبيد أو إماء ـ بل يعاملهم معاملة إنسانية مثالية، ممّا يعزّز فى نفوسهم الأخلاق الكريمة ويحبّب اليهم الإسلام وأهل البيت(عليهم السلام). ۳ ـ أنّ الإمام(عليه السلام) كان يعلّم الرقيق أحكام الدين ويغذّيهم بالمعارف الإسلامية، بحيث يخرج الواحد من عنده محصّناً بالمعلومات التى تفيده فى حياته ويدفع بها الشبهات ولا ينحرف عن

الإسلام الصحيح. ۴ ـ كان الإمام(عليه السلام) يزوّد من يعتقه بما يغنيه، فيدخل المجتمع ليزاول الأعمال الحرّة كأىّ فرد من الاُمّة، ولا يكون عالةً على المجتمع. فالإمام(عليه السلام) كان يستهدف إسقاط السياسة التى كان يزاولها الاُمويون فى معاملتهم للرقيق، فقد حقّق عمل الإمام(عليه السلام) النتائج التالية: أ ـ حرّر مجموعة كبيرة من عباد الله وإمائه الذين وقعوا فى الأسر، وتلك حالة استثنائية، ومع أنّ الإسلام كان قد أقرّها لاُمور يعرف بعضها من خلال قراءة التأريخ الإسلامى، إلّا أنّ الشريعة وضعت طرقاً عديدة لتخليص الرقيق وإعطائهم الحرية، وقد استفاد الإمام(عليه السلام) من كلّ الظروف والمناسبات [صفحه ۱۵۵] لتطبيق تلك الطرق، وتحرير العبيد والإماء، ففى عمل الإمام(عليه السلام) تطبيق للشريعة الإسلاميّة. ب ـ إنّ الرقيق المعتَقين يشكّلون جيلاً من الطلّاب الذين تربّوا فى بيت الإمام(عليه السلام) وعلى يده بأفضل صورة، وعاشوا معه حياة مفعمة بالحقّ والمعرفة والصدق والإخلاص وبتعاليم الإسلام من عقائد وشرائع وأخلاق كريمة. فقد كانت جماعة الرقيق تحتفظ بكلّ ذلك فى قرارات نفوسهم، فى شعورهم أو لا شعورهم، وينقلونه إلى الأجيال اللاحقة، وفى ذلك حفظ للإسلام المحمدى الذى كُلّف أهل البيت(عليهم السلام) مسؤولية حفظه وإيصاله إلى الأجيال اللاحقة. ولا ريب أنّ الإمام(عليه السلام) لو أراد أن يفتح مدرسة لتعليم مجموعة من الناس فلابدّ أنّه كان يواجه منعاً من الجهاز الحاكم أو عرقلة لعمله أو رقابة شديدة فى أقل تقدير، بينما كان حُرّاً فى هذا المجال عن طريق توظيف ظاهرة طبيعية وعادية وهى شراء الرقيق وعتقهم فى ذلك الظرف الذى كان يستساغ فيه مثل هذا العمل. ج ـ لقد استقطب الإمام(عليه السلام) ولاء الأعداد الكبيرة من هؤلاء الموالى المحرّرين، إذ لا يزال ولاء العتق يربطهم بالإمام(عليه السلام) ولا بُعد فيه إذا لاحظنا مَنْ يُعتَقُ مع من يرتبط به من أعضاء اُسرته وعائلته وأقربائه الذين سوف يوجدون ويرتبطون به عاطفياً وعقائدياً وسياسياً بشكل طبيعى. [صفحه ۱۵۹]

من تراث الإمام زين العابدين

اشاره

لم يذكر التأريخ أنّ الأئمّة من أهل البيت(عليه السلام) قد درسوا عند أحد أو تتلمذوا عند شخصية علمية سوى ما ورثوه من آبائهم الكرام عن النبىّ(صلى الله عليه وآله). وقد تميّزوا بعلومهم الزاخرة ومعارفهم الباهرة والتى ظهر شىء منها فى الأوساط التى اكتنفتهم ونقل لنا بعض ما ظهر منهم. كما أجمع المؤرّخون على أنّ الأئمة المعصومين(عليهم السلام) كانوا من أوسع الناس علماً وأكثرهم دراية فى أكثر من مجال علمى. إنّ الإمامة والقيادة الرشيدة للاُمّة الإسلامية وللإنسانية المفتقرة إلى الهداية الربّانية تتطلّب إحاطة الإمام بكلّ علم يرتبط بمجال عمله ودائرة مسؤوليته، وقد أثبت أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) هذه الحقيقة بشكل عملى قد سجّله التأريخ لنا بكلّ وضوح، ممّا أدّى إلى إثارة التيارات المخالفة لخط أهل البيت(عليهم السلام) ولا سيما الخلفاء الذين كانوا يرون الأئمّة أنداداً لهم لا يضاهيهم ند ولا شريك باعتبار تفوّقهم علماً وعملاً، وانتهت هذه الإثارات إلى السعى لاختبار الأئمّة(عليهم السلام) فى أكثر من مجال وفى أكثر من عصر، بحيث سُجّلت هذه الاختبارات فى التأريخ الإسلامى ودخلت مصادر التأريخ، ولم تترك مجالاً للريب فى جدارة الأئمّة من أهل البيت للقيادة الربّانية، باعتبار ما أثبتوه للاُمّة [صفحه ۱۶۰] بكلّ وضوح وحقّقوه من مرجعيّتهم العلمية على مختلف الأصعدة لكلّ من حاول اختبارهم وأراد الاطّلاع على واقع عملهم. وقد جاء فى نصوص الأحاديث الشريفة أنّ المؤمن ينظر بنور الله، وهو تعبير آخر عمّا جاء فى قوله تعالى: (واتّقوا اللَه ويعلّمكم الله) [۳۳۰] ، فلا بُعد فيما يعتقده الشيعة الإماميّة فى أئمتهم(عليهم السلام) من أنّهم مُلهمون بإلهام إلهى وتعليم ربّانى، وقد ورّثهم الرسول(صلى الله عليه وآله) علمه وأدبه وكماله، وهم أهل بيت الوحى والرسالة، فهم أجدر من غيرهم بوراثة العلم والكمال الربّانى المُتَبلورَين فى شخصيّة الرسول(صلى الله عليه وآله) القيادية وفى شخصيّة كلّ إمام من أهل البيت(عليهم السلام) الذين عيّنهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله لتلك المهمّة الكبرى والمسؤوليّة العظمى، وقد قال تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحىٌ يوحى) [۳۳۱] . إنّ العلماء الذين تتلمذوا على

الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) ورووا عنهم بعض معارفهم خير شاهد على سعة علوم الأئمّة وتميّزها عن علوم غيرهم ممّن عُرفوا بالعلم والدراية. ويمكن أن نصنّف بعض ما روى عن الإمام زين العابدين(عليه السلام) إلى علوم القرآن والحديث والفقه والأخلاق والسيرة والتأريخ والعقائد، بالإضافة إلى ما أفاضه فى طيّات أدعيته ووصاياه واحتجاجاته فى علوم النفس والاجتماع والتربية والعرفان والإدارة والاقتصاد إلى غيرها من العلوم الطبيعية والإنسانية. ونعرض بإيجاز صورة عن معارفه وعلومه التى سجّلها لنا التأريخ. [صفحه ۱۶۱]

فى رحاب القرآن الكريم

اشاره

القرآن الكريم هو الوحى الإلهى الخالص والمعجزة الخالدة لنبوّة سيّد المرسلين وشريعة خاتم النبيّين والينبوع الثرّ لكلّ علم ومعرفة، وعنه قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «إنّى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما» [۳۳۲] . وقد شغف الإمام زين العابدين(عليه السلام) كآبائه الكرام ـ بشكل ملفت للنظر ـ بالقرآن الكريم وعلومه، وتمثّل ذلك فى سلوكه اليومى وأدعيته واهتماماته، تلاوةً وتدبّراً وتفسيراً وتعليماً وعملاً، بما لا يدع مجالاً للريب فى أنّ الإمام(عليه السلام) كان هو القرآن الناطق والتجسيد الحىّ لكلّ آيات القرآن الباهرة والمعجزة الإلهية الخالدة. وها نحن نعرض بعض ما يشير إلى مدى اهتمام الإمام(عليه السلام) بالقرآن العظيم من خلال دعائه عند ختم القرآن بالإضافة الى ما مرّ فى البحوث السابقة. قال (عليه السلام): «اللهمّ إنّك أعنتنى على ختم كتابك الذى أنزلته نوراً، وجعلته مهيمناً على كلّ كتاب أنزلته، وفضّلته على كلّ حديث قصصته، وفرقاناً فرّقت به بين حلالك وحرامك، وقرآناً أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتاباً فصّلته لعبادك تفصيلاً، ووحياً أنزلته على نبيّك محمّد صلواتك عليه وآله تنزيلاً، وجعلته نوراً نهتدى من ظلم الضلالة والجهالة [صفحه ۱۶۲] باتّباعه، وشفاءً لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط [۳۳۳] لا يحيف [۳۳۴] عن الحقّ لسانه، ونور هدىً لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة لا يضلّ من أمّ قصد سنّته، ولا تنال أيدى الهلكات من تعلّق بعروة عصمته. اللهمّ فإذا أفدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت جواسى ألسنتنا [۳۳۵] بحسن عبادته، فاجعلنا ممّن يرعاه حقّ رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه وموضّحات بيّناته، اللهمّ إنّك أنزلته على نبيّك محمّد (صلى الله عليه وآله)، وألهمته علم عجائبه مكملاً، وورثتنا علمه مفسّراً وفضّلتنا على من جهل علمه، وقوّيتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله. اللهمّ فكما جعلت قلوبنا له حملةً وعرّفتنا برحمتك شرفه وفضله فصلّ على محمّد الخطيب به وعلى آله الخزّان له، واجعلنا ممّن يعترف بأنّه من عندك حتى لا يعارضنا الشكّ فى تصديقه، ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه» [۳۳۶] . إنّ القرآن هو معجزة الإسلام الكبرى، وقد تحدّث سليل النبوّة فى هذا المقطع عن بعض معالمه وأنواره وهى: ۱ ـ إنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم نوراً يهدى به الضالّ، ويرشد به الحائر، ويوضّح به القصد. ۲ ـ إنّ الله تعالى جعل القرآن الحكيم مهيمناً ومشرفاً على جميع كتبه التى أنزلها على أنبيائه، فهو يكشف عمّا حدث فيها من التغيير والتبديل والتحريف من قبل المنحرفين ودعاة الضلال. [صفحه ۱۶۳] ۳ ـ إنّ الله تعالى فضّل كتابه العزيز على كلّ حديث عرض فيه قصص الأنبياء وشؤونهم، فقد تناول الذكر الحكيم بصورة موضوعية وشاملة أحوالهم وشؤونهم واقتباس العبر منهم. ۴ ـ إنّ القرآن الكريم باعتباره منهجاً ودستوراً عامّاً للحياة يفرّق بين الحلال والحرام، ويعرب عن شرائع الأحكام، ويفصّل جميع ما يحتاجه الناس تفصيلاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموضاً. ۵ ـ إنّ الله تعالى كما جعل كتابه الحكيم نوراً يُهتدى به فى ظلم الضلالة والجهالة كذلك جعله شفاءً من الأمراض والعاهات النفسية، وذلك لمن آمن به وصدّقه. ۶ ـ إنّ الذكر الحكيم ميزان عدل وقسط، ليس فيه ميلٌ عن الحقّ، ولا اتّباع لهوى، وإنّ من تمسّك به واعتصم؛ فقد سلك الطريق القويم الذى لا التواء فيه،

ونجا من الهلاك. ۷ ـ طلب الإمام(عليه السلام) من الله جلّ جلاله أن يتفضل عليه برعاية كتابه والتسليم لمحكم آياته والإقرار بمتشابهاته. ۸ ـ إنّ الله تعالى قد منح نبيّه العظيم فهم عجائب ما فى القرآن الكريم وعلّمه تفسيره، كما أشاد بأئمّة الهدى من عترة الرسول(صلى الله عليه وآله) الذين رفعهم الله عزّوجلّ وأعلى درجتهم، فجعلهم خزنة علمه والأدلّاء على كتابه.

نماذج من تفسير الإمام زين العابدين

كان الإمام(عليه السلام) من ألمع المفسّرين للقرآن الكريم، وقد استشهد علماء التفسير بالكثير من روائع تفسيره، ويقول المؤرّخون أنّه كان صاحب مدرسة [صفحه ۱۶۴] لتفسير القرآن، وقد أخذ عنه ابنه الشهيد زيد فى تفسيره للقرآن [۳۳۷] كما أخذ عنه ابنه الإمام أبو جعفر محمد الباقر(عليه السلام) الذى رواه عنه زياد بن المنذر [۳۳۸] الزعيم الروحى للفرقة الجارودية. وهذه نماذج من تفسيره(عليه السلام) لكتاب الله العزيز. ۱ ـ روى الإمام محمد الباقر عن أبيه(عليهما السلام)، فى تفسير الآية الكريمة: (الذى جعل لكم الأرض فراشاً) [۳۳۹] ، أنّه سبحانه وتعالى جعل الأرض ملائمةً لطباعكم، موافقةً لأجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحمأ [۳۴۰] والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم [۳۴۱] ، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم فى دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم، ولكنّه عزّوجلّ جعل فيها من المتانة [۳۴۲] ما تنتفون به، وتتماسكون عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم، ثمّ قال عزوجلّ: (والسماء بناءً) أى سقفاً من فوقكم، محفوظاً يدير شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم، ثمّ قال عزوجلّ: (وأنزل من السماء ماءً) يعنى المطر ينزله من عل ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وأوهادكم [۳۴۳] ثم فرّقه رذاذاً ووابلاً ـ وهطلاً ـ [۳۴۴] لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة [صفحه ۱۶۵] واحدة فيفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم، ثم قال عزوجلّ: (فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم) يعنى ممّا يخرجه من الأرض رزقاً لكم (فلا تجعلوا لله أنداداً)أى أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التى لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شىء (وأنتم تعلمون) أنّها لا تقدر على شىء من هذه النعم الجليلة التى أنعمها عليكم ربّكم تبارك وتعالى [۳۴۵] . وحوت هذه القطعة الذهبية من كلام الإمام زين العابدين(عليه السلام) أروع أدلة التوحيد وأوثقها، فقد أعطت صورة متكاملة مشرقة من خلق الله تعالى للأرض، فقد خلقها بالكيفية الرائعة التى ليست صلبة ولا شديدة ليسهل على الإنسان العيش عليها، والانتفاع بخيراتها وثمراتها التى لا تحصى، فالأرض بما فيها من العجائب كالجبال والأودية والمعادن والبحار والأنهار وغير ذلك من أعظم الأدلة وأوثقها على وجود الخالق العظيم الحكيم. كما استدل الإمام(عليه السلام) على عظمة الله تعالى بخلقه السماء وما فيها من الشمس والقمر وسائر الكواكب التى تزوّد هذه الأرض بأشعتها. إنّ أشعّة الشمس لها الأثر البالغ فى تكوين الحياة النباتية، كما أنّ أشعة القمر لها الأثر على البحار فى مدّها وجزرها، وكذلك لأشعة سائر الكواكب، فإنّ الأثر التام فى منح الحياة العامّة لجميع الموجودات الحيوانية والنباتية فى الأرض، وهذه الظواهر الكونية التى لم تكتشف إلاّ فى هذه العصور الحديثة، إلاّ أنّ الإمام (عليه السلام) ألمح إليها فى كلامه، فكان حقّاً هو وآباؤه وأبناؤه المعصومون الرواد الأوائل الذين رفعوا راية العلم، وساهموا فى تكوين الحضارة الإنسانية. [صفحه ۱۶۶] وأعطى الإمام(عليه السلام) صورة متميزة عن الأمطار، وأنّها تتساقط بصورة رتيبة وفى أوقات خاصة، وذلك لإحياء الأرض وإخراج ثمراتها، ولو دام المطر ونزل دفعة واحدة؛ لأهلك الحرث والنسل. وبعدما أقام الإمام الأدلّة المحسوسة على وجود الخالق الحكيم؛ دعا إلى عبادته وتوحيده ونبذ الأصنام والأنداد التى تدعو إلى انحطاط الفكر وجمود الوعى، لأنّها لا تضرّ ولا تنفع ولا تملك أىّ قدرة فى إدارة هذا الكون وتصريف شؤونه. ۲ ـ فسّر (عليه السلام) الآية الكريمة: (أُدخلوا فى السلم كافّة) [۳۴۶] بقوله: «السلم هو ولاية أمير المؤمنين(عليه السلام)» [۳۴۷] ولا شك أنّ ولاية الإمام أمير المؤمنين وباب مدينة علم النبىّ(صلى الله عليه وآله) هى السلم الحقيقى الذى ينعم الناس فى ظلاله بالأمن والرخاء والاستقرار، ولو أنّ المسلمين كانوا قد دانوا بهذه الولاية بعد وفاة النبىّ(صلى الله عليه وآله) لما داهمتهم الأزمات فى حياتهم السياسية والاجتماعية. ۳ ـ

روى الإمام الصادق(عليه السلام) عن جدّه الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى تفسير قوله تعالى: (يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) [۳۴۸] أنّه قال: «إنّى ضامن على ربّى تعالى أنّ الصدقة لا تقع فى يد العبد حتى تقع فى يد الربّ تعالى»، وكان يقول: «ليس من شىء إلاّ وكّل به ملك، إلاّ الصدقة فإنّها تقع فى يد الله تعالى» [۳۴۹] . ۴ ـ سأل رجل الإمام زين العابدين(عليه السلام) عن الحقّ المعلوم الذى ورد فى قوله تعالى: (والذين فى أموالهم حقّ معلوم للسائل والمحروم) [۳۵۰] ، فقال (عليه السلام): [صفحه ۱۶۷] «الحقّ المعلوم الشىء الذى يخرجه من ماله ليس من الزكاة والصدقة المفروضتين»، فقال له الرجل: فما يصنع به؟ فقال(عليه السلام): «يصل به رحماً، ويقوّى به ضعيفاً، ويحمل له كلّه، أو يصل أخاً له فى الله، أو لنائبة تنوبه» وبهر الرجل من علم الإمام وراح يقول له: الله أعلم حيث يجعل رسالته فى من يشاء [۳۵۱] . ۵ ـ فسّر الإمام(عليه السلام) الآية الكريمة: (فاصفح الصفح الجميل) [۳۵۲] بأنّه العفو من غير عتاب [۳۵۳] .

فى رحاب الحديث الشريف

للحديث الشريف أهمية بالغة فى العلوم الإسلامية، فقد بُنى معظم الفقه الإسلامى عليه، فإنّه يعرض بصورة موضوعية وشاملة لتفصيل الأحكام الشرعية الواردة فى القرآن الكريم، فيذكر أنواعها من الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والإباحة، كما يذكر أجزاءها وشرائطها وموانعها وسائر ما يعتبر فيها، ويعرض لعمومات الكتاب ومطلقاته فيخصّصها ويقيّدها، وبالإضافة إلى ذلك يتناول آداب السلوك وقواعد الأخلاق، ويعطى البرامج الوافية لسعادة الإنسان وبناء شخصيته. وقد كان الإمام زين العابدين(عليه السلام) فى عصر التابعين من أعظم الرواة وأهمّهم فضلاً عن كونه أحد مصادر بيان الأحكام والمعارف الإلهية باعتقاد الشيعة الإمامية باعتبار أنّ أحاديث الأئمّة(عليهم السلام) هى أحاديث رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وقد قال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب(عليه السلام): «علّمنى رسول الله ألف باب من [صفحه ۱۶۸] العلم فتح لى من كلّ باب ألف باب» [۳۵۴] وأيّد التاريخ هذا المعنى فيما روى عن علىّ(عليه السلام) من العلوم والمعارف وأقرّت الصحابة بفضل علىّ وبمرجعيّته العلمية هو والأئمّة من بنيه، ولا غرو فى ذلك بعد أن جعلهم الله أبواب الهدى وسفن النجاة كما صحّ عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق» [۳۵۵] . والنصوص التى وصلتنا عن الإمام زين العابدين(عليه السلام) قد صرّح فى بعضها بأنّها عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أو عن جدّه أمير المؤمنين، هذا فضلاً عمّا رواه عن أبيه الحسين(عليه السلام). وقد اعتنى أئمّة الحديث بأحاديثه اعتناءً فائقاً باعتباره الرائد العلمى فى عصر التابعين، ولولا مدرسته العلمية وجهوده التثقيفية المباركة؛ لاندرست أعلام الدين فى عصر طغت فيه الميوعة ورُوِّجت فيه الشهوات، وأُريد للأُمّة الإسلامية أن تعود إلى جاهلية جهلاء. [صفحه ۱۶۹]

فى رحاب اصول العقيدة و مباحث الكلام

كان الإمام(عليه السلام) فى زمانه وحيد عصره فى الإجابة على الأسئلة العقائدية المعقّدة ولا سيّما ما تعرضت له الأُمّة الإسلامية من تيارات فكرية مستوردة أو دخيلة تحاول زعزعة كيان العقيدة الخالصة كمباحث القضاء والقدر والجبر والإختيار التى ظهرت بوادرها فى حياة الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) وأخذت بالنمو والانتشار بحيث شكّلت ظاهرة فكرية تستدعى الانتباه وتتطلّب العلاج. وبرز الإمام علىّ بن الحسين(عليهما السلام) على الصعيد العلمى بروزاً جعله مناراً يشار إليه، وآمن به المسلمون جميعاً حتى قال الزهرى عنه: ما رأيت هاشمياً أفضل من علىّ بن الحسين ولا أفقه منه. وقد اعترف بهذه الحقيقة حكّام عصر الإمام من خلفاء بنى أُميّة ـ وهم لا يعترفون بالفضل لمن يطاولهم فى الخلافة والسلطان ـ حتى قال عبد الملك ابن مروان للإمام زين العابدين(عليه السلام): ولقد أُوتيت من العلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك قبلك إلاّ من مضى من سلفك. ووصفه عمر بن عبد العزيز بأنّه سراج الدنيا وجمال الإسلام. وممّا ورد عنه فى القضاء والقدر أنّ رجلاً سأله: جعلنى الله فداك، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟ فأجابه(عليه

السلام): «إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير جسد لا تحسّ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلحا، كذلك العمل والقدر، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، وكان القدر شيئاً لا يحسّ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر؛ لم يمض ولم يتمّ ولكنهما باجتماعهما، ولله [صفحه ۱۷۰] فيه العون لعباده الصالحين» ثم قال(عليه السلام): «ألا إنّ من أَجور الناس من رأى جوره عدلاً وعدل المهتدى جوراً، ألا إنّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عزوجل بعبد خيراً؛ فتح له العينين اللّتين فى قلبه فأبصر بهما العيب، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه» ثمّ التفت إلى السائل عن القدر فقال: «هذا منه، هذا منه» [۳۵۶] . وقال (عليه السلام) فى بيان استحالة أن يوصف الله تعالى بالمحدودية التى هى من صفات الممكن: «لا يوصف الله تعالى بالمحدودية عظم الله ربّنا عن الصفة، وكيف يوصف بمحدودية من لا يُحَدّ، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» [۳۵۷] ؟

الامام زين العابدين ينص على الأئمة من بعده و يبشر بالمهدى

۱ ـ روى(عليه السلام) عن جابر بن عبدالله الأنصارى حديثاً طويلاً جاء فيه: أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) أشار إلى سبطه الحسين قائلاً ـ لجابر: «ومن ذرّيّة هذا رجل يخرج فى آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظُلماً وجوراً...» [۳۵۸] . ۲ ـ وقال(عليه السلام) عن المهدىّ(عليه السلام): «إنّ الإسلام قد يُظهِرهُ الله على جميع الأديان عند قيام القائم» [۳۵۹] . ۳ ـ وقال(عليه السلام): «إذا قام القائم؛ أذهب الله عن كلّ مؤمن العاهة وردّ اليه قُوَّتَه» [۳۶۰] . [صفحه ۱۷۱] ۴ ـ وذكر(عليه السلام) أنّ سنن الأنبياء تجرى فى القائم من آل محمد(صلى الله عليه وآله): فمن آدم ونوح طول العمر، ومن إبراهيم خفاء الولادة واعتزال الناس، ومن موسى الخوف والغَيْبة، ومن عيسى(عليه السلام) اختلاف الناس فيه، ومن أيّوب الفَرَج بَعد البلوى، ومن محمّد(صلى الله عليه وآله) الخروج بالسيف [۳۶۱] . ۵ ـ وقال عن خفاء ولادته على الناس: «القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولَد بَعد ليخرجَ حينَ يخرج وليس لأحد فى عنقِهِ بيعة» [۳۶۲] . ۶ ـ وعن أبى حمزة الثمالى عن أبى خالد الكابلى [۳۶۳] قال: دخلت على سيّدى علىّ بن الحسين زين العابدين(عليه السلام) فقلت له: يابن رسول الله! أخبرنى بالذين فرض الله طاعتهم ومودّتهم، وأوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله). فقال لى: «يا أبا كنكر! إنّ أُولى الأمر الذين جعلهم الله أئمّة الناس وأوجب عليهم طاعتهم أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب، ثم انتهى الأمر إلينا»، ثم سكت. فقلت له: يا سيّدى! روى لنا عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّه قال: «لا تخلو الأرض من حجّة لله على عباده» فمن الحجّة والإمام بعدك؟ قال: «ابنى (محمّد) واسمه فى التوراة (باقر) يبقر العلم بقراً، هو الحجّة والإمام بعدى، ومن بعد محمّد ابنه (جعفر) اسمه عند أهل السماء (الصادق)». فقلت له: يا سيّدى فكيف صار اسمه: (الصادق)، وكلّكم صادقون؟ [صفحه ۱۷۲] فقال: «حدّثنى أبى عن أبيه أنّ رسول الله قال: «إذا ولد ابنى جعفر بن محمّد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب فسموه الصادق، فإنّ الخامس من ولده الذى اسمه جعفر يدّعى الإمامة اجتراءً على الله وكذباً عليه، فهو عند الله (جعفر الكذّاب) المفترى على الله، المدّعى لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه، والحاسد لأخيه، ذلك الذى يكشف سرّ الله عند غيبة ولىّ الله». ثم بكى علىّ بن الحسين بكاءاً شديداً، ثمّ قال: «كأنّى بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولىّ الله، والمغيّب فى حفظ الله، والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته، وحرصاً على قتله إن ظفر به، طمعاً فى ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقّه». قال أبو خالد: فقلت له: يابن رسول الله وإنّ ذلك لكائن؟ فقال: «أى وربّى إنّه المكتوب عندنا فى الصحيفة التى فيها ذكر المحن التى تجرى علينا بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله)». قال أبو خالد: فقلت: ياابن رسول الله ثمّ يكون ماذا؟ قال: «ثمّ تمتد الغيبة بولىّ الله الثانى عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده، يا أبا خالد! إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كلّ زمان، لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم فى ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدى رسول الله بالسيف، أُولئك المخلصون حقّاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً». وقال(عليه السلام):

«انتظار الفرج من أعظم الفرج» [۳۶۴] . [صفحه ۱۷۳]

فى رحاب الفقه و أحكام الشريعة

كانت الحلقة الدراسية التى أسّسها الإمام زين العابدين(عليه السلام) حلقة حافلة بصنوف المعرفة الإسلامية، وكان يفيض فيها الإمام من علومه وعلوم آبائه الطاهرين ويمرّن النابهين منهم على الفقه والاستنباط، وقد تخرّج من هذه الحلقة الدراسية عدد كبير من فقهاء المسلمين. واستقطب الإمام عن هذا الطريق الجمهور الأعظم من القرّاء وحملة الكتاب والسُنّة حتى قال سعيد بن المسيّب: إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتى يخرج علىّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب. وعلم الفقه بالمعنى المعروف فعلاً هو العلم بأحكام أفعال المكلّفين على ضوء مصادر الشريعة الإسلامية، وكان الإمام هو المرجع الوحيد فى عصره لإعطاء تفاصيل الأحكام الشرعية، وتعليم طريقة استنباطها من مصادرها الإسلامية، والمربى الفذّ الذى تخرَّج على يديه فقهاء المدينة، وكانت مدرسته هى المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهيّة. وقد قال عنه الزهرى: ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه [۳۶۵] وعدّه الشافعى أفقه أهل المدينة. وروى المؤرّخون: أنّ الزهرى كان يعترف بالفضل والفقه للإمام علىّ ابن الحسين(عليهما السلام) وكان ممّن يرجع إليه فى ما يهمّه من الأحكام الشرعية، ورُوى أنّه رأى فى منامه كأنّ يده مخضوبة، وفسّرت له رؤياه بأنّه يبتلى بدم خطأ، وكان فى ذلك الوقت عاملاً لبنى اُميّة، فعاقب رجلاً فمات فى العقوبة، [صفحه ۱۷۴] ففزع وخاف من الله، وفرّ هارباً فدخل فى غار يتعبّد فيه، وكان الإمام(عليه السلام) قد مضى حاجّاً إلى بيت الله الحرام فاجتاز على الغار الذى فيه الزهرى، فقيل له: هل لك فى الزهرى حاجة؟ فأجابهم إلى ذلك، ودخل عليه فرآه فزعاً خائفاً، قانطاً من رحمة الله، فقال(عليه السلام) له: «إنّى أخاف عليك من القنوط ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بديهٔ مسلّمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك». فاستبشر الزهرى وقال له: فرّجت عنّى يا سيّدى، الله أعلم حيث يجعل رسالته فى مَن يشاء [۳۶۶] . ودخل الزهرى مع جماعة من الفقهاء على الإمام زين العابدين(عليه السلام) فسأل الإمام الزهرىّ عمّا كانوا يخوضون فيه فقال له: تذاكرنا الصوم فأجمع رأيى ورأى أصحابى على أنّه ليس من الصوم واجب إلاّ شهر رمضان. فنعى عليهم الإمام(عليه السلام) قلّة معلوماتهم بشؤون الشريعة وأحكام الدين، وبيّن لهم أقسام الصوم قائلاً: «ليس كما قلتم، الصوم على أربعين وجهاً، عشرة منها واجبة كوجوب شهر رمضان، وعشرة منها صومهنّ حرام، وأربعة عشر وجهاً صيامهنّ بالخيار، إن شاء صام وإن شاء أفطر، وصوم الإذن على ثلاثة أوجه، وصوم التأدّب وصوم الإباحة وصوم السفر والمرض». وبهر الزهرى وبقية الفقهاء من سعة علم الإمام(عليه السلام) وإحاطته بأحكام الدين، وطلب منه الزهرى ايضاح تلك الوجوه وبيانها، فقال(عليه السلام): «أمّا الواجب فصيام شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين لمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً، وصيام شهرين فى قتل الخطأ لمن لم يجد العتق، واجب، قال الله تعالى:(ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله ـ إلى قوله ـ فمن لم يجد [صفحه ۱۷۵] فصيام شهرين متتابعين) [۳۶۷] . وصيام شهرين متتابعين فى كفّارة الظهار [۳۶۸] لمن لم يجد العتق. قال الله تعالى: (والذين يُظاهرون من نسائهم ثم يعودون لِما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسّا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسّا) [۳۶۹] . وصيام ثلاثة أيام: (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفّارة أيمانكم إذا حلفتم) [۳۷۰] ، كل ذلك تتابع وليس بمفترق. وصيام أذى الحلق (حلق الرأس) واجب، قال الله تبارك وتعالى:(فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) [۳۷۱] ، وصاحبها فيها بالخيار بين صيام ثلاثة أيام أو صدقة أو نسك. وصوم دم المتعة واجب لمن لم يجد الهدى، قال الله تبارك وتعالى:(فمن تمتع بالعمرة إلى الحجّ فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحجّ وسبعة إذا رجعتم تلك عشرةٌ كاملة) [۳۷۲] . وصوم جزاء الصيد واجب، قال الله تبارك وتعالى:(ومن قتله منكم متعمّداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفّارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً) [۳۷۳] » [۳۷۴] . [صفحه ۱۷۶] ثمّ قال(عليه السلام): «أو تدرى كيف يكون عدل ذلك صياماً يا زهرىّ؟» فقال: لا

أدرى، قال(عليه السلام): «تقوّم الصيد قيمة ثمّ تفضى تلك القيمة على البُرّ، ثمّ يكال ذلك البرّ أصواعاً، فيصوم لكلّ نصف صاع يوماً. وصوم النذر واجب، وصوم الاعتكاف واجب [۳۷۵] . وأمّا الصوم الحرام فصوم يوم الفطر، ويوم الأضحى، وثلاثة أيام من أيام التشريق [۳۷۶] وصوم يوم الشكّ اُمِرنا به ونُهينا عنه، اُمرنا أن نصومه من شعبان ونهينا أن ينفرد الرجل بصيامه فى اليوم الذى يشكّ فيه الناس». والتفت الزهرى إلى الإمام(عليه السلام) قائلاً: جعلت فداك فإن لم يكن صام من شعبان شيئاً كيف يصنع؟ قال(عليه السلام): «ينوى ليلة الشك أنّه صائم من شعبان، فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه، وإن كان من شعبان لم يضرّ». وأشكل الزهرى على الإمام: كيف يجزى صوم تطوع عن فريضة؟ فأجابه الإمام(عليه السلام): «لو أنّ رجلاً صام يوماً من شهر رمضان تطوعاً وهو لا يدرى ولا يعلم أنّه من شهر رمضان ثمّ علم بعد ذلك أجزأ عنه، لأنّ الفرض إنّما وقع على اليوم بعينه». ثمّ استأنف الإمام حديثه فى بيان أقسام الصوم قائلاً: «وصوم الوصال حرام [۳۷۷] ، وصوم الصمت حرام [۳۷۸] ، وصوم النذر للمعصية حرام، وصوم الدهر حرام. وأمّا الصوم الذى صار صاحبه فيه بالخيار فصوم يوم الجمعة والخميس والاثنين [صفحه ۱۷۷] وصوم الأيام البيض [۳۷۹] وصوم ستة أيام من شوال بعد شهر رمضان ويوم عرفة ويوم عاشوراء، كلّ ذلك صاحبه فيه بالخيار، إن شاء صام وإن شاء أفطر. وأمّا صوم الإذن فإنّ المرأة لا تصوم تطوّعاً إلّا بإذن زوجها، والعبد لا يصوم تطوّعاً إلّا بإذن سيّده، والضيف لا يصوم تطوّعاً إلّا بإذن مضيّفه، قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): فمن نزل على قوم فلا يصوم تطوّعاً إلّا بإذنهم. وأمّا صوم التأديب فإنّه يؤمر الصبىّ إذا راهق تأديباً وليس بفرض، وكذلك من أفطر لعلّة أول النهار، ثمّ قوى بعد ذلك أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً، وليس بفرض، وكذلك المسافر إذا أكل من أول النهار ثمّ قدم أهله أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً وليس بفرض. وأمّا صوم الإباحة فمن أكل أو شرب أو تقيّأ من غير تعمّد أباح الله ذلك وأجزأ عنه صومه. وأمّا صوم السفر والمرض فإنّ العامّة اختلفت فيه، فقال قوم: يصوم، وقال قوم: لا يصوم، وقال قوم: إن شاء صام وإن شاء أفطر، وأمّا نحن فنقول: يفطر فى الحالتين جميعاً، فإن صام فى السفر أو فى حال المرض فعليه القضاء فى ذلك، لأنّ الله عزّوجلّ يقول: (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدّة من أيّام اُخر...)» [۳۸۰] . وانتهى هذا البحث الفقهى الذى ألقاه الإمام على العلماء والفقهاء،وقد كشف عن مدى إحاطة الإمام بأحكام الشريعة وفروع الفقه، فقد فرّع على الصوم هذه الفروع المهمّة التى غفل عنها العلماء، ومن الجدير بالذكر أنّ فقهاء الإمامية استندوا إلى هذه الرواية فى فتاواهم بأحكام الصوم. [صفحه ۱۷۸]

حقائق علمية فى الأدعية السجادية

بالرغم من أنّ الصحيفة السجادية وُظّفت أدعيتها لتربية الإنسان وترشيد حركته الفردية والاجتماعية ولكنّها تضمّنت جملة من الحقائق العلمية التى تنبئ عن إحاطة الإمام بالحقائق العلمية وشموخ مقامه العلمى ـ كما تضمّنت خطب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ودعاء عرفة للإمام الحسين(عليه السلام) قسماً كبيراً من العلوم والمعارف ـ فيما يرتبط بتركيبة الإنسان الجسمية وكيفية خلقه أو كيفية خلق أنواع الكائنات الاُخرى الأرضية والسماوية. قال(عليه السلام): «سبحانك تعلم وزن السماوات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء» [۳۸۱] . كلّ ذلك فى عصر لم تكن مثل هذه المفاهيم مطروحة فى الأوساط العلمية فى دنيا الإسلام أو غيرها. وأشار(عليه السلام) إلى إمكانية وجود الجراثيم فى المياه والأطعمة فى دعائه لأهل الثغور، داعياً على الأعداء: «اللهمّ وامزج مياههم بالوباء، وأطعمتهم بالأدواء» [۳۸۲] . وتجد فى كثير من أدعيته (عليه السلام) إشارات واضحةً إلى أمثال هذه الحقائق العلمية. [صفحه ۱۷۹]

ادب الإمام زين العابدين

إنّ الإمام السجّاد توفّر على نتاج فنّىّ ضخم يجىء ـ من حيث الكمّ ـ بعد الإمام علىّ(عليه السلام) كما يجىء ـ من حيث الكيف ـ متميّزاً بسمات خاصة، وفى مقدمة ذلك أدب الدعاء الذى منحه السجاد(عليه السلام) خصائص فكرية وفنّيّة تفرّد بها [۳۸۳] . اتّجه

الإمام فى أدبه الخاصّ إلى نقد الأوضاع المنحرفة، وإلى بناء الشخصية الإسلامية فى المستويين الفردى والإجتماعى، بحيث يمكن القول بأنّ أدبه كان تجسيداً للحركة الإسلامية مقابل الأدب الدنيوى الذى بدأ ينحرف مع انحرافات السلطة، وينحدر إلى ما هو عابث ومظلم ومنحرف([1]). وجاء فى الصحيفة السجّادية الجامعة نقلاً عن الأصمعىّ أنّه قال: كنت أطوف حول الكعبة ليلة، فإذا شابّ ظريف الشمائل وعليه ذؤابتان وهو متعلّق بأستار الكعبة ويقول: «نامتِ العيون وغارتِ النجومُ وأنت الملكُ الحىّ القيّومُ، غلّقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حُرّاسها، وبابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إلىّ برحمتك يا أرحم الراحمين». ثم أنشأ يقول: يا من يُجيبُ دعاء المضطرّ فى الظُلَم يا كاشفَ الضرّ والبَلوى مع السَقَم قد نام وفدُك حول البيت قاطبةً وأنت وحدك يا قيّومُ لم تَنَم أدعوك ربِّ دعاءً قد أمرتَ به فارحم بكائى بحقّ البيتِ والحَرم إن كان عفوك لا يرجوهُ ذو سَرَف فمن يَجُودُ على العاصينَ بالنِعَم؟ [صفحه ۱۸۰] قال: فاقتفيته فإذا هو زين العابدين(عليه السلام). كما جاء فيها عن طاووس اليمانى أنّه قال: رأيتُ فى جوف الليل رجلاً متعلّقاً بأستار الكعبة وهو يقول: «ألا يا أيّها المأمول فى كلّ حاجة شكوتُ إليك الضُرّ فاسمع شكايتى ألا يا رجائى أنت كاشف كُربتى فهب لى ذنوبى كلّها واقض حاجتى فزادى قليل لا أراه مبلّغى أللزادِ أبكى أم لبُعد مسافتى أتيتُ بأعمال قباح رديئة فما فى الورى خلقٌ جنى كجنايتى أتحرِقُنى فى النار يا غاية المُنى فأين رجائى منك، أين مخافتى؟ قال: فتأمّلته فإذا هو علىّ بن الحسين(عليهما السلام). ومن أدبه المنظوم أيضاً ما ذكره أحمد فهمى محمد فى كتاب الإمام زين العابدين عن فضل أهل البيت(عليهم السلام) ومكانتهم: لنحن على الحوض روّاده نذود ونسقى وراده وما فاز من فاز إلّا بنا وما خاب مَن حبّنا زادُه ومن سرّنا نال منّا السرور ومن ساءنا ساء ميلاده ومن كان غاصبنا حقّنا فيوم القيامة ميعادُه

احتجاجات الإمام زين العابدين

إنّ فن الاحتجاج والمناظرة العلمية فنّ جليل لما ينبغى أن يتمتّع به المناظر من مقدرة علمية وإحاطة ودقّة ولياقة أدبية. وقد تميّز أئمّة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين بهذا الفنّ، واستطاعوا من خلال هذا المجال إفحام خصومهم وإثبات جدارتهم العلمية بنحو لا يدع مجالاً للريب فى أنّهم مؤيّدون بتأييد ربّانى، وكما عبّر بعض [صفحه ۱۸۱] أعدائهم: أنّهم أهل بيت قد زُقّوا العِلمَ زقّاً. وقد جمع العلّامة الطبرسى جملةً من احتجاجات المعصومين الأربعة عشر: الرسول(صلى الله عليه وآله) والزهراء(عليها السلام) والأئمّة الاثنى عشر (عليهم السلام) فى كتابه المعروف بالاحتجاج، ونشير هنا إلى بعض احتجاجات الإمام زين العابدين(عليه السلام). ۱ ـ جاء رجل من أهل البصرة إلى علىّ بن الحسين(عليه السلام) فقال: يا علىّ بن الحسين! إنّ جدّك علىّ بن أبى طالب قتل المؤمنين، فهملت عينا علىّ بن الحسين دموعاً حتى امتلأت كفّه منها، ثمّ ضرب بها على الحصى، ثم قال: «يا أخا أهل البصرة، لا والله ما قتل علىّ مؤمناً، ولا قتل مسلماً، وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكتموا الكفر وأظهروا الإسلام، فلمّا وجدوا على الكفر أعوانا أظهروه، وقد علمت صاحبة الجدب والمستحفظون من آل محمّد(صلى الله عليه وآله) أنّ أصحاب الجمل وأصحاب صفّين وأصحاب النهروان لعنوا على لسان النبىّ الأُمّى، وقد خاب من افترى». فقال شيخ من أهل الكوفة: يا علىّ بن الحسين! إنّ جدّك كان يقول: «إخواننا بغوا علينا». فقال علىّ بن الحسين(عليه السلام): «أما تقرأ كتاب الله (وإلى عاد أخاهم هوداً) فهم مثلهم أنجى الله عزّوجلّ هوداً والذين معه وأهلك عاداً بالريح العقيم» [۳۸۴] . ۲ ـ وعن أبى حمزة الثمالى قال: دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على علىّ بن الحسين(عليه السلام) فقال له: جعلنى الله فداك، أخبرنى عن قول الله عزوجل:(وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرىً ظاهرةً وقدّرنا فيها السير سيروا [صفحه ۱۸۲] فيها ليالىَ وأيّاماً آمنين) [۳۸۵] . قال له(عليه السلام): «ما يقول الناس فيها قبلكم؟». قال: يقولون إنّها مكّة. فقال(عليه السلام): «وهل رأيت السرق فى موضع أكثر منه بمكّة». قال: فما هو؟ قال(عليه السلام): «إنّما عنى الرجال». قال: وأين ذلك فى كتاب الله؟ فقال(عليه السلام): «أو ما تسمع إلى قوله عزوجل:(وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) [۳۸۶] وقال:(وتلك القرى أهلكناهم لمّا ظلموا) [۳۸۷] وقال:(واسئل القرية التى كنّا فيها والعِيرَ التى أقبلنا فيها) [۳۸۸] أفيسأل القرية أو الرجال او العير؟ قال: وتلا عليه آيات فى

هذا المعنى. قال: جعلت فداك! فمن هم؟ قال: نحن هم. فقال(عليه السلام): «أو ما تسمع إلى قوله:(سيروا فيها ليالىَ وأيّاماً آمنين)؟». قال(عليه السلام): «آمنين من الزيغ» [۳۸۹] . ۴ ـ وروى: أنّ زين العابدين(عليه السلام) مرّ بالحسن البصرى وهو يعظ الناس بمنى، فوقف(عليه السلام) عليه ثم قال: «أمسك، أسألك عن الحال التى أنت عليها مقيم، أترضاها لنفسك فيما [صفحه ۱۸۳] بينك وبين الله إذا نزل بك غداً؟». قال: لا. قال: «أفتحدّث نفسك بالتحوّل والانتقال عن الحال التى لا ترضاها لنفسك إلى الحال التى ترضاها؟» قال: فأطرق مليّاً ثم قال: إنّى أقول ذلك بلا حقيقة. قال: «أفترجو نبيّاً بعد محمّد(صلى الله عليه وآله) يكون لك معه سابقة؟». قال: لا. قال: «أفترجو داراً غير الدار التى أنت فيها ترد اليها فتعمل فيها؟». قال: لا. قال: «أفرأيت أحداً به مسكة عقل رضى لنفسه من نفسه بهذا؟ إنّك على حال لا ترضاها ولا تحدّث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة، ولا ترجو نبيّاً بعد محمّد، ولا داراً غير الدار التى أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها، وأنت تعظ الناس»، قال: فلمّا ولّى(عليه السلام) قال الحسن البصرى: من هذا؟ قالوا: علىّ بن الحسين. قال: أهل بيت علم، فما رُئِى الحسن البصرى بعد ذلك يعظ الناس [۳۹۰] . ۵ ـ وعن أبى حمزة الثمالى قال: سمعت علىّ بن الحسين(عليه السلام) يحدّث رجلاً من قريش قال: لمّا تاب الله على آدم واقع حوّاء ولم يكن غشيها منذ خلق وخلقت إلّا فى الأرض، وذلك بعد ما تاب الله عليه، قال: وكان آدم يعظّم البيت وما حوله من حرمة البيت، فكان إذا أراد أن يغشى حوّاء خرج من الحرم وأخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشيها فى الحلّ، ثمّ يغتسلان إعظاماً منه للحرم، ثمّ يرجع إلى فناء البيت. [صفحه ۱۸۴] قال: فولد لآدم من حوّاء عشرون ذكراً وعشرون اُنثى، فولد له فى كلّ بطن ذكر واُنثى، فأول بطن ولدت حواء «هابيل» ومعه جارية يقال لها: «أقليما»، قال: وولدت فى البطن الثانى «قابيل» ومعه جارية يقال لها: «لوزا»، وكانت لوزا أجمل بنات آدم، (قال): فلمّا أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه فقال: اُريد أن اُنكحك يا هابيل لوزا، واُنكحك يا قابيل أقليما. قال قابيل: ما أرضى بهذا، أتنكحنى أخت هابيل القبيحة، وتنكح هابيل اُختى الجميلة؟ قال: فأنا أقرع بينكما، فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزا وخرج سهمك يا هابيل على أقليما زوّجت كلّ واحد منكما التى خرج سهمه عليها، قال: فرضيا بذلك فاقترعا، قال: فخرج سهم هابيل على لوزا اُخت قابيل، وخرج سهم قابيل على أقليما اُخت هابيل، قال: فزوّجهما على ما خرج لهما من عند الله، قال: ثمّ حرّم الله نكاح الأخوات بعد ذلك». قال: فقال له القرشى: فأولداهما؟ قال: نعم. قال: فقال القرشى: فهذا فعل المجوس اليوم! قال: فقال علىّ بن الحسين: «إنّ المجوس إنّما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله». ثمّ قال له علىّ بن الحسين(عليه السلام): «لا تنكر هذا، إنّما هى الشرايع جرت، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثمّ أحلّها له؟! فكان ذلك شريعة من شرايعهم، ثمّ أنزل الله التحريم بعد ذلك» [۳۹۱] . ۶ ـ روى عن أبى جعفر الباقر(عليه السلام) قال: «لمّا قتل الحسين بن علىّ(عليه السلام) أرسل محمّد بن الحنفية إلى علىّ بن الحسين(عليه السلام) فخلا به ثم قال: [صفحه ۱۸۵] يابن أخى! قد علمت أنّ رسول الله كان جعل الوصيّة والإمامة من بعده لعلىّ بن أبى طالب(عليه السلام) ثمّ إلى الحسن، ثمّ الى الحسين، وقد قتل أبوك(رضى الله عنه) وصُلّىَ عليه ولم يوص، وأنا عمّك وصنو أبيك، وأنا فى سنّى وقدمتى أحقّ بها منك فى حداثتك، فلا تنازعنى الوصيّة والإمامة ولا تخالفنى. فقال له علىّ بن الحسين(عليه السلام): «اتق الله ولا تدّعِ ما ليس لك بحقّ، إنّى أعظك أن تكون من الجاهلين، يا عم! إنّ أبى صلوات الله عليه أوصى إلىّ قبل أن يتوجه الى العراق، وعهد إلىّ فى ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله(صلى الله عليه وآله) عندى، فلا تعرض لهذا فإنّى أخاف عليك بنقص العمر وتشتت الحال، وإنّ الله تبارك وتعالى أبى إلاّ أن يجعل الوصيّة والإمامة إلّا فى عقب الحسين، فإن أردت أن تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك». قال الباقر(عليه السلام): «وكان الكلام بينهما وهما يومئذ بمكّة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علىّ بن الحسين(عليه السلام) لمحمّد: إبدأ فابتهل إلى الله واسأله أن ينطق لك الحجر ثمّ سله، فابتهل محمّد فى الدعاء وسأل الله ثمّ دعا الحجر فلم يجبه، فقال علىّ بن الحسين(عليه السلام): «أما إنّك يا عمّ لو كنت وصيّاً وإماماً؛ لأجابك». فقال له محمّد: فادع أنت يابن أخى، فدعا الله علىّ بن الحسين(عليه السلام) بما أراد ثمّ قال: «أسألك بالذى جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لمّا أخبرتنا بلسان عربىّ مبين مَن الوصىّ والإمام بعد الحسين بن علىّ»، فتحرّك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثمّ

أنطقه الله بلسان عربيّ مبين فقال: اللّهمّ إنّ الوصية والإمامة بعد الحسين بن عليّ بن أبى طالب إلى عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبى طالب، وابن فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله)»، فانصرف محمّد وهو يتولّى [صفحه ۱۸۶] عليّ بن الحسين(عليه السلام) [۳۹۲] . وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليّ بن الحسين(عليهم السلام) قال: «نحن أئمّة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجّلين، وموالى المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض ولو لا ما فى الأرض منّا؛ لساخت الأرض بأهلها». ثمّ قال: «ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة الله، ولو لا ذلك لم يعبد الله».

من غرر حكم الإمام و مواعظه

قد عرفت أنّ الإمام زين العابدين(عليه السلام) لم يترك مدينة جدّه الرسول(صلى الله عليه وآله) بل بقى مرابطاً فيها مشغولاً بتربية الأُمّة تربية فكرية وأخلاقية، وكان كلّ جمعة يعظهم ويحذّرهم من الدنيا وحبائلها ومكائدها التى جعلت كثيراً من أهل عصره فى أسرها، وممّا قاله فى التحذير من الدنيا والتزهيد فيها [۳۹۳] . ۱ ـ «كفانا الله وإيّاكم كيد الظالمين وبغى الحاسدين وبطش الجبّارين، أيّها المؤمنون لا يفتنّكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة فى الدنيا المائلون إليها، المفتونون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها [۳۹۴] الهامد [۳۹۵] وهشيمها البائد غداً، واحذروا ما حذّركم الله منها، [صفحه ۱۸۷] وازهدوا فيما زهّدكم الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما فى هذه الدنيا ركون من أعدّها داراً وقراراً [۳۹۶] ، وبالله إنّ لكم ممّا فيها عليها دليلاً من زينتها وتصريف أيامها [۳۹۷] وتغيير انقلابها ومثلاتها وتلاعبها بأهلها، إنّها لترفع الخميل وتضع الشريف، وتورد النار أقواماً غداً، ففى هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه». ۲ ـ الوصيّة بالتقوى والإنابة الى الله تعالى والتحذير من معونة الظلمة: «فاتقوا الله واستقبلوا من إصلاح أنفسكم وطاعة الله وطاعة من تولّونه فيها، لعلّ نادماً قد ندم على ما قد فرّط بالأمس فى جنب الله، وضيّع من حقّ الله، واستغفروا الله وتوبوا إليه، فإنّه يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون، وإيّاكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم، وتباعدوا من ساحتهم». ۳ ـ موالاة أولياء الله عزّوجلّ: «وأعلموا أنّه من خالف أولياء الله ودان بغير دين الله واستبدّ بأمره دون أمر وليّ الله فى نار تلتهب، تأكل أبداناً قد غابت عنها أرواحها، وغلبت عليها شقوتها، فهم موتى لا يجدون حرّ النار، فاعتبروا يا أُولى الأبصار، واحمدوا الله على ما هداكم، واعلموا أنّكم لا تخرجون من قدرة الله إلى غير قدرته، وسيرى الله عملكم ثم تحشرون، فانتفعوا بالعظة، وتأدّبوا بآداب الصالحين». ۴ ـ «إنّ علامة الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة تركهم كلّ خليط [۳۹۸] وخليل، ورفضهم كلّ صاحب لا يريد ما يريدون. ألا وإنّ العامل لثواب الآخرة هو الزاهد فى عاجل زهرة الدنيا، الآخذ للموت أُهبته، الحاثّ على العمل قبل فناء الأجل ونزول ما لا بدّ من [صفحه ۱۸۸] لقائه، وتقديم الحذر قبل الحين، فإنّ الله عزّوجلّ يقول:(حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعونِ لعلّى أعمل صالحاً فيما تركت) [۳۹۹] ، فلينزل أحدكم اليوم نفسه فى هذه الدنيا كمنزلة المكرور إلى الدنيا، النادم على ما فرّط فيها من العمل الصالح ليوم فاقته». ۵ ـ «واعلموا عباد الله أنّه من خاف البيات تجافى عن الوساد، وامتنع من الرقاد، وأمسك عن بعض الطعام والشراب من خوف سلطان أهل الدنيا، فكيف؟ ويحك يابن آدم من خوف بيات سلطان ربّ العزّة، وأخذه الأليم، وبياته لأهل المعاصى والذنوب مع طوارق المنايا بالليل والنهار، فذلك البيات الذى ليس منه مَنجى، ولا دونه ملتجأ ولا منه مهرب، فخافوا الله أيّها المؤمنون من البيات خوف أهل التقوى، فإنّ الله يقول:(ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيدِ) [۴۰۰] ، فاحذروا زهرة الحياة الدنيا وغرورها وشرورها، وتذكّروا ضرر عاقبة الميل إليها، فإنّ زينتها فتنة وحبّها خطيئة. ۶ ـ «فاتّقوا الله عباد الله وتفكّروا، واعملوا لما خلقتم له فإنّ الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدىً، قد عرّفكم نفسه، وبعث إليكم رسوله، وأنزل عليكم كتابه، فيه حلاله وحرامه وحججه وأمثاله، فاتّقوا الله فقد احتجّ عليكم ربّكم فقال:(أَلَمْ نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين) [۴۰۱] ، فهذه حجّة عليكم،

فاتّقوا الله ما استطعتم، فإنّه لا قوة إلّا بالله ولا تكلان إلّا عليه، وصلّى الله على محمد نبيّه وآله». ۷ ـ «إنّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة، ولكلّ واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فكونوا من الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة، لأنّ الزاهدين فى الدنيا اتّخذوا الأرض بساطاً، والتراب فراشاً، والمدر وِساداً، والماء طيباً، وقرضوا المعاشَ من الدنيا تقريضاً، اعلموا أنّه من اشتاق إلى الجنّة [صفحه ۱۸۹] سارع الى الحسنات وسلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار؛ رجع عن المحرمات، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه مصائبها ولم يكرهها، وإنّ لله عزّوجلّ لعباداً قلوبهم معلّقة بالآخرة وثوابها وهم كمن رأى أهل الجنّة فى الجنّة مخلّدين منعّمين، وكمن رأى أهل النار فى النار معذّبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أيّاماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة، أمّا الليل فصافّون أقدامهم، تجرى دموعهم على خدودهم، وهم يجأرون إلى ربّهم [۴۰۲] ، يسعون فى فكاك رقابهم، وأمّا النهار فحلماء علماء بررة أتقياء، كأنهم القِداح [۴۰۳] قد براهم الخوف من العبادة، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم مِن ذِكر النارِ وما فيها». ومن غرر كلماته (عليه السلام) [۴۰۴] . «الخير كلّه صيانة الإنسان نفسه». «الرضى بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين». «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا». «من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس». «لا يقلّ عمل مع تقوىً، وكيف يقلّ ما يتقبّل»؟ «قيل له: من أعظم الناس خطراً [۴۰۵] ؟ فقال(عليه السلام): «من لم يرَ الدنيا خطراً لنفسه». وقال بحضرته رجل: اللّهمّ أغننى عن خلقك، فقال(عليه السلام): «ليس هكذا، إنّما [صفحه ۱۹۰] الناس بالناس، ولكن قل: اللّهمّ أغننى عن شرار خلقك». «اتّقوا الكذب، الصغير منه، والكبير، فى كلّ جدّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب فى الصغير اجترأ على الكبير». «كفى بنصر الله لك أن ترى عدوّك يعمل بمعاصى الله فيك». وقال له رجل: ما الزهد؟ فقال(عليه السلام): «الزهد عشرة أجزاء، فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإنّ الزهد فى آية من كتاب الله: (لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)» [۴۰۶] . «طلب الحوائج إلى الناس مذلّة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر، وقلّة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر». «إنّ أحبّكم إلى الله أحسنكم عملاً، وإنّ أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله رغبة، وإنّ أنجاكم من عذاب الله أشدّكم خشية لله، وإنّ أقربكم من الله أوسعكم خلقاً، وإنّ أرضاكم عند الله أسْبَغكم [۴۰۷] على عياله، وإنّ أكرمكم على الله أتقاكم». «يابنى، اُنظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم فى طريق، إيّاك ومصاحبة الكذّاب، فإنّه بمنزلة السراب يقرّب لك البعيد ويبعّد لك القريب، وإيّاك ومصاحبة الفاسق، فإنّه بايعك بأكلة أو أقلّ من ذلك، وإيّاك ومصاحبة البخيل، فإنّه يخذلك فى ماله أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصاحبة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك، وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّى وجدته ملعوناً فى كتاب الله». «إنّ المعرفة وكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة مرائه، وحلمه، وصبره، وحسن خلقه». [صفحه ۱۹۱] «ابن آدم، إنّك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همّك، وما كان الخوف لك شعاراً، والحذر لك دثاراً [۴۰۸] ، ابن آدم إنّك ميّت ومبعوث وموقوف بين يدى الله جلّ وعزّ، فأعدّ له جواباً». «لا حسب لقرشىّ ولا لعربىّ إلّا بتواضع، ولا كرم إلّا بتقوىً، ولا عمل إلّا بنيّة، ولا عبادة إلّا بالتفقه، ألا وإنّ أبغض الناس إلى الله من يقتدى بسنّة إمام ولا يقتدى بأعماله». «المؤمن من دعائه على ثلاث: إمّا أن يدّخر له، وإمّا أن يعجّل له، وإمّا أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه». «إنّ المنافق ينهى ولا ينتهى، ويأمر ولا يأتى، إذا قام إلى الصلاة اعترض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نقر، يمسى وهمّه العشاء ولم يصم، ويصبح وهمّه النوم ولم يسهر، والمؤمن خلط عمله بحلمه، يجلس ليعلم، وينصت ليسلم، لا يحدّث بالأمانة للأصدقاء، ولا يكتم الشهادة للبعداء، ولا يعمل شيئاً من الحقّ رياءاً ولا يتركه حياءاً، إن زُكّى خاف ممّا يقولون، ويستغفر الله لما لا يعلمون، ولا يضرّه جهل من جهله». «كم من مفتون بحسن القول فيه، وكم من مغرور بحسن الستر عليه»؟ «ربّ مغرور مفتون يصبح لاهياً ضاحكاً، يأكل ويشرب وهو لا يدرى لعلّه قد سبقت له من الله سخطة يصلى بها نار جهنم». «إنّ من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار، والتوسّع على قدر التوسّع، وإنصاف الناس من نفسه، وابتداؤه إيّاهم بالسلام». «ثلاث منجيات للمؤمن: كفّ لسانه عن الناس واغتيابهم، وإشغاله

نفسه بما ينفعه لآخرته ودنياه، وطول بكائه على خطيئته». «نظر المؤمن فى وجه أخيه المؤمن للمودّة والمحبة له عبادة». [صفحه ۱۹۲] «ثلاث من كنّ فيه من المؤمنين كان فى كنف الله [۴۰۹] ، وأظلّه الله يوم القيامة فى ظلّ عرشه، وآمنه من فزع اليوم الأكبر: من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه، ورجل لم يُقَدِّم يداً ولا رجلاً حتى يعلم أنّه فى طاعة الله قدّمها أو فى معصيته، ورجل لم يعب أخاه بعيب حتى يترك ذلك العيب من نفسه، وكفى بالمرء شغلاً بعيبه لنفسه عن عيوب الناس». «ما من شىء أحبّ إلى الله بعد معرفته من عفّة بطن وفرج، وما]من[شىء أحبّ الى الله من أن يسأل». «افعل الخير إلى كلّ من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحوّل إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره». «مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة فى العقل، وطاعة ولاة الأمر تمام العزّ، واستنماء المال تمام المروّة، وإرشاد المستشير قضاء لحقّ النعمة، وكفّ الأذى من كمال العقل وفيه راحة للبدن عاجلاً أو آجلاً». وكان علىّ بن الحسين(عليهما السلام) إذا قرأ الآية:(وإن تعدّوا نعمت الله لا تحصوها) [۴۱۰] يقول: «سبحان مَن لم يجعل فى أحد من معرفة نعمه إلّا المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل فى أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنّه لا يدركه، فشكر عزّوجلّ معرفة العارفين بالتقصير عن معرفته، وجعل معرفتهم بالتقصير شكراً، كما جعل علم العالمين أنّهم لا يدركونه إيماناً، علماً منه أنّه قدّر وسع العباد فلا يجاوزون ذلك». «سبحان من جعل الاعتراف بالنعمة له حمداً، سبحان من جعل الاعتراف بالعجز عن الشكر شكراً». [صفحه ۱۹۳]

رسالة الحقوق

اشاره

تكفّلت رسالة الحقوق تنظيم أنواع العلاقات الفردية والاجتماعية للإنسان فى هذه الحياة بنحو يحقّق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات، ويجمع لهما عوامل الاستقرار والرقىّ والازدهار. «لقد نظر الإمام الحكيم (عليه السلام) بعمق وشمول للإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته مع خالقه ونفسه وأُسرته ومجتمعه وحكومته ومعلّمه» [۴۱۱] وكلّ من يرتبط به أدنى ارتباط. ويمكن أن نقول: إنّ تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس تعيين مجموعة الحقوق بشكل دقيق هو الرصيد الأول للنظام الاجتماعى الإسلامى، وهو المبنى المعقول للتشريعات الإسلامية عامّة، فإنّ الذى يفهم بعمق هذه الرسالة ويدرس بدقّة حقوق الخالق وحقوق المخلوقين بعضهم تجاه بعض يتسنّى له أن يفهم أسرار التشريع الإسلامى وفلسفة الأحكام التى جاءت بها الشريعة الإسلامية لتنظيم حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً. إنّ العدالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإدارية لن تتحقّق ما لم يُطبّق نظام الحقوق بشكل دقيق أوّلاً، وتنظّم الأحكام والتشريعات على أساس تلك [صفحه ۱۹۴] الحقوق، وفيما نعلم أنّ الإمام(عليه السلام) قد سبق العلماء والقانونيين جميعاً فى دنيا الإسلام بل فى دنيا الإنسان فى هذا المضمار الذى على أساسه ترتكز أُصول الأخلاق والتربية ونظم الاجتماع. وقد كتب الإمام زين العابدين(عليه السلام) هذه الرسالة العظيمة واتحف بها بعض أصحابه، ورواها العالم الكبير ثقة الإسلام ثابت بن أبى صفيّة المعروف بأبى حمزة الثمالى تلميذ الإمام(عليه السلام) كما رواها عنه بسنده المحدّث الصدوق فى كتابه «الخصال» وثقة الإسلام الكلينى فى «الكافى» والحسن بن علىّ بن الحسين بن شعبة الحرّانى فى «تحف العقول» وهى من المصادر القديمة الموثوقة. والإمام(عليه السلام) قبل بيانه للحقوق يشير إلى أنّ هناك حقوقاً محيطةً بالإنسان، ولا بد له من معرفتها، ثمّ يبيّن أكبر الحقوق وهو ما يرتبط بالله سبحانه بالنسبة لعبده، ثمّ يفرّع عليها حقوق الإنسان المفروضة من الله تجاه نفس الإنسان، فيبيّن أنواع علاقة الإنسان بنفسه من خلال المنظار الآلهى، ثمّ ينتهى الى أنواع العلاقة بين الإنسان وبيئته التى تشتمل على قيادة ومقودين ورعاة ورعية، مع بيانه لأنواع الأئمّة والمأمورين ودرجاتهم، ثمّ يبيّن سائر العلاقات مع الأرحام والأُسرة وأعضائها، ثمّ من تشتمل عليه الأُسرة من الموالى والجوارى، ثمّ سائر ذوى الحقوق كالمؤذّن والإمام فى الصلاة والجليس والشريك والغريم والخصم والمستشير والمشير والمستنصح والناصح والسائل والمسؤول والصغير

والكبير.. حتى ينتهى إلى من يشترك مع الإنسان فى دينه من بنى الإنسان، ثمّ حقوق من يشترك مع الإنسان فى الإنسانية وفى النظام السياسى الذى يخضع له وإن لم يكن من أهل ملّته ودينه. [صفحه ۱۹۵] وفيما يلى نصّ الرسالة كما وردت فى الخصال [۴۱۲] :

عرض إجمالى للحقوق

اشارة

«اعلم، أنّ لله عزّوجلّ عليك حقوقاً محيطة بك فى كلّ حركة تحرّكتها، أو سكنة سكنتها، أو حال حلتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلّبتها، أو آلة تصرّفت فيها، فأكبر حقوق الله تبارك وتعالى عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقّه الذى هو أصل الحقوق، ثمّ ما أوجب الله عزوجل عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل عزّوجلّ للسانك عليك حقّاً، ولسمعك عليك حقّاً، ولبصرك عليك حقاً، وليدك عليك حقّاً، ولرجلك عليك حقّاً، ولبطنك عليك حقّاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التى بها تكون الأفعال، ثمّ جعل عزّوجلّ لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقّاً، ولصومك عليك حقّاً، ولصدقتك عليك حقّاً، ولهديك عليك حقّاً، ولأفعالك عليك حقّاً. ثمّ تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوى الحقوق الواجبة عليك، فأوجبها عليك حقوق أئمّتك، ثمّ حقوق رعيّتك، ثمّ حقوق رحمك، فهذه حقوق تتشعّب منها حقوق، فحقوق أئمّتك ثلاثة، أوجبها عليك حقّ سائسك بالسلطان، ثمّ حقّ سائسك بالعلم، ثمّ حقّ سائسك بالملك، وكلّ سائس إمام. وحقوق رعيتك ثلاثة، أوجبها عليك حقّ رعيتك بالسلطان، ثمّ حقّ رعيتك بالعلم، فإنّ الجاهل رعية العالم، ثمّ حقّ رعيّتك بالملك من الأزواج وما ملكت الأيمان، وحقوق رعيّتك كثيرة متّصلة بقدر اتّصال الرحم فى [صفحه ۱۹۶] القرابة، وأوجبها عليك حقّ أُمّك، ثمّ حقّ أبيك، ثمّ حقّ ولدك، ثمّ حقّ أخيك، ثمّ الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى، ثمّ حقّ مولاك المنعم عليك، ثمّ حقّ مولاك الجارية نعمته عليك [۴۱۳] ، ثمّ حقّ ذوى المعروف لديك، ثمّ حقّ مؤذّنك لصلاتك، ثمّ حقّ إمامك فى صلاتك، ثمّ حقّ جليسك، ثمّ حقّ جارك، ثمّ حقّ صاحبك، ثمّ حقّ شريكك، ثمّ حقّ مالك، ثمّ حقّ غريمك الذى تطالبه؟ ثمّ حقّ غريمك الذى يطالبك، ثمّ حقّ خليطك، ثمّ حقّ خصمك المدّعى عليك، ثمّ حقّ خصمك الذى تدّعى عليه، ثمّ حقّ مستشيرك، ثمّ حقّ المشير عليك، ثمّ حقّ مستنصحك، ثمّ حقّ الناصح لك، ثمّ حقّ من هو أكبر منك، ثمّ حقّ من هو أصغر منك، ثمّ حقّ سائلك، ثمّ حقّ من سألته، ثمّ حقّ من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل عن تعمّد أو غير تعمّد، ثمّ حقّ أهل ملّتك عليك، ثمّ حقّ أهل ذمّتك، ثمّ الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرّف الأسباب. فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه، ووفّقه لذلك وسدّده.

تفصيل الحقوق

حق الله

فأمّا حقّ الله الأكبر عليك: فأن تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت بالإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

حق النفس

وحقّ نفسك عليك: أن تستعملها بطاعة الله عزّوجلّ. [صفحه ۱۹۷]

حقوق الاعضاء

۱ ـ وحقّ اللسان: إكرامه عن الخنى، وتعويده على الخير، وترك الفضول التى لا فائدة لها، والبرّ بالناس، وحسن القول فيهم. ۲ ـ وحقّ

السمع: تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحلّ سماعه. ۳ ـ وحقّ البصر: أن تغضّه عمّا لا يحلّ لك وتعتبر بالنظر به. ۴ ـ وحقّ يدك: أن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك. ۵ ـ وحقّ رجليك: أن لا تمشى بهما إلى ما لا يحلّ إليك، فبهما تقف على الصراط، فانظر أن لا تزلّ بك فتردى فى النار. ۶ ـ وحقّ بطنك: أن لا تجعله وعاء للحرام، ولا تزيد على الشبع. ۷ ـ وحقّ فرجك: أن تحصنه عن الزنا، وتحفظه من أن يُنْظرَ إليه.

حقوق الأفعال

۱ ـ وحقّ الصلاة: أن تعلم أنّها وفادة إلى الله عزّوجلّ وأنت فيها قائم بين يدى الله عزّوجلّ، فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجى الخائف المستكين المتضرّع المعظّم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك، وتقيمها بحدودها وحقوقها. ۲ ـ وحقّ الحجّ: أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذى أوجبه الله عليك. ۳ ـ وحقّ الصوم: أن تعلم أنّه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليستركَ به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك. [صفحه ۱۹۸] ۴ ـ وحقّ الصدقة: أن تعلم أنّها ذخرك عند ربّك عزّوجلّ، ووديعتك التى لا تحتاج الإشهاد عليها، فإذا علمتَ ذلك كنتَ بما تستودعه سرّاً أوثق منك بما تستودعه علانيةً، وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك فى الدنيا، وتدفع عنك النار فى الآخرة. ۵ ـ وحقّ الهدى: أن تريد به وجه الله عزّوجلّ، ولا تريد به خلقه، ولا تريد به إلّا التعرض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه.

حقوق الأئمة

۱ ـ وحقّ السلطان: أن تعلم أنّك جعلت له فتنة، وأنّه مبتل فيك بما جعله الله عزّوجلّ له عليك من السلطان، وأنّ عليك أن لا تتعرّض لسخطه فتلقى بيدك الى التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتى إليك من سوء. ۲ ـ وحقّ سائسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، وأن لا تجيب أحداً يسأله عن شىء حتى يكون هو الذى يجيب، ولا تحدّث فى مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا تعادى له وليّاً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس. ۳ ـ وأمّا حقّ سائسك بالملك: فأن تطيعه ولا تعصيه إلّا فيما يسخط الله عزّوجلّ، فإنّه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

حقوق الرعية

۱ ـ وأمّا حقّ رعيّتك بالسلطان: فأن تعلم أنّهم صاروا رعيّتك لضعفهم [صفحه ۱۹۹] وقوّتك، فيجب أن تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عزّوجلّ على ما آتاك من القوّة عليهم. ۲ ـ وأمّا حقّ رعيّتك بالعلم: فأن تعلم أنّ الله عزوجل إنّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزائنه، فإن أحسنت فى تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تفجر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعت النّاس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقّاً على الله عزّوجلّ أن يسلبك العلم وبهاءه، ويسقط من القلوب محلّك. ۳ ـ وأمّا حقّ الزوجة: فأن تعلم أنّ الله عزّوجلّ جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقّك عليها أوجب فإنّ لها عليك أن ترحمها، لأنّها أسيرك وتطعمها وتكسوها، فإذا جَهِلتْ عَفوتَ عنها. ۴ ـ وأمّا حقّ مملوكك: فأن تعلم أنّه خلق ربّك وابن أبيك وأُمّك ولحمك ودمك، لم تملكه لأنّك صنعته دون الله، ولا خلقت شيئاً من جوارحه ولا أخرجت له رزقاً، ولكنّ الله عزّوجلّ كفاك ذلك، ثمّ سخّره لك وائتمنك عليه واستودعك إيّاه، ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، وإن كرهته استبدلت به، ولم

تعذِّب خلق الله عزّوجلّ، ولا قوّة إلّا بالله.

حقوق الرحم

۱ ـ وحقّ اُمّك: أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطى أحدٌ أحداً، ووَقَتْك بجميع جوارحها، ولم تبالِ أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتظلّك، وتهجر النوم لأجلك، ووَقَتك الحرّ والبرد لتكون لها، فإنّك لا تطيق شكرها [صفحه ۲۰۰] إلاّ بعون الله تعالى وتوفيقه. ۲ ـ وأمّا حقّ أبيك: فأن تعلم أنّه أصلك، وأنّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت فى نفسك ممّا يعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوّة إلّا بالله. ۳ ـ وأمّا حقّ ولدك: فأن تعلم أنّه منك ومضاف إليك فى عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربّه عزّوجلّ، والمعونة له على طاعته، فاعمل فى أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه. ۴ ـ وأمّا حقّ أخيك: فأن تعلم أنّه يدك وعزّك وقوّتك، فلا تتّخذه سلاحاً على معصية الله، ولا عدّة للظالم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوّه والنصيحة له، فإن أطاع الله وإلاّ فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوّة إلّا بالله. ۵ ـ وأمّا حقّ مولاك المنعم عليك: فأن تعلم أنّه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذلّ الرقّ ووحشته إلى عزّ الحرية وأُنسها، فأطلقك من أسر الملكة، وفكّ عنك قيد العبودية، وأخرجك من السجن، وملكك نفسك، وفرّغك لعبادة ربّك، وتعلم أنّه أولى الخلق بك فى حياتك وموتك، وأنّ نصرته عليك واجبة بنفسك وما احتاج إليه منك، ولا قوّة إلّا بالله. ۶ ـ وأمّا حقّ مولاك الذى أنعمت عليه: فأن تعلم أنّ الله عزّوجلّ جعل عتقك له وسيلةً إليه، وحجاباً لك من النار، وأنّ ثوابك فى العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأة بما أنفقت من مالك وفى الآجل الجنّة.

حقوق عامة الناس والأشياء

۱ ـ وأمّا حقّ ذى المعروف عليك: فأن تشكره وتذكر معروفه وتكسبه [صفحه ۲۰۱] المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزوجل، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانيةً، ثمّ إن قدرت على مكافأته يوماً كافيته. ۲ ـ وأمّا حقّ المؤذِّن: أن تعلم أنّه مذكّر لك ربّك عزّوجلّ، وداع لك إلى حظّك، وعونك على قضاء فرض الله عليك، فاشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك. ۳ ـ وأمّا حقّ إمامك فى صلاتك: فأن تعلم أنّه قد تقلّد السفارة فيما بينك وبين ربّك عزّوجلّ، وتكلّم عنك ولم تتكلّم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هول المقام بين يدى الله عزّوجلّ، فإن كان به نقص كان به دونك، وإن كان تماماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل فوقى نفسك بنفسه وصلاتك بصلاته فتشكّر له على قدر ذلك. ۴ ـ وأمّا حقّ جليسك: فأن تلين له جانبك، وتنصفه فى مجازاة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك إلّا بإذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسى زلّاته، وتحفظ خيراته، ولا تُسمعه إلّا خيراً. ۵ ـ وأمّا حقّ جارك: فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتّبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلّمه عن شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرةً كريمةً، ولا قوّة إلّا بالله. ۶ ـ وأمّا حقّ الصاحب: فأن تصحبه بالتفضّل والإنصاف، وتكرمه كما يكرمك، وكن عليه رحمةً، ولا تكن عليه عذاباً، ولا قوّة إلّا بالله. ۷ ـ وأمّا حقّ الشريك: فإن غاب كفيته، وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل رأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا تخونه فيما عزّ أو هان من أمره، فإنّ يد الله تبارك وتعالى على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا [صفحه ۲۰۲] قوّة إلّا بالله. ۸ ـ وأمّا حقّ مالك: فأن لا تأخذه إلّا من حلّه، ولا تنفقه إلّا فى وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك، فاعمل فيه بطاعة ربّك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع السعة، ولا قوّة إلّا بالله. ۹ ـ وأمّا حقّ غريمك الذى يطالبك: فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً لرضيته بحسن القول، ورددته عن نفسك رداً لطيفاً. ۱۰ ـ وحقّ الخليط: أن لا تغرّه،

ولا ـ تغشّه ولا ـ تخدعه، وتتّقى الله تبارك وتعالى فى أمره. ۱۱ ـ وحقّ الخصم المدّعى عليك: فإن كان ما يدّعى عليك حقّاً كنتَ شاهده على نفسك ولم تظلمه، وأوفيته حقّه، وإن كان ما يدّعى باطلاً رفقت به، ولم تأت فى أمره غير الرفق، ولم تسخط ربّك فى أمره، ولا قوّة إلّا بالله. ۱۲ ـ وحقّ خصمك الذى تدّعى عليه: إن كنت محقّاً فى دعوتك أجملت مقاولته ولم تجحد حقّه، وإن كنت مبطلاً فى دعوتك اتّقيت الله عزّوجلّ وتبت إليه وتركت الدعوى. ۱۳ ـ وحقّ المستشير: إن علمت أنّ له رأياً أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم. ۱۴ ـ وحقّ المشير عليك: أن لا ـ تتّهمه فيما لا يوافقك من رأيه، فإن وافقك حمدت الله عزّوجلّ. ۱۵ ـ وحقّ المستنصح: أن تؤدّى إليه النصيحة وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به. ۱۶ ـ وحقّ الناصح: أن تلين له جناحك، وتصغى إليه بسمعك، فإن أتى الصواب حمدت الله عزّوجلّ، وإن لم يوافق رحمته ولم تتّهمه، وعلمت أنّه [صفحه ۲۰۳] أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلاّ ـ أن يكون مستحقّاً للتهمة فلا ـ تعبأ بشىء من أمره على حال، ولا قوّة إلاّ بالله. ۱۷ ـ وحقّ الكبير: توقيره لسنّه، وإجلاله لتقدّمه فى الإسلام قبلك، وترك مقابلته عند الخِصام، ولا تسبقه إلى طريق ولا تتقدّمه، ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته وأكرمته لحقّ الإسلام وحرمته. ۱۸ ـ وحقّ الصغير: رحمته فى تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة له. ۱۹ ـ وحقّ السائل: إعطاؤه على قدر حاجته. ۲۰ ـ وحقّ المسؤول: إن أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، وإن منع فاقبل عذره. ۲۱ ـ وحقّ من سرّك لله تعالى ذكره: أن تحمد الله عزّوجلّ أوّلاً ثمّ تشكره. ۲۲ ـ وحقّ من أساءك: أن تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو عنه يضرّ انتصرت، قال الله تبارك وتعالى:(ولمن انتصر بعد ظلمه فأُولئك ما عليهم من سبيل) [۴۱۴] . ۲۳ ـ وحقّ أهل ملّتك: إضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئهم، وتألّفهم واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكفّ الأذى عنهم، وتحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن يكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبّانهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة اُمّك، والصغار بمنزلة أولادك. ۲۴ ـ وحقّ أهل الذمّة: أن تقبل منهم ما قبل الله عزّوجلّ، ولا تظلمهم ما وفوا لله عزّوجلّ بعهده. [صفحه ۲۰۴] وقد تصدّى جملة من العلماء [۴۱۵] والقانونيين لشرح هذه الرسالة الفريدة وبشتّى اللغات وعلى مختلف المستويات، وإن شئت التفصيل والاستضاءة بأنوارها ـ أكثر ممّا مرّ ـ فراجعها. [صفحه ۲۰۵]

فى رحاب الصحيفة السجادية

اشاره

لقد خطّط القرآن الكريم لثورة ثقافية عظيمة، وكانت آياته الاُولى تبشّر بحركة كبرى فى عالم العلم والمعرفة، حيث ابتدأ الوحى الربّانى بالأمر بالقراءة أمراً مؤكّداً والإشارة بنعمة التعليم الإلهى والاهتمام بظاهرتى القلم والكتابة فى التعليم وتدوين المعرفة ونقلها وتطويرها وتطوير الإنسان من خلال تكامل المعرفة وتطوّر العلوم. والرسول الأمين وإن عرف عنه بأنّه لم يتعلّم القراءة والكتابة المتعارفة ولكنّه قد حثّ على طلب العلم ونشره وتدوينه بإلهام إلهى، وبالرغم من أنّ الجهاز الحاكم الذى خلف الرسول (صلى الله عليه وآله) أصدر قراراً بمنع تدوين حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وبذلك وجّه ضَربةً كبيرةً للثقافة الإسلامية المتمثّلة فى أحاديث الرسول الأعظم، لكنّها قد تدوركت بعد أن خلّفت مضاعفات كبيرةً لا زال العالم الإسلامى والإنسانى يدفع ضريبتها حتى يومنا هذا بعد أن لمسوا تلك المضاعفات الكبرى التى ترتّبت على مثل هذا القرار. وأمّا الأئمّة من أهل البيت (عليهم السلام) حيث كانوا قد أدركوا فى وقت مبكّر مضاعفات منع التدوين والنكسة التى سوف يصاب بها العالم الإسلامى بل الإنسانى، فبادروا إلى التدوين وشجّعوا أصحابهم على عملية التدوين [صفحه ۲۰۶] بالرغم من أنّه كان ذلك يشكّل تحدّياً للسلطات آنذاك، لأنّ حفظ الشريعة والدفاع عنها يعدّ من أعظم الأهداف التى جُعل الأئمّة المعصومون حُرّاساً لها أمناء عليها. فالأئمّة الأطهار(عليهم السلام) هم الروّاد الأوائل الذين خطّطوا لمسيرة الاُمّة الثقافية، وفجّروا لها ينابيع العلم والحكمة على هدى الكتاب الحكيم وتعاليم الرسول العظيم،

ولم يقتصر النشاط الثقافى للأئمّة(عليهم السلام) على جانب خاص، وإنّما تناول أنواع العلوم وشتى مجالات المعرفة. فالإمام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) هو رائد هذه النهضة العلمية والفاتح لأبواب العلوم العقلية والنقلية والمؤسس لأُصولها وقواعدها، وقد اعترف بهذه الحقيقة جملة من العلماء الكبار وألّف السيّد حسن الصدر كتابه «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» فأثبت فيه تأريخياً صحة هذه الدعوى. وممّن اعترف بذلك الأُستاذ عباس محمود العقّاد فى كتابه «عبقرية الإمام علىّ» قائلاً: إنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قد فتق أبواب اثنين وثلاثين علماً، فوضع قواعدها وأُسس أُصولها. وقال العلاّمة ابن شهر آشوب فى كتابه «معالم العلماء»: الصحيح أنّ أوّل من صنّف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ثمّ سلمان ثمّ أبو ذر ثمّ الأصبغ بن نباتة ثمّ عبيد الله بن أبى رافع، ثمّ صنّفت الصحيفة الكاملة. فالصحيفة السجّادية من ذخائر التراث الإسلامى ومن مناجم كتب البلاغة والتربية والأخلاق والأدب فى الإسلام، ومن هنا سمّيت بـ«إنجيل أهل البيت» و «زبور آل محمد» [۴۱۶] . [صفحه ۲۰۷]

مميزات الصحيفة السجادية

۱ ـ إنّها تمثّل التجرّد التام من عالم المادّة والانقطاع الكامل إلى الله تعالى والاعتصام به، والذى هو أثمن ما فى الحياة. ۲ ـ إنّها تكشف عن كمال معرفة الإمام(عليه السلام) بالله تعالى وعميق إيمانه به. ۳ ـ امتازت الصحيفة السجادية على سائر أدعية المعصومين(عليهم السلام) بتكرار الصلاة على محمّد وآل محمد لأنّه من الأرجح أن هذه الأدعية أُنشئت فى أعقاب واقعة كربلاء التى كان منشؤها يزيد الذى كان هو وأبوه وجدّه ومن ورائهم بنو أُمية يسعون فى إطفاء النور المحمّدى(صلى الله عليه وآله). والأرجح ان الإمام كان يريد من خلال هذه الأدعية تكريس مبادئ الإسلام وترسيخها فى النفوس فى مواجهة المساعى الأُموية الهدّامة. ۴ ـ فتحت الصحيفة للإنسان المسلم أبواب الأمل والرجاء برحمة الله الواسعة. ۵ ـ كما فتحت للمناظرات البديعة مع الله تعالى باباً مهمّاً يتضمّن أنواع الحجج البالغة لاستجلاب عفو الله وغفرانه، مثل قوله(عليه السلام): «إلهى إن كنتَ لا تغفر إلاّ لأوليائك وأهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون؟! وإن كنتَ لا تُكرِم إلاّ أهل الوفاء لك فبمن يستغيث المُسيئون؟!». وهكذا قوله: «إلهى إنّى امرؤ حقير وخطرى يسير وليس عذابى ممّا يزيد فى ملكك مثقال ذرّة...». ۶ ـ تضمّنت الصحيفة برامج أخلاقية روحية وسلوكية مهمّة لتربية الإنسان، ورسمت له أُصول الفضائل النفسية والكمالات المعنويّة. [صفحه ۲۰۸] ۷ ـ احتوت على حقائق علمية لم تكن معروفةً فى عصره. وقد أشرنا إلى بعض منها [۴۱۷] . ۸ ـ كما تصدّت الصحيفة لمواجهة الفساد الفردى والإجتماعى والسياسى فى عصر أشاعت فيه السياسة الأُموية الفساد الأخلاقى والخلاعة والمجون بين المسلمين، فكانت الصحيفة خير وسيلة للإصلاح فى أحلك الظروف التى اتّبع فيها الأُمويون سياسة القمع والإرهاب. ۹ ـ والصحيفة بعد هذا هى منجم من مناجم البلاغة والفصاحة وينبوع ثرّ للأدب الإسلامى الهادف، فهى لا تفترق عن «نهج البلاغة» فى هذا المضمار. ۱۰ ـ وقد ضمّن الإمام زين العابدين(عليه السلام) أدعيته ـ التى تمثّلت فى الصحيفة الكاملة وسائر الأدعية التى وصلت عنه وجُمعت مؤخّراً فى ما سمّى بـ«الصحيفة الجامعة» ـ منهاجاً كاملاً للحياة الإنسانية الفريدة، ولم يترك الإمام جانباً ممّا تحتاجه الأُمّة الإسلامية إلاّ وتعرّض له وعالجه بأُسلوبه الفذّ وبلاغته البديعة.

الدور التأريخى للصحيفة السجادية

قلنا: إنّ المسلمين فى عصر الإمام زين العابدين(عليه السلام) واجهوا «خطرين كبيرين خارج النطاق السياسى والعسكرى، وكان لا بدّ من البدء بعمل حاسم للوقوف فى وجههما: أحدهما: الخطر الذى نجم عن انفتاح المسلمين على ثقافات متنوّعة [صفحه ۲۰۹] وأعراف تشريعية وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التى دخلت فى دين الله أفواجاً، وكان لا بدّ من عمل على الصعيد العلمى يؤكّد فى المسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيتهم التشريعية المتميزة المستمدة من الكتاب والسنّة، وكان لا بدّ من حركة فكرية اجتهادية تفتح آفاقهم الذهنية ضمن ذلك الإطار لكى يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنّة بروح المجتهد البصير

والممارس الذكيّ الذى يستطيع أن يستنبط منها ما يفيده فى كلّ ما يستجدّ له من حالات. كان لا بد إذن من تأصيل للشخصية الإسلامية ومن زرع بذور الاجتهاد، وهذا ما قام به الإمام علىّ بن الحسين (عليه السلام) فقد بدأ حلقة من البحث والدرس فى مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله)... وأمّا الخطر الآخر: فقد نجم عن موجة الرخاء التى سادت المجتمع الإسلامى فى أعقاب ذلك الامتداد الهائل، لأنّ موجات الرخاء تعرّض أىّ مجتمع إلى خطر الانسياق مع ملذّات الدنيا والإسراف فى زينة هذه الحياة المحدودة وانطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقية والصلة الروحية بالله واليوم الآخر، وبما تضعه هذه الصلة أمام الإنسان من أهداف كبيرة، وهذا ما وقع فعلاً، وتكفى نظرة واحدة فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ليتّضح الحال. وقد أحسّ الإمام علىّ بن الحسين بهذا الخطر، وبدأ بعلاجه، واتّخذ من الدعاء أساساً لهذا العلاج، وكانت الصحيفة السجادية من نتائج ذلك، فقد استطاع هذا الإمام العظيم بما أُوتى من بلاغة فريدة وقدرة فائقة على أساليب التعبير العربى وذهنية ربّانية تتفتّق عن أروع المعانى وأدقّها فى تصوير صلة الإنسان بربّه ووجده بخالقه وتعلّقه بمبدئه ومعاده وتجسيد ما يعبّر عنه ذلك [صفحه ۲۱۰] من قيم خلقية وحقوق وواجبات. أقول: قد استطاع الإمام علىّ بن الحسين بما أُوتى من هذه المواهب أن ينشر من خلال الدعاء جوّاً روحياً فى المجتمع الإسلامى يساهم فى تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات، وشدّه إلى ربّه حينما تجرّه الأرض إليها وتأكيد ما نشأ عليه من قيم روحية، لكى يظلّ أميناً عليها فى عصر الغنى والثروة كما كان أميناً عليها وهو يشدّ حجر المجاعة على بطنه. وهكذا نعرف أنّ الصحيفة السجّادية تعبّر عن عمل إجتماعى عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام، إضافةً إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدى العلوى، وتزداد حاجةً كلّما ازداد الشيطان إغراءً والدنيا فتنة» [۴۱۸] .

سند الصحيفة السجادية

ينتهى سند الصحيفة إلى الإمام أبى جعفر محمد الباقر (عليه السلام) وإلى أخيه الشهيد زيد بن علىّ بن الحسين (عليهما السلام)، وقد ذكرت سلسلة السند فى مقدمة الصحيفة، وحظى هذا السند بالتواتر، وما زال العلماء يتلقّونها موصولة الإسناد بالإسناد. قال السيّد محسن الأمين العاملى: «وبلاغة ألفاظها ـ أى الصحيفة ـ وفصاحتها التى لا ـ تبارى وعلوّ مضامينها وما فيها من أنواع التذلّل لله تعالى والثناء عليه والأساليب العجيبة فى طلب عفوه وكرمه والتوسّل اليه أقوى شاهد على صحّة نسبتها، وإنّ هذا الدرّ من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك [صفحه ۲۱۱] المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهارها شهرةً لا تقبل الريب، وتعدّد أسانيدها المتّصلة إلى منشئها صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتّصلة إلى زين العابدين (عليه السلام) وقد كانت منها نسخة عند زيد الشهيد ثمّ انتقلت إلى أولاده، وإلى أولاد عبدالله بن الحسن المثنّى، كما هو مذكور فى أوّلها، مضافاً إلى ما كان عند الباقر (عليه السلام) من نسختها، وقد اعتنى بها عامّة الناس فضلاً عن العلماء اعتناءً بروايتها وضبط ألفاظها ونسخها، وواظبوا على الدعاء بأدعيتها فى الليل والنهار والعشى والإبكار» [۴۱۹] .

شروح الصحيفة السجادية

عكف العلماء على دراسة الصحيفة السجّادية وشرحها وإيضاح مقاصدها، وقد أُلّفت فى ذلك مجموعة من الكتب القيّمة ذكرها شيخ المحقّقين الشيخ آغا بزرك الطهرانى فى موسوعته المعروفة بـ«الذريعة إلى تصانيف الشيعة». وقد أحصى ستّة وستين شرحاً لها.

وصف الصحيفة بـــ «الكاملة»

۱ ـ ذكروا أنّ سبب تسمية هذه الصحيفة بـ«الكاملة» هو أنّ لدى الزيدية نسخة ناقصة من هذه الصحيفة تصل إلى نصفها، ولذلك

عرفت هذه الصحيفة بالكاملة [۴۲۰] . ۲ ـ وذهب البعض الى أنّ السبب فى إطلاق هذه الصفة على الصحيفة [صفحه ۲۱۲] هو كونها تمثّل مجموعة كاملة تنتظم حاجات العبد من الله تعالى فى أغلب الموارد وحول أغلب المتطلّبات [۴۲۱] .

الصحيفة السجادية الجامعة

قال جامعها: ويستفاد من ديباجة نسخ الصحيفة السجّادية المتداولة أنّ عدد أدعيتها «۷۵» دعاءً إلّا أنّ عدد الأدعية الموجودة فيها الآن برواية محمد ابن أحمد المطهّرى هى «۵۴» دعاءً. وقد أُلّفت صحائف اُخرى جمعت أدعيته (عليه السلام) وذكر فى بعضها تلك الأدعية الساقطة. ثمّ ذكر خمس صحائف اُخرى، ومن هنا بادرت مؤسسة الإمام المهدى (عليه السلام) إلى جمع أدعيته وتنظيمها بالشكل الذى حافظ على سلامة ترتيب الأدعية الموجودة فى الصحيفة الكاملة المتداولة. قال: ولمّا كانت الصحيفة الكاملة تعدّ من المتواترات لاختصاصها بالإجازة والرواية فى كلّ طبقة وعصر لذلك جُمعت بعض أسانيدها وإجازاتها المتكثّرة، ورُتّبت شجرة للأسانيد على غرار شجرة الأنساب مع ترجمة أكثر رواة السند المتداول للصحيفة الكاملة، وعمل لها مجموعة من الفهارس الفنيّة اللازمة فازدانت بها جمالاً وكمالاً. وللتحقّق ممّا قلناه من أنّها «مجموعة كاملة تنتظم حاجات العبد من الله تعالى» يجدر بنا أن نلقى نظرة سريعة إلى الخطوط العريضة على الفهرس الموضوعى لهذه الصحيفة الجامعة [۴۲۲] . [صفحه ۲۱۳]

الموضوعات العامة للصحيفة الجامعة

۱ ـ أدعيته (عليه السلام) فى التحميد والتوحيد والتمجيد، وفيها (۸) أدعية. ۲ ـ أدعيته فى الصلوات، وهى (۱۴) دعاءً. ۳ ـ دعاؤه لنفسه وخاصّته. ۴ ـ أدعيته فى الصباح والمساء، وفيها (۸) أدعية. ۵ ـ أدعيته فى المهمّات والكربات والاستعاذة، وفيها (۶) أدعية. ۶ ـ أدعيته فى الاعتراف والاستغفار، وفيها (۹) أدعية. ۷ ـ أدعيته فى طلب الحوائج وقضائها، وفيها (۵) أدعية. ۸ ـ أدعيته إذا اعتُدى عليه، وفيها دعاءان. ۹ ـ أدعيته فى الأمراض والبلايا، وفيها (۳) أدعية. ۱۰ ـ دعاؤه فى الاستقالة. ۱۱ ـ دعاؤه فى الاستعاذة من الشيطان. ۱۲ ـ أدعيته فى الحذر، وفيها دعاءان. ۱۳ ـ أدعيته فى الاستسقاء، وفيها دعاءان. ۱۴ ـ أدعيته فى مكارم الأخلاق، وفيها دعاءان. ۱۵ ـ أدعيته فى الحزن والشدّة، وفيها (۴) أدعية. ۱۶ ـ أدعيته فى العافية، وفيها دعاءان. ۱۷ ـ أدعيته فيمن دعا لهم، وهم: الأبوان والولد والجيران والأولياء وأهل الثغور وجملة من الأشخاص. ۱۸ ـ أدعيته فيمن دعا عليهم. ۱۹ ـ أدعيته فى الفزع إلى الله، وفيها دعاءان. [صفحه ۲۱۴] ۲۰ ـ أدعيته فى الرزق وقضاء الدين، وفيها (۴) أدعية. ۲۱ ـ أدعيته فى التوبة، وفيها دعاءان. ۲۲ ـ أدعيته فى التهجّد، وفيها (۱۵) دعاءً. ۲۳ ـ أدعيته فى الإستخارة، وفيها (۳) أدعية. ۲۴ ـ دعاؤه فى الإبتلاء. ۲۵ ـ دعاؤه فى الرضا. ۲۶ ـ دعاؤه عند النظر إلى آيات الله. ۲۷ ـ دعاؤه عند رؤية الهلال. ۲۸ ـ أدعيته فى الشكر، وفيها دعاءان. ۲۹ ـ أدعيته فى الاعتذار من التبعات، وفيها دعاءان. ۳۰ ـ أدعيته فى طلب الرحمة وذكر الموت، وفيها (۷) أدعية. ۳۱ ـ دعاؤه فى طلب الستر والوقاية. ۳۲ ـ دعاؤه عند ختم القرآن. ۳۳ ـ أدعيته فى الأشهر الثلاثة، وفيها (۳۴) دعاءً. ۳۴ ـ أدعيته فى الأيام المباركة، وفيها (۸) أدعية. ۳۵ ـ دعاؤه فى الملتزم. ۳۶ ـ أدعيته لدفع الأعداء، وفيها (۱۰) أدعية. ۳۷ ـ أدعيته فى الاحتجاب والرهبة، وفيها دعاءان. ۳۸ ـ أدعيته فى التضرّع والتذلّل، وفيها (۸) أدعية. ۳۹ ـ أدعيته لكشف الهمومودفع المصائبوالاحتراز، وفيها(۱۱) دعاءً. ۴۰ ـ أدعيته فى المناجاة، وفيها (۳۹) دعاءً. ۴۱ ـ أدعيته فى الاستجابة والقنوت، وفيها (۳) أدعية. [صفحه ۲۱۵] ۴۲ ـ أدعيته فى السجود، وفيها (۱۰) أدعية. ۴۳ ـ أدعيته فى الأيام، وفيها (۳۶) دعاءً. ۴۴ ـ أدعيته فى الزيارات، وفيها دعاءان. ۴۵ ـ أدعيته فى مطالب الدنيا والآخرة، وفيها (۳) أدعية. ۴۶ ـ أدعيته عند الطعام، وفيها (۳) أدعية. ۴۷ ـ أدعيته فى صدر الموعظة وآخرها، وفيها دعاءان. ۴۸ ـ أدعيته إذا خرج من منزله أو آوى إلى فراشه أو طلى بالنورة. ۴۹ ـ دعاؤه عند محاكمته محمد بن الحنفيّة إلى الحجر الأسود. ۵۰ ـ دعاؤه الذى فيه الاسم الأعظم. [صفحه ۲۱۷]

مدرسة الإمام زين العابدين

إنّ حالة الجمود الفكرىّ والركود العلمىّ التى أصابت الأُمّة الإسلامية بسبب سيطرة بنى أميّة على الحكم كانت تستدعى حركة فكرية اجتهادية تفتح الآفاق الذهنية للمسلمين كى يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنّة بروح المجتهد البصير، وهذا ما قام به الإمام زين العابدين (عليه السلام) فانبرى إلى تأسيس مدرسة علمية وإيجاد حركة فكرية بما بدأه من حلقات البحث والدرس فى مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) وبما كان يثيره فى خطبه فى صلوات الجُمَع أُسبوعيّاً. أخذ الإمام (عليه السلام) يحدّث بصنوف المعرفة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وعقائد وأخلاق، ويفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين ويمرّن النابهين منهم على التفقّه والاستنباط. وقد تخرّج من هذه الحلقة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة هى المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية وشخصيات علمية [۴۲۳] . ونلمس من خلال ما ورد عن الإمام (عليه السلام) من أحاديث ترتبط بالعلم والعلماء أنّه قد خطّط لهذه الحركة العلمية تخطيطاً بارعاً، فهو بالإضافة إلى [صفحه ۲۱۸] تفرّغه للتعليم ـ بالرغم من جميع الهموم والآلام التى تركتها له واقعة الطفّ الأليمة وما تلاها من حوادث مؤلمة فى العالم الإسلامى ـ نجده يشيد بفضل العلم ويحثّ المستعدّين للتعلّم حثّاً أكيداً قولاً وعملاً وتكريماً من جهة، كما نجده يرسم للمتعلّمين آداب التعلّم، ويبيّن حقوق المعلّم والمتعلّم، ويرغّبهما فى تحمّل هذا العبء ببيان ثواب التعلّم والتعليم، بحيث استطاع أن يجمع عدداً كبيراً من طلّاب المعرفة الذين عُرفوا بالقرّاء باعتبار أنّ قراءة القرآن وحفظه وتعليم تفسيره كانت هى المحور فى التعلّم والتعليم حينذاك، ولم يكن للحديث أو السيرة أو الفقه تدوين وتأليف باعتبار الحظر الذى أوجدته السلطة بعد غياب الرسول (صلى الله عليه وآله)، فلم يكن الخط العام فى صالح هذه الحركة الفكرية. ومع كلّ هذا نلاحظ احتفاء القرّاء والفقهاء والعلماء بالإمام بنحو لا نجد له نظيراً فى غيره من العصور، فإنّ القرّاء كانوا لا يفارقونه فى حضر أو سفر حتى قال سعيد بن المسيّب: إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتّى يخرج علىّ بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب [۴۲۴] . قال (عليه السلام) مشيداً بفضل العلم وثوابه وأهمّيته: «لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال: إنّ أمقت عبيدى إلىّ الجاهل المستخفّ بحقّ أهل العلم، التارك للإقتداء بهم، وإنّ أحبّ عبيدى إلىّ التقىّ الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحلماء القابل عن الحكماء» [۴۲۵] . «طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجلاً على رطب ولا يابس [صفحه ۲۱۹] من الأرض إلّا سبّحت له الأرضون السبع» [۴۲۶] . وكان (عليه السلام) يكرم طلّاب العلوم ويرفع منزلتهم ويرحّب بهم قائلاً: «مرحباً بوصيّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)». وكان إذا نظر إلى الشباب وهم يطلبون العلم أدناهم إليه وقال: «مرحباً بكم أنتم ودايع العلم، ويوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين» [۴۲۷] . وقد لاحظنا ما جاء فى رسالة الحقوق من الإشادة بفضل العالم وحقوقه على المتعلّمين من التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الإستماع إليه والإقبال عليه وعدم رفع الصوت عليه والدفاع عنه وستر عيوبه وإظهار مناقبه وعدم مجالسة أعدائه وعدم معاداة أوليائه. كما نلاحظ تأكيده على عدم كتمان العلم وعدم التجبّر بالنسبة للمتعلّمين وحسن الإتقان فى فنّ التعليم وعدم ابتغاء الأجر المادّى على التعاليم. كلّ هذا يشير إلى تخطيط واضح فى سلوك الإمام (عليه السلام) لايجاد حركة ثقافية واسعة وتأسيس تيّار ثقافى يتسنّى له أن يقف أمام التيّارات المنحرفة والتخطيط الأُموى الذى لم يرق له تفتّح الوعى الإسلامى عند أبناء المسلمين. وقد خرّجت مدرسة الإمام زين العابدين (عليه السلام) كوكبةً من العلماء الفقهاء والمفسّرين الذين سطعت أسماؤهم فى العالم الإسلامى، وإليهم يعود الفضل فى دفع عجلة الإحياء العلمىّ فى ذلك العصر الرهيب وما تلاه من عصور. ونشير فيما يلى إلى الأسماء اللّامعة فى هذا الصدد: ۱ ـ ۳ ـ وفى مقدمتهم الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) وأخواه: زيد [صفحه ۲۲۰] والحسين ابنا علىّ بن الحسين بن علىّ (عليهم السلام). ۴ ـ أبان بن تغلب بن رباح، أبو سعيد البكرى الجريرى: كوفىّ المولد والنشأة، وكان نابهاً ومقدّماً فى كلّ فن، من قرآن وحديث وأدب ولغة ونحو، وتتلمذ عند الأئمّة الثلاثة: السجاد والباقر والصادق (عليهم السلام)، وكان يقول له الإمام الباقر (عليه السلام): «اجلس فى مسجد المدينة وافتِ الناس فإنّى أُحبّ أن يُرى فى شيعتى مثلك» وألّف أبان فى تفسير غريب القرآن وفى فضائل أهل البيت كما روى ما يناهز ثلاثين ألف حديث

عن أئمّته (عليهم السلام) [۴۲۸] . ۵ ـ إسماعيل بن عبد الخالق: وجه من وجوه أصحاب الأئمّة وفقيه من فقهائهم، وأدرك الإمام الصادق (عليه السلام) وروى عنه وعن الإمام الباقر والسجّاد أيضاً [۴۲۹] . ۶ ـ ثابت بن أبى صفيّة: وهو أبو حمزة الثمالى، عالم جليل ورع تقىّ، تربّى بآداب أهل البيت وحمل علومهم ومعارفهم، وأجمع المترجمون على وثاقته وأنّه كسلمان الفارسى فى زمانه، وكانت الشيعة ترجع إليه فى الكوفة لإحاطته بفقه أهل البيت (عليهم السلام). ۷ ـ رشيد الهجرى: من أبطال الإسلام وأعلام الجهاد، وقد صلبه الأُمويّون من أجل عقيدته وولائه لأهل البيت (عليهم السلام). ۸ ـ زيد بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب، كان يتولّى صدقات رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وكان جليل القدر كريم الطبع زكىّ النفس كثير البرّ. ۹ ـ سعيد بن جبير، أبو محمد مولى بنى والبة: كوفى تابعى نزل مكّة وهو من أعلام المجاهدين، وكان من أبرز علماء عصره فى التفسير والفقه [صفحه ۲۲۱] وأنواع العلوم، واستشهد بأمر الحجّاج فى شعبان (۹۵ هـ). ۱۰ ـ سعيد بن المسيّب المخزومى: من كبار التابعين، وقال فيه الإمام زين العابدين (عليه السلام): إنّه أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار وأفصحهم فى زمانه، وكان يبجّل الإمام كثيراً [۴۳۰] . إنّ هؤلاء بعض تلامذته والرواة عنه، على أنّ الإمام (عليه السلام) كان يربّى الموالى بشكل ليس له نظير، وكلّ من أعتقه الإمام يمكن أن يعدّ ممّن تربّى على يد الإمام، فلا ينحصر تراث الإمام فيما كتب وما روى عنه فقط، بل يمكن أن يتّسع لكلّ عمل تربوى صدر عن الإمام وبقيت آثاره فى المجتمع الإسلامى ولو كان متجسّداً فى سلوك هؤلاء الموالى وأفكارهم واتجاهاتهم.

پاورقى

[۱] صحيح مسلم: ۷ / ۱۲۱.

[۲] إثبات الهداة: ۲ / ۳۲۰ حديث ۱۱۶.

[۳] اختيار معرفة الرجال: ۱۲۹ ـ ۱۳۲ ح ۲۰۷، والجاحظ فى البيان والتبيين: ۱ / ۲۸۶، الأغانى: ۱۴ / ۷۵ و ۱۹ / ۴۰، وابن خلكان فى وفيات الأعيان: ۲ / ۳۳۸ ط ايران.

[۴] انظر: دراسات وبحوث للعاملى: ۱ / ۱۲۷ ـ ۱۳۷.

[۵] السيد الشهيد محمد باقر الصدر(قدس سره) فى مقدمته للصحيفة السجادية.

[۶] العقد الفريد: ۲ / ۲۵۱.

[۷] حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل: ۱ / ۱۲۶.

[۸] تأريخ دمشق: ۳۶ / ۱۴۷، وتذكرة الخواص: ۳۲۴.

[۹] تهذيب التهذيب: ۹ / ۴۴۵.]

[۱۰] الأغانى: ۱۵ / ۳۲۵.

[۱۱] شذرات الذهب: ۱ / ۱۰۵.

[۱۲] شذرات الذهب: ۱ / ۱۰۵.

[۱۳] تهذيب التهذيب: ۴ / ۸۵.

[۱۴] تأريخ اليعقوبى: ۳ / ۴۶.

[۱۵] العبر فى خبر من غبر: ۱ / ۱۱۱.

[۱۶] الفصول المهمة: ۱۸۹.

[۱۷] تهذيب التهذيب: ۳ / ۳۹۵.

[۱۸] حياة الإمام زين العابدين: ۱ / ۱۲۹ عن تأريخ دمشق: ۱۲ / ق۱ / الورقة ۱۹.

[۱۹] حياة الإمام زين العابدين: ۱ / ۱۲۹ عن تأريخ دمشق: ۱۲ / ق۱ / الورقة ۱۹.

[۲۰] طبقات الفقهاء: ۲ / ۳۴.

[۲۱] تهذيب التهذيب: ۳ / ۹.

[۲۲] تهذيب اللغات والأسماء، القسم الأول: ۳۴۳.

[۲۳] حياة الإمام زين العابدين (دراسة وتحليل): ۱ / ۱۳۰ عن تهذيب التهذيب.

[۲۴] المصدر السابق عن تهذيب الكمال م۷ / ق۲ / الورقة ۳۳۶.

[۲۵] نفس المهموم: ۴۴۸ ـ ۴۵۲ ط قم عن مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۸۱ عن كتاب الأحمر عن الأوزاعى: الخطبة بدون المقدمة، والمقدمة عن الكامل للبهائى: ۲ / ۲۹۹ ـ ۳۰۲ وانظر حياة الإمام زين العابدين للقرشى: ۱ / ۱۷۵.

[۲۶] بحار الأنوار: ۴۶ / ۷۵.

[۲۷] الكامل للمبرد: ۲ / ۴۶۷، العقد الفريد: ۵ / ۳۱۰.

[۲۸] تاريخ اليعقوبى: ۳ / ۴۶.

[۲۹] تأريخ دمشق: ۳۶ / ۱۴۲.

[۳۰] سير أعلام النبلاء: ۴ / ۲۴۰.

[۳۱] حلية الأولياء: ۳ / ۱۳۳.

[۳۲] وسيلة المآل فى عدّ مناقب الآل: ۲۸۰.

[۳۳] عن تهذيب اللغات والأسماء: ق۱ / ۳۴۳.

[۳۴] عيون الأخبار وفنون الآثار: ۱۴۴.

[۳۵] عمدة الطالب: ۱۹۳.

[۳۶] الإرشاد: ۲ / ۱۳۸ و ۱۵۳.

[۳۷] منهاج السنّة: ۲ / ۱۲۳.

[۳۸] الصراط السوى الورقة ۱۹.

[۳۹] مطالب السؤول: ۲ / ۴۱.

[۴۰] رسائل الجاحظ: ۱۰۶.

[۴۱] عمدة الطالب: ۱۹۳ ـ ۱۹۴.

[۴۲] تذكرة الخواص: ۳۲۴.

[۴۳] أمالى الصدوق: ۱۶۸ ح ۱۲ والارشاد: ۲ / ۱۴۶، ومناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۵۷، تاريخ دمشق: ۳۶ / ۱۵۵ وابن منظور فى مختصره: ۱۷ / ۲۴۰، وسير أعلام النبلاء: ۴ / ۳۹۷، ونهاية الارب: ۲۱ / ۳۲۶.

[۴۴] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۷۱، والبداية والنهاية: ۹ / ۱۰۵.

[۴۵] الإرشاد: ۱ / ۱۴۶ عن نسب آل أبى طالب للعبيدلى النسّابة م ۲۷۰ هـ

[۴۶] الإرشاد: ۲ / ۱۴۹، ومناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۳ وراجع: البداية والنهاية: ۹ / ۱۰۵، وسير أعلام النبلاء: ۴ / ۲۳۹.

[۴۷] تأريخ اليعقوبى: ۲ / ۲۵۹ ط بيروت.

[۴۸] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۶ عن الباقر(عليه السلام) وعن أحمد بن حنبل، وكشف الغمة: ۲ / ۲۸۹ عن مطالب السؤول عن حلية الأولياء، وفى الكشف: ۲ / ۳۱۲، عن الجنابذى، ولكن فيه: ۲ / ۳۰۴ عنه أيضاً عن الصادق(عليه السلام) قال: كان يعول سبعين

بيتاً.

[۴۹] حلية الأولياء: ۳ / ۱۳۷، وعنه فى مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۷.

[۵۰] كشف الغمة: ۳ / ۲۸۸ عن مطالب السؤول للشافعى عن حلية الأولياء للاصفهانى.

[۵۱] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۶ و ۱۶۷ عن الباقر (عليه السلام).

[۵۲] بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۲.

[۵۳] علل الشرائع: ۱ / ۶۱ ب ۴۲ ح ۱ ط بيروت.

[۵۴] وسائل الشيعة: ۶ / ۲۹۶.

[۵۵] تأريخ دمشق: ۳۶ / ۱۶۱.

[۵۶] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۷ عن حلية الأولياء: ۳ / ۱۳۶ ـ ۱۴۰.

[۵۷] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۷.

[۵۸] المحاسن: ۲ / ۳۶۱ طبعة المجمع العالمى لأهل البيت(عليهم السلام)، وفروع الكافى: ۶ / ۳۵۰.

[۵۹] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۷ عن حلية الأولياء: ۳ / ۱۴۰، وجمهرة الأولياء: ۲ / ۷۱، وخلاصة تهذيب الكمال: ۲۳۱.

[۶۰] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۵ عن الثمالى والثورى، وفى تذكرة الحفاظ: ۱ / ۷۵ واخبار الدول: ۱۱۰ ونهاية الإرب: ۲۱ / ۳۲۶، وكشف الغمة: ۲ / ۲۸۹ عن مطالب السؤول عن حلية الأولياء. وفى الكشف: ۲ / ۳۱۲ عن الجنابذى عن الثورى عنه(عليه السلام) كان يقول: إنّ الصدقة تطفئ غضب الرب. بدون قيد السّر.

[۶۱] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۶.

[۶۲] كشف الغمة: ۲ / ۳۱۹ عن نثر الدرر للآبى.

[۶۳] حلية الأولياء وعنه فى مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۶ وكشف الغمة: ۲ / ۲۹۰ عن مطالب السؤول عن الحلية: ۴ / ۱۳۶ وفى البداية والنهاية لابن كثير: ۹ / ۱۱۴، وصفة الصفوة: ۲ / ۵۴، الإتحاف بحب الأشراف: ۴۹ والأغانى: ۱۵ / ۳۲۶.

[۶۴] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۶ عن الباقر(عليه السلام).

[۶۵] تذكرة الحفّاظ: ۱ / ۷۵.

[۶۶] تأريخ اليعقوبى: ۲ / ۳۰۳ ط بيروت.

[۶۷] علل الشرائع: ۱ / ۲۷ وعنه فى بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۵ ـ ۶۶.

[۶۸] وقعة الطف: ۲۰۹.

[۶۹] الكافى: ۲ / ۱۰۹ و ۱۱۱ والخصال: ۱ / ۲۳ وعن الكافى فى بحار الأنوار: ۷۱ / ۴۰۶ ومعه بيان المؤلف فى صفحة كاملة.

[۷۰] بحار الأنوار: ۷۸ / ۱۳۵.

[۷۱] بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۴ عن علل الشرائع: ۱ / ۲۷۰ ط بيروت.

[۷۲] مجالس ثعلب ۲: ۴۶۲، وعنه فى حياة الإمام زين العابدين للقرشى: ۱ / ۸۱. وفى مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۷۵ عن نافع: شيئاً، بدل: درهماً.

[۷۳] بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۲ عن علل الشرائع: ۱ / ۲۷۰ ط بيروت.

[۷۴] كشف الغمة: ۲ / ۳۱۸ عن نثر الدرر للآبى، والفصول المهمّة: ۱۹۲.

[۷۵] الكافى: ۸ / ۷۲ ـ ۷۶، وتحف العقول: ۲۴۹ ـ ۲۵۲.

[۷۶] حياة الإمام زين العابدين(عليه السلام) دراسة وتحليل:۱ / ۹۳.

[۷۷] قرموا: اشتدّ شوقهم إلى اللحم.

[۷۸] بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۷ عن الكافى: ۲ / ۱۲.

[۷۹] بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۷ عن الكافى: ۲ / ۱۲.

[۸۰] الكامل للمبرد: ۱ / ۳۰۲، وشذرات الذهب: ۱ / ۱۰۵، ومناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۷۶ عن أمالى النيشابورى.

[۸۱] الصحيفة السجادية، دعاؤه لأبويه.

[۸۲] حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل: ۵۵ ـ ۵۶.

[۸۳] اُصول الكافى: ۲ / ۳۷۶، والاختصاص: ۲۳۹، وتحف العقول: ۲۷۹، والبداية والنهاية: ۹ / ۱۰۵.

[۸۴] البيان والتبيين: ۲ / ۷۶، العقد الفريد: ۳ / ۸۸.

[۸۵] العقد الفريد: ۳ / ۸۹.

[۸۶] اقبال الأعمال: ۱ / ۴۴۳ ـ ۴۴۵ باسناده عن التلعكبرى عن ابن عجلان عن الصادق(عليه السلام) وعنه فى بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۳ ـ ۱۰۵. و ۹۸ / ۱۸۶ ـ ۱۸۷.

[۸۷] الإرشاد: ۲ / ۱۴۷، ومناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۷۱ وفى تأريخ دمشق: ۳۶ / ۱۵۵.

[۸۸] إشارة لقوله تعالى: (فى بيوت اذن الله ان ترفع ويـذكر فيها اسـمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار). النور (۲۴): ۳۶ ـ ۳۷.

[۸۹] الإرشاد: ۲ / ۱۳۷، ومنـاقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۸۹، والإقبال: ۶۲۱، ومصباح الكفعمى: ۵۱۱، والأنوار البهية: ۱۰۷ قال: سنة ۳۶ يوم فتح البصرة.

[۹۰] تاريخ أهل البيت، لابن أبى الثلج البغدادى م ۳۲۵: ۷۷.

[۹۱] رغم أنّ أغلب المؤرخين متفقون على أنّ اُم الإمـام السـجاد (عليه السـلام) هى ابنـة الملك يزدجرد إلّا أن هناك من يعتبر ذلك مجرد اُسـطورة، راجع زندگانى على بن الحسـين(عليه السـلام) للسـيد جعفر الشـهيدى. والإسـلام وايران للشـهيد مطهرى: ۱۰۰ ـ ۱۰۹ وحول السـيدة شهر بانو للشيخ اليوسفى الغروى فى مجلة رسالة الحسين(عليه السلام): ۲۴ / ۱۴ ـ ۳۹، والثابت أن اُمّ الإمام السجاد(عليه السلام) سبيّة من سبايا الفرس، ولا يثبت أكثر من هذا.

[۹۲] سـيرة رسول الله (صـلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السـلام): ۲ / ۱۸۹، المجمع العـالمى لأهل البيت (عليهم السـلام) الطبعة الاُولى ۱۴۱۴ هـ

[۹۳] حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل: ۳۹۰.

[۹۴] الفرقان (۲۵): ۶۳.

[۹۵] إحقاق الحق: ۱۲ / ۱۳ ـ ۱۶، والبداية والنهاية لابن كثير: ۹ / ۱۰۶.

[۹۶] علل الشرائع: ۱ / ۲۶۹، والأمالى: ۳۳۱ وعنهما فى بحار الأنوار: ۴۶ / ۲ الحديث ۱ و ۲.

[۹۷] علل الشرائع: ۱ / ۲۷۳ ومعانى الأخبار: ۶۵ وعنهما فى بحار الأنوار: ۴۶ / ۶.

[۹۸] علل الشرائع: ۱ / ۲۷۲ وعنه فى بحار الأنوار: ۴۶ / ۶ ح ۱۰.

[۹۹] المناقب لابن شهر آشوب: ۳ / ۳۱۰، بحار الأنوار: ۴۶ / ۸ ـ ۱۵.

[۱۰۰] راجع: ترجمة سُمّية أم زياد فى هامش وقعة الطف: ۲۱۱ و ۲۱۲.

[۱۰۱] قرية تقع بين تدمر ودمشق.

[۱۰۲] اقرأ أخبار هذه الأحداث مسندة موثقة فى: وقعة الطف لأبى مخنف: ۷۰ ـ ۱۴۱، تحقيق محمد هادى اليوسفى الغروى.

[۱۰۳] راجع: منتخب الأثر: ۹۷، الباب الثامن، والإرشاد وإعلام الورى بأعلام الهدى: ۲ / ۱۸۱، ۱۸۲، النصوص على الأئمة الاثنا عشر، قادتنا: ۵ / ۱۴، وإثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ۲ / ۲۸۵، النصوص العامة على الأئمة، وإحقاق الحقّ وملحقاته ج ۱ ـ ۲۵.

[۱۰۴] الكافى: ۱ / ۲۴۲ / ۳، والغيبة للطوسى: ۱۱۸ الحديث ۱۴۸، واثبات الهداة: ۵ / ۲۱۴ ـ ۲۱۶.

[۱۰۵] الكافى: ۱ / ۲۴۱ / ۱، واثبات الوصيّة: ۱۴۲، وإعلام الورى: ۱ / ۴۸۲ ـ ۴۸۳.

[۱۰۶] الاحتجاج: ۲ / ۱۴۷، احتجاجات الإمام زين العابدين(عليه السلام).

[۱۰۷] الإرشاد: ۲ / ۱۱۲، وانظر وقعة الطف لأبى مخنف: ۲۵۶، ۲۵۷.

[۱۰۸] التدمت المرأة: ضربت صدرها فى النياحة، وقيل: ضربت وجهها فى المآتم.

[۱۰۹] الأمالى للطوسى: ۹۱.

[۱۱۰] الإرشاد للمفيد: ۲۴۴، ووقعة الطف: ۲۶۲، ۲۶۳.

[۱۱۱] مقتل الخوارزمى: ۲ / ۴۳ مرسلاً، واللهوف على قتلى الطفوف: ۱۴۵.

[۱۱۲] الكامل فى التاريخ للجزرى: ۴ / ۸۳، وإنّ أوّل رأس حمل فى الإسلام هو رأس عمر بن الحِمق الخزاعى الى معاوية.

[۱۱۳] عن طبقات ابن سعد فى ذيل تاريخ دمشق ترجمة الإمام الحسين(عليه السلام): ۱۳۱، وأنساب الأشراف: ۲۱۴، والطبرى: ۵ / ۴۶۰ و ۴۶۳، والإرشاد: ۲ / ۱۱۹ واللفظ للأخير.

[۱۱۴] مقتل الخوارزمى ۲: ۶۱، واللهوف على قتلى الطفوف: ۱۰۰، ومقتل المقرم: ۴۴۹ عن تفسير ابن كثير والآلوسى.

[۱۱۵] أمالى الطوسى: ۶۷۷.

[۱۱۶] الارشاد: ۲ / ۱۱۹ و ۱۲۰، ووقعة الطف لأبى مخنف: ۱۶۸ و ۲۷۱، والعقد الفريد: ۵ / ۱۲۴.

[۱۱۷] الحديد (۵۷): ۲۲ ـ ۲۳.

[۱۱۸] الشورى (۴۲): ۳۰.

[۱۱۹] الإرشاد: ۲ / ۱۲۱، ووقعة الطف لأبى مخنف: ۲۷۱، ۲۷۲.

[۱۲۰] نفس المهموم: ۴۴۸ ـ ۴۵۲ ط قم عن مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۸۱ عن كتاب الأحمر عن الأوزاعى: الخطبة بدون المقدمة. والمقدمة عن الكامل للبهائى: ۲ / ۲۹۹ ـ ۳۰۲، وانظر حياة الإمام زين العابدين للقرشى: ۱۷۵ ـ ۱۷۷.

[۱۲۱] تاريخ الطبرى: ۵ / ۴۶۲، والارشاد: ۲ / ۱۲۲.

[۱۲۲] اللهوف فى قتلى الطفوف: ۸۵ مرسلاً ورواه ابن سعد فى الطبقات مسنداً عن المنهال بن عمرو الكوفى فى الكوفة وليس الشام، والخبر أكثر من هذا وإنّما هذا مختصر الخبر.

[۱۲۳] الطبرى: ۵ / ۴۶۲، والارشاد: ۲ / ۱۲۲ وعنهما فى وقعة الطف لأبى مخنف: ۲۷۲.

[۱۲۴] عن تفسير المطالب فى أمالى أبى طالب: ۹۳، والحدائق الوردية: ۱ / ۱۳۳.

[۱۲۵] الإرشاد: ۲ / ۱۱۷ وعنه فى وقعة الطف لأبى مخنف: ۲۶۵، ۲۶۶.

[۱۲۶] اللهوف: ۱۱۶، بحار الأنوار: ۴۵ / ۱۴۸ ـ ۱۴۹.

[۱۲۷] تأريخ الطبرى: ۵ / ۴۷۹، ۴۸۰.

[۱۲۸] الطبرى: ۵ / ۴۸۰ وعنه فى الكامل فى التأريخ: ۴ / ۱۰۳.

[۱۲۹] تأريخ الطبرى: ۴ / ۴۸۵، والكامل فى التأريخ: ۴ / ۱۱۳.

[۱۳۰] الطبرى: ۵ / ۴۸۴ وعنه فى الكامل.

[۱۳۱] التنبيه والاشراف: ۲۶۳ ط. القاهرة.

[۱۳۲] البداية والنهاية: ۸ / ۲۲۰، وتأريخ الخلفاء: ۲۳۳. أمّا الطبرى فلم يـذكر إلّا إباحة القتال والأموال ثلاثة أيام: ۵ / ۴۹۱ وترك ذكر الفروج وتبعه الجزرى فى الكامل.

[۱۳۳] تاريخ ابن عساكر: ۱۰ / ۱۳، المحاسن والمساوئ: ۱ / ۱۰۴.

[۱۳۴] تاريخ الطبرى ۵ / ۴۹۳ و ۴۹۵ وعنه فى الكامل فى التاريخ: ۴ / ۱۱۸ وفى مروج الـذهب ۳: ۷۰، الكامل فى التاريخ ۴: ۱۱۸، والبداية والنهاية ۸: ۲۲۲. وقد جاء فى تاريخ اليعقوبى ۲: ۲۵۱: كـان الرجل من قريش يؤتى به فيقال: بايع على أنّك عبـد قنّ ليزيـد، فيقول: لا. فيضرب عنقه.

[۱۳۵] الكامل فى التأريخ: ۴ / ۱۱۸، مروج الذهب: ۳ / ۷۰.

[۱۳۶] تأريخ الطبرى: ۵ / ۴۹۲ وعنه فى الكامل فى التاريخ: ۴ / ۱۱۸.

[۱۳۷] تأريخ الطبرى: ۵ / ۴۹۳، الاخبار الطوال: ۲۶۵.

[۱۳۸] النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين، محمود البغدادى: ۲۷۳. المجمع العالمى لأهل البيت(عليهم السلام) ـ الطبعة الاولى سنة ۱۴۱۵هـ

[۱۳۹] كشف الغمة: ۲ / ۳۱۹ عن نثر الدرر للآبى (ق ۴ هـ) عن ابن الأعرابى.

[۱۴۰] الإرشاد: ۲ / ۱۵۲.

[۱۴۱] تأريخ الطبرى: ۵ / ۴۹۷ وعنه فى الكامل فى التاريخ: ۴ / ۱۲۳.

[۱۴۲] وقعة صفين: ۲۰۶ و ۲۱۳ وفى الإصابة: ۳ / ۴۹۳ ـ ۴۹۴.

[۱۴۳] البدايـة والنهاية: ۸ / ۲۲۳، رواه عن النسـائى، وروى مثله عن أحمـد بن حنبـل. اُنظر أحـاديث اُخرى عن هـذا الموضوع فى كنز العمال، كتاب الفضائل الحديث ۳۴۸۸۶، ووفاء الوفاء: ۹۰، وسفينة البحار: ۸ / ۳۸، ۳۹ عن دعائم الإسلام.

[۱۴۴] تأريـخ الطبرى: ۵ / ۴۹۸ وعنه فى الكامل فى التأريـخ: ۴ / ۲۴ عن الكلـبى عن عوانـة بن الحكم، ثم روى أخبـاراً عن ابن عمر تحاول نسبة الحرق إلى أصحاب ابن الزبير خطأً، فى محاولة لتبرير يزيد الشّرير.

[۱۴۵] منطقة فى شرق دمشق.

[۱۴۶] زندگانى علىّ بن الحسين: ۹۲ =حياة الإمام على بن الحسين(عليه السلام).

[۱۴۷] تاريخ الطبرى: ۶ / ۱۲ ـ ۱۴ بروايـة أبى مخنف. وابن نما الحلّى فى كتابه: شـرح الثأر روى عن والده: أنّه قال لهم: قوموا بنا إلى إمامى وإمامكم على بن الحسـين، فلمّا دخلوا عليه وأخبروه خبرهم الذى جاؤوا لأجله قال لعمّه محمّد: يا عمّ، لو أن عبداً زنجيّاً تعصّب لنـا أهـل البيت لوجب على النـاس مؤازرته، وقـد ولّيتـك هـذا الأمر فاصـنع ما شـئت. فخرجوا وهم يقولون: قـد أذن لنا زين العابـدين ومحمّد بن الحنفية، كما روى عنه فى بحار الأنوار: ۴۵ / ۳۶۵.

[۱۴۸] رجال الكشى: ۱۲۷ ح ۲۰۳ وعنه فى. المختار الثقفى: ۱۲۴.

[۱۴۹] تأريخ اليعقوبى: ۲ / ۲۵۹ ط بيروت.

[۱۵۰] المصدر السابق.

[۱۵۱] العقد الفريد:۵ / ۱۴۳.

[۱۵۲] تاريخ الطبرى: ۵ / ۴۵۱ وعنه فى وقعة الطف: ۲۵۴ وقريباً منه فى الإرشاد: ۲ / ۱۱۰، ۱۱۱. وليس فيه: سنين كسنىّ يوسف، ولا غلام ثقيف.

[۱۵۳] حياة الحيوان: ۱۶۷.

[۱۵۴] حياة الحيوان: ۱ / ۱۷۰.

[۱۵۵] معجم البلدان: ۵ / ۳۴۹.

[۱۵۶] تهذيب التهذيب: ۲ / ۲۱۲.

[۱۵۷] شرح النهج: ۱۵ / ۲۴۲ عن كتاب: افتراق هاشم وعبد شمس للدبّاس. وقد ورد الخبر قبله فى الكامل للمبرّد: ۱ / ۲۲۲. وفى سنن أبى داود: ۴ / ۲۰۹ والبداية والنهاية: ۹ / ۱۳۱ والنصائح الكافية لابن عقيل: ۱۱ عن الجاحظ، وفى رسائل الجاحظ: ۲ / ۱۶.

[۱۵۸] تاريخ الخلفاء: ۲۲۰.

[۱۵۹] البداية والنهاية: ۹ / ۶۸.

[۱۶۰] مروج الذهب: ۳ / ۹۶.

[۱۶۱] مروج الذهب: ۳ / ۹۶.

[۱۶۲] تأريخ الخلفاء: ۲۲۳.

[۱۶۳] هناك من المؤرّخين من يرى أنّ هشام بن عبد الملك هو الذى دسّ السمّ للإمام (عليه السلام)، راجع بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۵۳، ويمكن الجمع بين الرأيين فيكون أحدهما آمراً والآخر منفّذاً للجريمة.

[۱۶۴] راجع: حياة الإمام زين العابدين: ۶۷۸.

[۱۶۵] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۵۳ عن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى: ۱۹۴.

[۱۶۶] أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف: ۱۱۷ ـ ۱۲۲، طبعة دار التعارف.

[۱۶۷] بحث حول الولاية: ۱۵، طبعة دار التعارف.

[۱۶۸] المصدر السابق: ۵۹.

[۱۶۹] بحث حول الولاية: ۵۷ ـ ۵۸.

[۱۷۰] المصدر السابق: ۶۰ ـ ۶۱.

[۱۷۱] راجع: أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف: ۱۲۷ ـ ۱۲۹.

[۱۷۲] أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف: ۱۲۲.

[۱۷۳] المصدر السابق: ۵۹.

[۱۷۴] أهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف: ۱۳۱ ـ ۱۳۲ و۱۴۷ ـ ۱۴۸.

[۱۷۵] أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف: ۱۴۴.

[۱۷۶] أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف: ۷۹ ـ ۸۰.

[۱۷۷] حياة الإمام زين العابدين دراسة وتحليل: ۶۶۵.

[۱۷۸] الأغانى: ۱ / ۵۵، ۴ / ۴۰۰، ۵ / ۱۱۱.

[۱۷۹] الأغانى: ۸ / ۲۲۴.

[۱۸۰] العقد الفريد: ۳ / ۲۳۳.

[۱۸۱] العقد الفريد: ۳ / ۲۴۵.

[۱۸۲] راجع: الأغانى: ۲ / ۲۲۶، ۳ / ۳۰۷، ۴ / ۲۲۲، ۶ / ۲۱، ۷ / ۳۱۶، و ۳۳۲، ۸ / ۲۲۷، ۱۰ / ۵۷. والشعر والغناء فى المدينة ومكة: ۲۵۰.

[۱۸۳] حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل: ۶۷۲ ـ ۶۷۳.

[۱۸۴] التوبة (۹): ۱۱۱.

[۱۸۵] من لا يحضره الفقيه: ۲ / ۱۴۱، ومناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۷۳ باختلاف يسير فى الألفاظ.

[۱۸۶] القصيدة طويلة وهى مذكورة فى كثير من المصادر التأريخية والأدبية، اُنظر: وفيات الأعيان لابن خلّكان: ۶ / ۹۶، الإرشاد للمفيد: ۲ / ۱۵۰، ۱۵۱ عن محمّد بن اسماعيل بن جعفر الصادق(عليه السلام) وراجع غيرهما من المصادر فى أوائل الفصل الأوّل من الباب الأوّل.

[۱۸۷] كانت عملية منع الحديث ـ تدويناً ورواية ـ قد بدأت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) مباشرة.

[۱۸۸] المحاسن: ۲۲۱ ح۱۳۳.

[۱۸۹] تفسير البرهان: ۳ / ۱۵۶.

[۱۹۰] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۷.

[۱۹۱] المصدر السابق: ۷۰، ب۵، ح۴۵.

[۱۹۲] الاحتجاج: ۳۱۲ ـ ۳۱۹.

[۱۹۳] التوحيد للصدوق: ۳۶۶.

[۱۹۴] كشف الغمة: ۲ / ۸۹.

[۱۹۵] جهاد الإمام السجاد: ۱۰۷.

[۱۹۶] أمالى الصدوق: ۱۱۲، الاحتجاج: ۳۱۷.

[۱۹۷] تأريخ دمشق: الحديث ۲۱.

[۱۹۸] كفاية الأثر: ۲۳۶ ـ ۲۳۷.

[۱۹۹] نزهة الناظر: ۴۵.

[۲۰۰] إكمال الدين: ۳۲۴، الباب ۳۱، الحديث ۹.

[۲۰۱] نشأة الشيعة والتشيّع، للشهيد السيّد محمد باقر الصدر.

[۲۰۲] قد أشرنا إلى حادثة استلام الإمام(عليه السلام) للحجر بعد أن انفرج الحجيج له، راجع الصفحة ۱۱۱ من الكتاب.

[۲۰۳] مختصر تأريخ دمشق: ۱۷ / ۲۱.

[۲۰۴] جهاد الإمام السجاد(عليه السلام): ۱۵۴.

[۲۰۵] لاحظ تنقيح المقال: ۲ / ۲۵۱.

[۲۰۶] تأريخ دمشق: ۴۱ / ۴۱۰، مختصر ابن منظور: ۱۷ / ۲۵۵.

[۲۰۷] حياة الإمام زين العابدين: ۱۸۷ نقلاً عن تفسير الإمام الحسن العسكرى.

[۲۰۸] الخصال: ۴۸۸.

[۲۰۹] نهاية الإرب: ۲۱ / ۳۲۶، سير أعلام النبلاء: ۴ / ۲۳۸.

[۲۱۰] الخصال: ۲ / ۶۲۰.

[۲۱۱] بحار الأنوار: ۴۶ / ۵۸.

[۲۱۲] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۸.

[۲۱۳] حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام): ۱۹۰.

[۲۱۴] وسائل الشيعة: ۴ / ۶۸۵.

[۲۱۵] المصدر السابق.

[۲۱۶] تهذيب الأحكام: ۲ / ۲۸۶ ح۱۱۴۶.

[۲۱۷] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۸.

[۲۱۸] علل الشرائع: ۸۸، بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۱.

[۲۱۹] تهذيب التهذيب: ۷ / ۳۰۶، نور الأبصار: ۱۳۶، الإتحاف بحب الأشراف: ۴۹، ومصادر اُخرى.

[۲۲۰] بحار الأنوار: ۴۶ / ۶۱، الخصال: ۴۸۷.

[۲۲۱] الخصال: ۴۸۸.

[۲۲۲] وسائل الشيعة: ۴ / ۹۸۱.

[۲۲۳] وسائل الشيعة: ۴ / ۱۰۷۹.

[۲۲۴] دعوات القطب الراوندى: ۳۴.

[۲۲۵] عن صفة الصفوة: ۲ / ۵۳ وكشف الغمة: ۲ / ۲۶۳.

[۲۲۶] خوالى الأعوام: مواضيها.

[۲۲۷] أمده: غايته.

[۲۲۸] تفسخت: أى تقطّعت وتمزّقت وبطلت، فإنّك فوق نعت الناعتين.

[۲۲۹] الوصلات: وُصلة ـ بالضم ـ وهى ما يتوصل به إلى المطلوب، يعنى أنّه قد فاتتنى الأسباب التى يتوصل بها إلى السعادات الاُخروية إلّا السبب الذى هو رحمتك فانه لا يفوت من أحد، لأنّها وسعت كلّ شىء.

[۲۳۰] عِصَم: جمع عصمة، وهى الوقاية والحفظ.

[۲۳۱] ما أبوء: أقرّ وأرجع.

[۲۳۲] صدف: خرج وأعرض.

[۲۳۳] يصول: من الصولة بمعنى الحملة.

[۲۳۴] تذر: تترك.

[۲۳۵] رميماً: بالياً.

[۲۳۶] حميماً: ماء شديد الحرارة.

[۲۳۷] النكال: العقوبة.

[۲۳۸] الوبال: الوخامة وسوء العاقبة.

[۲۳۹] الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ۳۲.

[۲۴۰] الإرشاد: ۲۷۲، روضة الواعظين: ۱ / ۲۳۷.

[۲۴۱] بحار الأنوار: ۴۶ / ۹۹.

[۲۴۲] المصدر السابق: ۴۶ / ۹۹.

[۲۴۳] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۱، ۱۶۲.

[۲۴۴] دعوات الراوندى: ۴.

[۲۴۵] فروع الكافى: ۴ / ۸۸.

[۲۴۶] سبّلنا: أدخلنا.

[۲۴۷] أى: املأه بعبادتنا إيّاك.

[۲۴۸] الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ۴۴.

[۲۴۹] بحار الأنوار: ۴۶ / ۷۲.

[۲۵۰] سورة النور (۲۴): ۲۲.

[۲۵۱] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۳ ـ ۱۰۵.

[۲۵۲] بَرَحَ المكان ومنه: زال عنه.

[۲۵۳] تملقك: التودّد اليك.

[۲۵۴] سريرتى: نيّتى.

[۲۵۵] السَيْب: العطاء.

[۲۵۶] راجع: مفاتيح الجنان «الدعاء المعروف بدعاء أبى حمزة الثمالى».

[۲۵۷] مضّ: آلَم.

[۲۵۸] انسلخ الشهر: مضى.

[۲۵۹] راجع: الصحيفة السجادية «الدعاء فى وداع شهر رمضان».

[۲۶۰] وسائل الشيعة: ۸ / ۵.

[۲۶۱] فروع الكافى: ۴ / ۲۵۲.

[۲۶۲] من لا يحضره الفقيه: ۲ / ۲۰۸ ح ۲۱۶۸.

[۲۶۳] بحار الأنوار: ۹۹ / ۳۸۶ مع اختلاف فى اللفظ.

[۲۶۴] الفصول المهمة: ۱۸۹.

[۲۶۵] حياة الإمام زين العابدين: ۲۲۷.

[۲۶۶] نهاية الإرب: ۲۱ / ۳۲۶.

[۲۶۷] المؤمنون (۲۳): ۱۰۱.

[۲۶۸] الأنبياء (۲۱): ۲۸.

[۲۶۹] الأعراف (۷): ۵۶.

[۲۷۰] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۱.

[۲۷۱] مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۶۳، ۱۶۴، وبحار الأنوار: ۴۶ / ۸۱.

[۲۷۲] بديع السماوات والأرض: مخترعها لا عن مثال سابق، أو أنّ السماوات والأرض بديعة، أى عديمة النظير.

[۲۷۳] لا يعزب: لا يغيب.

[۲۷۴] المحال: الأخذ.

[۲۷۵] سربلنى: قمّصنى، والسربال: القميص.

[۲۷۶] منازلتى ايّاك: أى مراجعتى.

[۲۷۷] عامهاً: العَمَه فى البصيرة كالعمى فى البصر.

[۲۷۸] ولا فى غمرتى: أى إغمائى وغفلتى، ناظراً إلى قوله سبحانه: (فذرهم فى غمرتهم حتّى حين). المؤمنون (۲۳): ۵۴.

[۲۷۹] الصحيفة الكاملة السجادية: الدعاء ۴۷.

[۲۸۰] لا ـ يحفيه سائل: أى لا ـ يستقصيه فى السؤال، إذ كلما سأله شيئاً فما بقى عنده فهو أكثر منه بكثير، بل لا نسبة بينهما، لنهاية

أحدهما ولا نهاية الآخر.

[۲۸۱] عكوفهم: إقامتهم ومواظبتهم.

[۲۸۲] أن عُدْتَ: أى عن أن عدت، وحذف مثله قياسى، و «أن» مصدرية يعنى العود.

[۲۸۳] إنّ هذا المقام: أى مقام صلاة الجمعة أو العيد.

[۲۸۴] لخلفائك: أى الأئمة المعصومين(عليهم السلام)، يعنى هم المستحقّون لذلك، وأن يكون أزمّته بأيديهم، فامّا يجعلونه لأنفسهم كما فى زمن حضورهم وبلد شهادتهم وأمنهم من الضرر، أو يأذنون لمن يرونه أهلاً له عموماً أو خصوصاً، كما فى زمن غيبتهم أو تقيّتهم، وفى غير بلد حضورهم.

[۲۸۵] ومواضع اُمنائك: نصب عطف على «هذا المقام»، و «لخلفائك» متعلق بهذا «المقام»، أو خبر له.

[۲۸۶] قد ابتزوها: الابتزاز والبزّ: السلب والنزع وأخذ الشىء بجفاء وقهر، والعائد للدرجة أو للمواضع أو للمقام باعتبار اكتساب تأنيث الدرجة.

[۲۸۷] الدعاء: ۴۸ من الصحيفة الكاملة السجاديّة.

[۲۸۸] الفرقان (۲۵): ۷۷.

[۲۸۹] فلاح السائل للسيد ابن طاووس: ۲۶، طبعة مكتب الإعلام الإسلامى للحوزة العلمية فى قم المقدسة.

[۲۹۰] الدعاء الخامس من الصحيفة الكاملة.

[۲۹۱] مناجاة الراجين.

[۲۹۲] طَولك: فضلك.

[۲۹۳] ترادُف: تتابع.

[۲۹۴] عوائدك: جمع عائدة وهى المعروف والمنفعة.

[۲۹۵] نشرى: يعنى هنا بسط الحديث بالمدح.

[۲۹۶] جَلّلتنى: غطّتنى، وغمرتنى.

[۲۹۷] كللاً: كلل جمع الكُلّة وهى بيت أو خيمة رقيقة تُضرب للمبيت تمنع من الذباب والبَعوض وإنّما ذلك لأرباب النعمة.

[۲۹۸] لا تُفلّ: لا تثلم.

[۲۹۹] مناجاة الشاكرين.

[۳۰۰] مناجاة المطيعين.

[۳۰۱] البدار: السباق.

[۳۰۲] المآرب: جمع مأرب ومأربة أى الحاجة.

[۳۰۳] ولهى: تحيّرى من شدّة الوجد.

[۳۰۴] صبابتى: شوقى.

[۳۰۵] الرَوح: الفرح والراحة.

[۳۰۶] غلّتى: عطشى الشديد.

[۳۰۷] لوعتى: حرقة حزنى وهواى ووجدى.

[۳۰۸] كرْبتى: همّى وغمى.

[۳۰۹] مناجاة المريدين.

[۳۱۰] خلّتى: حاجتى وفقرى.

[۳۱۱] مناجاة المفتقرين.

[۳۱۲] مناجاة العارفين.

[۳۱۳] الخلاء: المكان الفارغ الذى ليس فيه أحد.

[۳۱۴] الملاء: اجتماع الناس.

[۳۱۵] جَنان: القلب.

[۳۱۶] مناجاة الذاكرين.

[۳۱۷] نفس المهموم، المحدّث القمى: ۴۰۸.

[۳۱۸] راجع الفصل الخاصّ بتراثه(عليه السلام).

[۳۱۹] جهاد الإمام السجّاد: ۲۲۴ ـ ۲۲۵.

[۳۲۰] كشف الغمة: ۲ / ۷ ـ ۱۲.

[۳۲۱] أعيان الشيعة: ۱ / ۶۳۶، سيرة على بن الحسين (عليه السلام) بكاءه على أبيه.

[۳۲۲] المصدر السابق.

[۳۲۳] بحار الأنوار: ۴۶ / ۱۰۸ عن مناقب آل أبى طالب: ۴ / ۱۷۹ و ۱۸۰ وعن حلية الأولياء: ۳ / ۱۳۸.

[۳۲۴] راجع: ثواب الأعمال: ۸۳.

[۳۲۵] الإمام زين العابدين للسيّد الموسوى المقرّم: ۳۶۰ ـ ۳۶۵، نشر دار الشبسترى للمطبوعات. وفى النص مقاطع أخذها من مصادر أُخرى ذكرها فى الكتاب.

[۳۲۶] جهاد الإمام السجاد: ۲۲۰.

[۳۲۷] بحار الأنوار: ۴۶ / ۷۹، باب ۵، ح۷۵.

[۳۲۸] نقش الخواتيم للسيد جعفر مرتضى: ۱۱.

[۳۲۹] مختصر تأريخ دمشق: ۱۷ / ۲۸۴.

[۳۳۰] البقرة (۲): ۲۸۲.

[۳۳۱] النجم (۵۳): ۳ ـ ۴.

[۳۳۲] راجع مصادر وأسانيد ونصوص هذا الحديث الشريف والمتواتر عند الفريقين فى الأعداد ۴ إلى ۹ من مجلة رسالة الثقلين، وحديث الثقلين، طبعة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، مصر: ۹.

[۳۳۳] القسط: العدل.

[۳۳۴] لا يحيف: لا يميل.

[۳۳۵] جواسى: جمع جاسية وهى الغليظة، والمراد غلاظ الألسنة.

[۳۳۶] الصحيفة السجادية: من دعائه فى ختم القرآن (۴۲).

[۳۳۷] حياة الإمام زين العابدين(عليه السلام): ۲ / ۳۲.

[۳۳۸] حياة الإمام الباقر: ۱ / ۱۱، نقلاً عن الفهرست للشيخ الطوسى: ۹۸.

[۳۳۹] البقرة (۲): ۲۲.

[۳۴۰] الحمأ: شدّة حرارة الشمس.

[۳۴۱] تعطبكم: أى تهلكم.

[۳۴۲] المتانة: ما صلب من الأرض وارتفع.

[۳۴۳] الأوهاد: الأرض المنخفضة.

[۳۴۴] الهطل: المطر الضعيف الدائم.

[۳۴۵] عيون أخبار الرضا: ۲ / ۱۲۵ ـ ۱۲۶. طبعة مؤسسة الاعلمى ـ بيروت.

[۳۴۶] البقرة (۲): ۲۰۸.

[۳۴۷] تفسير البرهان: ۱ / ۱۲۹.

[۳۴۸] التوبة (۹): ۱۰۵.

[۳۴۹] تفسير البرهان: ۱ / ۴۴۱، تفسير الصافى: ۲ / ۳۷۲ ـ ۳۷۳.

[۳۵۰] المعارج (۷۰): ۲۴ و ۲۵.

[۳۵۱] لآلئ الأخبار: ۳ / ۳، وسائل الشيعة: ۶ / ۶۹.

[۳۵۲] الحجر (۱۵): ۸۵.

[۳۵۳] وسائل الشيعة: ۵ / ۵۱۹.

[۳۵۴] بحار الأنوار: ۲۲ / ۴۷۰.

[۳۵۵] المصدر السابق: ۲۳ / ۱۱۹.

[۳۵۶] التوحيد للشيخ الصدوق: ۳۶۶ ـ ۳۶۷ منشورات جامعة المدرّسين فى الحوزة العلمية فى قم المقدسة، الطبعة السادسة.

[۳۵۷] حياة الإمام زين العابدين: ۳۰۴.

[۳۵۸] معجم أحاديث الإمام المهدى (عج): ۳ / ۱۹۰.

[۳۵۹] المصدر السابق: ۳ / ۱۹۱.

[۳۶۰] المصدر السابق: ۳ / ۱۹۳.

[۳۶۱] معجم أحاديث الإمام المهدى (عج): ۳ / ۱۹۴.

[۳۶۲] المصدر السابق.

[۳۶۳] فى الكنى والألقاب للشيخ عباس القمى: ۱ / ۶۰ قال: «قال الفضل بن شاذان: ولم يكن فى زمن علىّ بن الحسين(عليه السلام) فى أول أمره إلّا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيّب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى بن أُم الطويل، أبو خالد الكابلى واسمه وردان ولقبه كنكر. ثم قال: وفى خبر الحواريّين أنّه من حوارى علىّ بن الحسين(عليه السلام) وقد شاهد كثيراً من دلائل الأئمة(عليهم السلام).

[۳۶۴] الاحتجاج: ۲ / ۴۸ ـ ۵۰ احتجاجات الإمام علىّ بن الحسين (عليه السلام).

[۳۶۵] راجع ترجمة الإمام زين العابدين (عليه السلام) من تاريخ دمشق، تحقيق محمد باقر المحمودى: ۲۷.

[۳۶۶] تأريخ دمشق: ۳۶ / ۱۶، بحار الأنوار: ۴۶ / ۷.

[۳۶۷] النساء (۴): ۹۲.

[۳۶۸] الظهار: أن يقول الرجل لزوجته: أنت علىّ كظهر أُمّى.

[۳۶۹] المجادلة (۵۸): ۳ ـ ۴.

[۳۷۰] المائدة (۵): ۸۹.

[۳۷۱] البقرة (۲): ۹۶.

[۳۷۲] البقرة (۲): ۱۹۶.

[۳۷۳] المائدة (۵): ۹۵.

[۳۷۴] المقنعة، الشيخ المفيد: ۳۶۳.

[۳۷۵] الاعتكاف إنّما يجب بعد مضى يومين منه فيتعيّن اليوم الثالث، وكذلك يجب بالنذر وشبهه.

[۳۷۶] أيام التشريق: هى أيام منى وهى الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر بعد يوم النحر.

[۳۷۷] صوم الوصال: وهو أن يصوم الليل والنهار، وحرمته حرمة تشريعية.

[۳۷۸] صوم الصمت: هو أن يمسك الإنسان فيه عن الكلام، وقد كان الكلام محرّماً على الصائم فى الشرائع السابقة، كما أعلن القرآن ذلك فى قصة مريم، قال تعالى: (إنّى نذرت للرحمن صوماً فلن اُكلِّم اليومَ إنسيّاً)إلاّ أنّه نسخ فى الشريعة الإسلامية المقدسة.

[۳۷۹] الأيام البيض: وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وسمّيت لياليها بيضاً لأنّ القمر يطلع فيها من أولها الى آخرها. جاء ذلك فى مجمع البحرين (مادة: بيض).

[۳۸۰] فروع الكافى: ۱ / ۱۸۵، الخصال: ۵۰۱ ـ ۵۰۴، تفسير القمّى: ۱۷۲ ـ ۱۷۵، المقنعة: ۵۸، التهذيب: ۱ / ۴۳۵.

[۳۸۱] الدعاء ۵۱ من الصحيفة الثانية التى جمعها الشيخ الحرّ العاملى.

[۳۸۲] دعاءه لأهل الثغور فى الصحيفة الكاملة أو الجامعة.

[۳۸۳] تأريخ الأدب العربى فى ضوء المنهج الإسلامى: ۳۵۳.

[۳۸۴] الاحتجاج للطبرسى: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

[۳۸۵] سبأ (۳۴): ۱۸.

[۳۸۶] الطلاق (۶۵): ۸.

[۳۸۷] الكهف (۱۸): ۵۹.

[۳۸۸] يوسف (۱۲): ۸۲.

[۳۸۹] الاحتجاج ۲: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

[۳۹۰] الاحتجاج للطبرسى: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

[۳۹۱] الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

[۳۹۲] الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين (عليه السلام).

[۳۹۳] تحف العقول لابن شعبة الحرّانى: ۱۸۲ ـ ۱۸۴ / ط. مؤسسة الأعلمى ـ بيروت.

[۳۹۴] الحُطام: القشر، والمعنى: أنّ ما فيها من مال كثير أو قليل يغنى ولا يبقى.

[۳۹۵] الهامد: اليابس.

[۳۹۶] القرار: ما قُرّ فيه أى فعل فيه السكن أو السكون.

[۳۹۷] تصريف أيامها: تحوّلها من وجه إلى وجه.

[۳۹۸] خليط: مُخالط، مُجالس.

[۳۹۹] المؤمنون (۲۳): ۹۹ و ۱۰۰.

[۴۰۰] ابراهيم (۱۴): ۱۴.

[۴۰۱] البلد (۹۰): ۸ ـ ۱۰.

[۴۰۲] يجأرون إلى ربّهم: يتضرّعون اليه تعالى.

[۴۰۳] القِداح: مفردها قِدْح وهو السهم قبل أن يُنصل ويُراش.

[۴۰۴] كل ما جاء تحت هذا العنوان نقلناه عن تحف العقول ۲۰۰ ـ ۲۰۵.

[۴۰۵] خطراً: قدراً وشرفاً.

[۴۰۶] الحديد (۵۷): ۲۳.

[۴۰۷] أسبغكم: أوسعكم.

[۴۰۸] الدثار: ما يتغطّى به النائم.

[۴۰۹] فى كنف الله: فى حرزه ورحمته.

[۴۱۰] ابراهيم (۱۴): ۳۴.

[۴۱۱] حياة الإمام زين العابدين: ۴۷۷.

[۴۱۲] الخصال: ۵۶۴ ط. مؤسسة النشر الإسلامى.

[۴۱۳] والظاهر تصحيفه، والصواب كما سيأتى فى تفصيله(عليه السلام) هذه الحقوق (حقّ مولاك الجارية نعمتك عليه).

[۴۱۴] الشورى (۴۲): ۴۱.

[۴۱۵] منهم العلاّمة السيد حسن القبانچى فقد شرحها فى جزئين كبيرين باسم: شرح رسالة الحقوق.

[۴۱۶] حياة الإمام زين العابدين: ۳۷۳ ـ ۳۷۴.

[۴۱۷] راجع فصل: من علوم الإمام (عليه السلام)، حقائق علميّة فى الأدعيّة السجّادية.

[۴۱۸] نقلاً عن مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر على الصحيفة السجّادية الكاملة.

[۴۱۹] حياة الإمام زين العابدين: ۳۷۵، وراجع شجرة طرق أسانيد الصحيفة السجادية المطبوعة فى مؤسسة الإمام المهدى (عليه السلام) بإشراف السيد الأبطحى.

[۴۲۰] حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام): ۱۹۰.

[۴۲۱] حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام) السيد جعفر شهيدى: ۱۹۱.

[۴۲۲] راجع مقدمة الصحيفة السجّادية الجامعة.

[۴۲۳] راجع مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجّادية.

[۴۲۴] من مقدمة السيد الشهيد محمد باقر الصدر للصحيفة السجّادية.

[۴۲۵] اُصول الكافى: ۱ / ۳۵.

[۴۲۶] حياة الإمام زين العابدين: ۲۳.

[۴۲۷] الدرّ النظيم: ۱۷۳.

[۴۲۸] راجع ترجمته بالتفصيل فى حياة الإمام زين العابدين: ۵۲۲ ـ ۵۲۷.

[۴۲۹] المصدر السابق: ۵۲۹.

[۴۳۰] راجع تفصيل البحث عن رواة حديث الإمام وتلامذته (حياة الإمام زين العابدين: ۵۱۷ ـ ۵۸۷).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بُنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹